

د. ياسمين فيدوح

# إشكالية الترجمة في الأدب المقارن





انكاية الزينة  
في الايمان بالله



# إشكالية الترجمة في الأدب المقصود

د. ياسمين فيدوح



## المحتويات

7	المقدمة
17	الفصل الأول: حركة الترجمة والدراسات المقارنة
19	المبحث الأول: من الأدب المقارن إلى الترجمة
19	أولاً - الدراسات المقارنة وقبل الترجمة
28	ثانياً - منارات الإشعاع في العالم العربي
31	المبحث الثاني: منظور مقارن للأدب وجهد ترجمي
31	أولاً - تطور المصطلح
38	ثانياً - إشكالية المنهج
49	المبحث الثالث: الخلاف المرجعي وتحديد المستقبل
49	أولاً - خلاف الترميمي/الوطني
59	ثانياً - خلاف العالمي
64	ثالثاً - مستقبل المصطلح/وعان الترجمة
73	الفصل الثاني: الترجمة وتجاهات الآخر
75	المبحث الأول: آليات الترجمة ومعرفة الآخر
83	المبحث الثاني: الترجمة حامل تأثير وتأثر
83	أولاً - إبطال الحدود بين الثقافات
87	ثانياً - الحاجة إلى الترجمة / المناظرة
91	المبحث الثالث: أنواع الترجمة
91	أولاً - الترجمة الإبداعية
104	ثانياً - الترجمة الاتباعية
104	1- الترجمة والتماثل الثقافي
109	2- التماثل المباشر / الترجمة التحويلية
115	الفصل الثالث: الترجمة والتواصل
117	المبحث الأول: الاتصال والثقفي
117	أولاً - الترجمة خطاب حضاري
120	ثانياً - الترجمة عبور بين الثقافات
125	ثالثاً - التواصل واللغة الوظيفية

المبحث الثاني: دور الترجمة في التطور العلمي .....	131
أولاً - الترجمة وتأثيرها في الخطاب التعليمي .....	131
1- في اللغة العربية .....	131
2- في اللغة الأجنبية .....	136
ثانياً - الترجمة بين التطور والتطور .....	144
1- مفتاح التطور .....	144
2- مفتاح الاستيعاد .....	150
ثالثاً - أثرها في إنتاج المعرفة .....	155
الفصل الرابع: أوجه التقني في ترجمة ألف ليلة وليلة .....	163
المبحث الأول: مصادر ألف ليلة وليلة .....	165
أولاً - آراء العرب .....	168
ثانياً - آراء الغرب .....	180
المبحث الثاني: الاستعارة والاحتواء الوفوق في دائرة المصدر .....	189
أولاً - عالمة الاستيعاد/التكامل والانتشار .....	189
ثانياً - الوقوف في دائرة المصدر الفرنسي .....	198
المبحث الثالث: المكان والمكانة في ترجمة ألف ليلة وليلة .....	211
أولاً - رحلة شهرزاد إلى فرنسا .....	211
ثانياً - مكانة شهرزاد في هامبرغ [ألمانيا] .....	227
ثالثاً - مغامرات شهرزاد في الأدب الإنجليزي .....	240
رابعاً - مدى شهرزاد/ خول الميزة .....	249
خاتمة .....	261
ملحق بمسودة ألف ليلة وليلة: ترجمة/ شكر/ إهداء من .....	265

## المقدمة

تشهد الدراسات الحديثة في مجال الترجمة الكثير من التطور رغم الخلاف الهين بينها وبين الأدب المقارن الذي كان يعدّ نفعه دوماً رسولاً للعالمية بتجاوزه للعنود، ومع الجسور، إلى أن تنامت ظاهرة الترجمة في المبعينيات من القرن العشرين والتي تعتبر نفسها، أيضاً، رسالة هذا الرسول بركوبها سهولة النقل، هاخذها أخذاً رابياً بتبنيها نقل النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف واستيلاتها على قمة ما توصلت إليه الدراسات المقارنة، شرتب على ذلك اختلاف في وجهات النظر، فاصبح كل بقصد وجهته، وكل منهما ينافس الآخر في مهمة الناشر والتأثير، وياري في نتلج الآخر.

ولئن يسم دارسو الأدب المقارن والدراسات الترجمة - عنايتهم - إلى ظاهرة نقل والنس المصدر، بتفاوت في كيفية التعامل مع هذا النقل، فإنه لا بد من الأخذ في الاعتبار أن كلاً منهما يقوم بدور تطوير ثقافات، نص الهدف وما يقضي إليه هذا النص من إيماء وظلفية ودلالية. وهذا اللدو العلاقة بينهما في نظر الدارسين علاقة مد وجذب.

ومما لا شك فيه أن الدراسات الترجمة تُعدّ واحدة من أكثر المفاهيم المتداولة بين الباحثين والمؤسسات العلمية بدور المعرفة في بناء المنظومة الفكرية، ولا يكاد يوازيها في التلظظ - على الأقل بالاهتمام - بها أي مفهوم آخر، أو وسيلة إجرائية أخرى كمنى بالتواصل، والتعامل الثقافي بين الأمم والحضارات.

ولقد بات الحديث مألوفاً عن الدراسات الترجمة، وعن منزلتها في سائر دراسات العلوم الإنسانية، بخاصة الحديث عن دورها في تحقيق مطالب نمو هذه المعارف أو اللغة من النص الهدف على اختلاف المسته. ومن ثم أصبح الاتساع في تطوير هذه المعارف من لخل الدراسات الترجمة ضرورة من ضرورات امتجالية معال، النقل المنتج، وحاجة ماسة لتقاضي الأساليب العلمية ومواعظ التلاقي بين الثقافات، وما لهذا التلاقي

من دلائل وتأثير للتحريات الفكرية. ولعل الدور نفسه تقوم به الدراسات المقارنة التي تُعنى هي الأخرى بنصين مختلفين في اللغة؛ لإظهار خصوصية كل منها، وانعكاس ذلك على فوارق خصوصية [الثقافات/الأخلاق] المستمدة من النصين، فتأخذ منا أن كل نص هو تعبير بالضرورة عن مستوى ثقافي معين.

وفي تقديرنا أن كلاً من الدراسات الترجمية والدراسات المقارنة يحكمهما المشروع في حركة نقل النص، والنظر إلى أوجه الاختلاف والالتلاف فيه، وكلاهما يُدْمِنُ امتثالاً لحاجة نص الهدف إلى جني ثمرة العلم لل غاية المقصودة، وإن كلاً منهما يُسهم في تنظيم إنتاج المعرفة.

وفي حقيقة الأمر فإن هذا التداخل بين الدراسات الترجمية والدراسات المقارنة يُندُ - في نظرنا - داخل ما من دواخل استقصاء النص بشئ السهل، والإحاطة به من جميع الزواحي، وخاصة إذا أدركنا أن واقع - هذا - النص لا يشمل المحلل الأدبي المحسوب وإنما هو جامع لحقول معارف إنسانية متنوعة، وهو ما يُعرف بتداخل الأجناس الأدبية، في صميمها إلى المدول من صفة الاختصاص التي صادت في مبارعا النمطي مدة لم تعد تسهم مع الشروع في الإفادة من شبكة العلاقات الكانطية، وإذا كان الأمر كذلك فإن النص حينما كان فهو يحتوي على عناصر مشتركة في التفكير، ومختلفة في المكتسبات، وهو يكتسب فهماً وتصورات استجابة للمعنى الثقافي.

ولكن، ما العلاقة بين دراسات الترجمة والأدب المقارن؟ وهل دخل حقل الأدب المقارن في لا مشولية التواصل معه، بعد أن عُدَّ نشاطه مؤخرًا، هامشياً؟ وهل ما زال يصارع وضع الغالب الشكلي الذي خصم نفسه فيه؟ وهل الأدب المقارن في وضع خرج من تقليد دور الترجمة؟ وهل أصبحت الترجمة تخترق فضلاً الحد الفاصل بينها وبين الأدب المقارن؟ وما الذي جعل الترجمة تتداخل مع الدراسات المقارنة؟ أم أن هناك اهتمامات مختلفة في المنهجية بينهما؟ وما الذي يميزها في تجاوز علاقتها بالأدب المقارن؟ وهل أصبحت الدراسات الترجمية حقلاً دراسياً بحد ذاتها، وحاجة ماسة لإنهاء



اللغة التحليلية وتطويرها يشمل التلازمات المتبادلة وما هي مكانة الثقافة  
الوطنية في ظل التحولات الفكرية التي تدعو إليها ثقافة الهدف؟ وهل  
الترجمة وفية في مهامها؟ أم أنها - على حد تعبير القول الفرنسي المأثور - كـ  
بالخاشات الجميلات: *Les belles infidèles* في خيانتها للقص الأصلي.

وإذا كانت مثل هذه الأسئلة هي ما يسوقه متن البحث في محاولة  
للإجابة عنها، إما مباشرة أو ضمناً، فإنها كانت المحفز الذي شجمني على  
اختيار هذا الموضوع. عندما كنت ترمي بظلالها على هواجعي أثناء  
الإبقاء برأجي مع طلابي. ومن هنا تأتي الاستغاثية في مبررات اختيارنا  
هذا البحث.

أضف إلى ذلك أن لكل عمل أكاديمي إجراءاته، وصوغاته يقدم  
الباحث من خلالها على إنجازها، وغالباً ما تكون مبررات ذات شقين، شق  
مباشر يصفته ركيزة أساسية للبحث والتقصي، ويستوجب الوصول إلى  
هدف ما، كما يُمنى بالأهمية للرجوة منه، وهي تلقيح المعارف الجديدة -  
على أقل تقدير - في جميع المجالات المختلفة، ولا يستغني الباحث في هذا  
الشق عن الطموح في الوصول إلى الجوانب وتحسين البصيرة من سهل  
الرشد إلى تطوير البحث العلمي. أما الشق الثاني فيمكن في الرغبة في  
الإجابة عن مبررات تساؤل الباحث حينما تراوده الحيرة في نتائج الأسئلة  
السابقة، ومن على علاقة العقل العربي بعد أن ابتعد عن قوله: **﴿من تعلم لغة قوم آمن منهم﴾**. أما كانت به، مثلاً، طليخة، وبهت  
الحكمة في عهد الخليفة المأمون من دور إغناء الفكر الإنساني، ومع مرور  
الزمن وتغير المواقف، وجد الإنسان العربي نفسه خارج مسوغات البحث  
العلمي المتواصل. أمام هذه الإشكالية المزمنة إما أن يدير المرو ظهره لما  
يجري من حوله، أو يزكّب التعدي - بالقدر المؤهل له - من أجل تخطي  
السيرة نحو تجاوز المكرور، واستقصاء الداء الدفين، وقلة البصيرة، ونكاد  
نقول إن البحث العلمي في مؤسساتنا العلمية حَقْلٌ من تدهر منزلته، نظراً  
إلى أننا لم نُورث - أو بالأحرى لم يبقَ - من هذا البحث العلمي إلا البعد  
الشكلي في نتائجها العديمة الجدوى.

وما كان لهذا التردّي أن يحدث لو لم نُهمل أهم عامل من عوامل تلاقح المعارف وهو فعل الترجمة التي ظلت حقيّة في مساحتنا المعرفية بدءاً من عصر الانحطاط الفكري. وفي المقابل عدّت بقية لغات العالم حقيّة الترجمة غاية التطور المعرفي وأصبحت المراحل التي نقلتنا من بداية عصر الانحطاط إلى الوضع الذي نحن عليه إلا معيرة عن المقم الفكري وتأكيد الابتعاد عن «المعرفة الاجتماعية الإبداعية» فأصبحتا ممارس عملية «الفعل» مقابل «حركة» «الوصل» التي مارسها الشعوب والأمم الأخرى بجدارة. ونمل في ذلك أسباباً أغلبها مستمد من ترجيح مفهوم النقل على حساب ميزان العقل. وإذا كان هذا الأخير يصيب، دوماً، إلى التجديد، فإن المعيار الأول يتسكّم في إنتاج «حركة» «الفاصلة» على وتيرة الفتور. وتراكم وقائع التاريخ السلبية دليل على ذلك. وإن «تسان الحال» أيهنّ من الحال كما يقال، وهو الأمر الذي يدعونا إلى إعادة النظر في المقومات التي من شأنها أن تُسهم في دفع عجلة معيّنات الحركة الفكرية بوجه عام، ويُمدّ هذا شرطاً من شروط التواصل المعرفي على مر المسور عند كافة الشعوب المدعوة للتألف.

وفي مثل هذه المواقف لا يمكن أن نكسور معرفة دون إخضاعها إلى المناقشة، وهذه الأخيرة من صميم الفضل إلى الدراسات الترجمة، لأنها السبيل الوحيد إلى نماء المعرفة وتطوير الفكر. وفي ذلك مما ليم منه بدء من مطلق تواصل الذات مع الآخر. وإن كل معرفة لا يتوافر فيها شرط هذا التواصل لا يتحقّق فيها الابتكار المميّز، إضافة إلى كونها عاملاً من عوامل تطور الحضارات. ومعتدلت يُفترض أن تتضمن الدراسات الترجمة مهمّة التواصل لتداول المعرفة في شموليتها، وتشجيع المموّال العلمي وإزالة العقبات أمام المقم الفكري الذي هيمن علينا بما لا مجال لتقبله أكثر مما كان.

ومن المؤكّد أن الرغبة في تمكين الترجمة من هذه الطروحات والدخول في الوصي بالانساق الثقافية سوف يَنجّ منه جدل حاد قد

يُصعد التَّوقُّ إلى مُتَجِةٍ مَأْمُولَةٍ، وذلك عندما تتداخل وظيفة الدراسات المقارنة مع مهمة الدراسات الترجيمية، فتتشاكل التساعي بينهما، وهو مسئلة شائكة بلا أنفى رتبته بحيث يصعب فكك التسميغ الواصل بينهما، بعدما صعد مع تزايد الاهتمام بالدراسات الترجيمية التي أصبحت تُعرض نفسها بديلاً للأدب المقارن.

وزن الدراسة التي تتقترحها لا تبس إلى للتفاضلة بين الدراسات الترجيمية والدراسات المقارنة، وإنما تبس إلى إعادة صياغة مفهوم نصدي للتفاضل الثقافي بينهما، وذلك في ضوء عرق الثورة في تقويم الفكر العربي، وعدم أداء وظيفة عد الجصور - من كل منهما - والتلاقح العربي بين أصالته التواصل من زاوية ثقافية تصل بين مميزات معرفة الآخر وخصوصيات الذات، من جهة، وبين نفس من لغة مصدر إلى لغة هدف من جهة أخرى.

ولما كانت الدراسات الحديثة غالباً ما تميل إلى تشجيع الترجمة فليس وظيفة الأدب المقارن في نظر الباحثين بآت تواضع الدراسات الترجيمية لتحل محله، في منهجه، ومفكراته، ومناهجه، وقائده، وهو أمر كان بالإمكان تفاديه لو حاول هذا الجنس للمرحلة - المقترح على عرض عملية التأثير والتأثير - تجديد نفسه بما يطرد مماثلة التناقض بين شئ أنواع المعارف والأسم، وفي هذا نقهصة في نظر الباحثين، فداركتها الدراسات الترجيمية؛ الأمر الذي أظفر تحدياً في التواصل بينهما، جنباً إلى جنب، في فهم النص وإغناء الفكر.

وما من معطيات خالصة إلا وشقول إلى نتائج احتمالية، من باب الاستنباط المستند إلى طرائق منهجية معينة، وليس المقصود بالنتائج هذه الحالة نظاماً علمياً يمتد على برامج دقيقة، ويختص إلى نتائج نهائية، وإنما المقصود - في منظورنا - هو الطريقة والطريقة تتضمن سبلاً من الإبداع والابتكار.

ولعل في هذا التصور ما يقودنا إلى للنتيجة التي سننوخها في إيجار هذا البصع الذي لودنا له أن يكون إجابة عن رهانات الأسئلة السابقة،

وانتملح إلى معرفة حقيقة الإشكال للعثور بين الدراسات المترجمة ودراسات المقارنة بعيداً عن التثبيت بالرؤية الأحادية أو إصغار الأحكام دون ضرورة الاعتماد على الأدلة الكافية بالاستشهادات الواهية وقد تمعدنا الإكثار منها، في مواقف معينة تكون عوناً لنا في إقناع الختلي بالفشاح: نتوصل إليها، ولتطلع إلى معرفة الإشكالية ليس الختلي بوصفهما موضوعاً وهناك في المساواة في التفضل.

وله كان انطلاقنا من هذا المنظور يضي بالرؤية التهجية الاستدلالية، رغبة منا في جمع المواقف وإثباتها بالمثل الوافي من التعميم، وكان ذلك مبركاً بالشكل الذي ينهض به هذا المواقف أو ذاته والمسلم من التصوري المستشهد بها، ومشفوعاً بالتأمل في اجتهدنا لتحليلها، إلى أن أوت هذه الرؤية إلى وجاهة هذا البحث.

### إشكالية الترجمة في الأدب المقارن

#### «الف ليلة وليلة» نموذجا

وهو عنوان مطمح من خلاله أن تكون له الريادة في السوق من منطلق أن الدراسات التي أمكننا الاطلاع عليها لا تتكمن الموضوع إلا من بعيد، بلض النظر عما توليه دراسات كثيرة من خصوصية لألف ليلة وليلة، سواء كان ذلك من المنظور التاريخي لمصادرها، أم من حيث الفعل القصصي الذي تولى مهمة إتمام الإجراء السردي، يبدأ من الغرب في وقت مبكر بعد ترجمة أسطوان خالان لهذا العمل الخالد.

أما بخصوص الشق الأول من السؤال فإن ما وقع بين أيدينا لم يكن يفي بالفرض الذي انتهجناه في هذا البحث، ولعل أهم دراسة في هذا المجال كانت من موزن واستيت Bennett Simon في دراستها القيمة من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة ودراسات أخرى كثيرة من أعمال غريب، بينا مواقفهم في متن البحث، أما ما كان من دراسات عربية في

هذا الشأن فلم تنظر إلى الموضوع إلا من باب التنظير لأهمية الترجمة دون طرح الإشكالات الدائر بينها وبين الأدب المقارن. عدا «مشروع الدكتور حسام الخطيب» للنهوض إلى الدراسات للمقارنة، في حين تحدث عن علاقة الترجمة بالأدب المقارن - في جزئية هزلية، لم تتعد الأربع صفحات من كتابه الأدب المقارن «من المأخوذة إلى الموهبة» - ويضيق من التخصف والاقتصاب عن الدراسات الترجمة كونها بعيداً للأدب المقارن

ولعل هذا ما مناعف من اهتمامنا بالنظر إلى إشكالية شبكة العلاقة بين الدراسات للمقارنة والدراسات الترجمة وتناولها بما يُعتقد - من - أنها مسألة لم تزل حقلها الأخرى، ولا كفايتها من المناقشة، إن لم نقل إنها ما تزال قيد الدرس.

وقد يهمننا وجهة نظرنا لتقسيم هذا الموضوع إلى أربعة فصول تحدّد معالمها المحطة لتتمتع لرصد مضطت تجليات مبادئ البهت التي أردنا لها أن تقوم على الاستقصاء والتأمل، فضاء الفصل الأول ليشاؤول، إشكالية الدراسات المقارنة وفصل الترجمة، إذ خال النص في سياق التداخل بينهما من خلال الجهد الترجمي وعلاقته بالأدب المقارن، والخلاف الترجمي بينهما.

في حين تناول الفصل الثاني رغبات الذات وتجليات الأخر من منظور أن الترجمة فعل ثقافي من خلفه أن يُسهم في تأهيل الوعي الثقافي من خلال تأثر الآخر في إكساب الذات مستويات متنوعة من المعارف التي تقوم على ربط التواصل في شكل علاقة حوارية بين التصوصي يكون العرض منها تميز الثقافة المنقول إليها، وتكوين حصيلتها التأملية بما يشوبه المكرر والمألوف، ولن يكون ذلك مُفصلاً إلا من خلال عامل الترجمة كإضافة إضافية للإبداعية والقدرة على تشخيص الذات.

أما الفصل الثالث، فقد ركزنا فيه على الاتصال والتلقي بين الثقافات ولشعوب، ودور الترجمة في التطوير للمرجع مع مراعاة ضرورة ترسيخ قيم ثقافة الذات، أو على حد قول غلدي **Makram El-Khatib** المتعب

بالمهاتما Shakespeare أي صاحب النفس العظيم، أو القديس، فيفتح دواخله للشمس والرياح، ويكتفي بجمع نية ربح تتعلق له تقمص من جديري، وفي ذلك تحصين للفصاحة التي تشكل الهوية، والاحتماء بالأسول في حمايتها للذات من الرياح العاتية، الواحدة كما سأل العصف، وهما للتواصل الثقافي لإنتاج المعرفة، والإتمام بما يجري من حول، بخلاصة بعد التحولات للرمزية، بعد أن سطت علينا الأنفة الثالثة نمشياً مع مستجدات العصر، أمثالاً بقوله قاسم أمين - البكرة - التي رعت، أي مهدوة لإصلاح اللغة العربية وليس الإصلاح الذي يرمي إليه هذا إلا دعوتنا إلى أن نُنشئ الفكر وأن نقبض على هويته وإخراجه من كبوته، وس يكون الأمر كذلك إلا برصد تحولات ثقافة الآخر والتفاعل معها، رغبة في استنهاض الوعي المصري، والتصدي لكل «عسالة اختراق» ومواجهتها بإمعانٍ نظري.

بينما جاء الفصل الأخير للتعرض إلى ماوجه النقابي في ترجمة الف ليلة وليلة، وقد بدأنا باستجلاء بعض التساؤلات تلك لفر المجلس المصري الخاند ألف ليلة وليلة وتأثيراتها في الأدب العالمية انطلاقاً من الأدب الفرنسي، وكان علينا قبل ذلك أن نطرح في مقدمة الخلاف حول الانتصاء، وتباين الآراء المصرية والقصرية حول الأصول الأولية والجذور البدئية لهذه التراث الذي لم يستقر في بيئة معينة؛ فمكننا الحكم بانتمائه إليها، كما لم تثبت المصادر التاريخية انتسابه إلى أي منها، ولعل ما يهمنا في هذا الطرح هو الإشغال للمصريين بأهمية هذا النص وما لقميه من انتشار عالمي ما يزال يشهد على انهيار الغرب والاتجاه إلى بضمه والوقوع في دائرة سحره الفاض. وقد دار الفصل في معظمه حول مكاة ألف ليلة وليلة في الأدب العالمي، وكيف تسبب ذلك للعالم السحري بكل تلك العجائب إلى الأوساط انظمة من معالم الرواية، والمسرح، والتمهر، والفن الموسيقي، والفن التشكيلي حيث أثر تأثيراً قاطعاً بروحه للرجة، وسحره تصبيغة القريب في لوساط الثقافة العالمية.

ومصعب على أي باحث أن يقف عند حيز الترجمة أو التأثيرات، أو الاقتباسات من هذا النص للمجاني الذي عر مجريات الحق الفسي، مد ترجمة أنطون غالان. ورغبة منا في إضفاء هذا النص الخالد في منظور الفريسي، بقدر ما وسعنا، وما توافر لدينا، أضفنا ملحظاً في نهاية البحث يُقَيِّمُ بعبارة عن ألف ليلة وليلة بيئاً فيه - بما تيسر لنا - كل من اهتم بها من العربيين سواء من حيث الترجمة أو التأثير بها، أو الاقتباس منها، في الكثير من الأعمال الفنية الطليقة.

وبؤذ، أن هذه الدراسة لم تكن سوى محاولة تقاربية لهم بعض سردي في تراثنا القديم من الشعبي من فاعلت القريب عليه بأنهم بعد أن ضاف ارجاء العالم ومع ذلك ليس في استطاعة أي بحث أن يلم بكل ما يمكن أن يكاد في موضوع تأثير أو مقارنته، بقية الأعمال الفنية الأخرى بل يكفي البحث أنه أثار - كنز من الأبحاث - الإشكالات التي صنعت معالم السردية الروائية والإدماشية في نص الليالي.

وإن سمعت لنا فاعلة الاختلاف أن تكون في هذا البحث قد أثرنا سؤال التقصي، وسبيل التامل، هللنا مدرك أهمية الدقة والتماسك اللذين يطرح إليهما أي باحث، ويحرص على توخيها، ولعل في ذلك - أيضاً - ما يُلْهِمُنا الاستمرارية والتصميم، وبعيننا توريح الجهد، لننقلنا ناشدنا الدقة في النصري؛ رغبة منا في إنهاء البحث إلى الحال الذي يمكن أن يُقَسَّ من السؤال في كثير من المواضع، وإن يشير جدل السؤال الذي يحول إلى تعدد المعنى، ويُقَسَّ بأي باحث إلى التفرع في الممارقات والاختلافات، بحسب طبيعة لرواية المنهجية المنتمية. وقد لا يطابق مشام هذا الجهد إلا قول الأصمغاني في كتابه الألف ليلة وليلة، «لاني رأيت أنه لا يكتب لسان كتاباً في يومه إلا قال في حده أو غير هذا فكان أحسن، ولو زيد كان كان يستحسن، ولو لُدِم هذا كان أفضل، ولو كرك هذا كان أجمل، وهذا من أعظم السرا وهو مذكور على استيلاء التقصي في البصر».

**وله الحمد والشكر**

## **الفصل الأول**

### **حركة الترجمة والدراسات المقارنة**

- البعث الأول: من الأدب القلبي إلى الترجمة .
- البعث الثاني: متطور عقليتي ثلثي وجهد ترجمي .
- البعث الثالث: الطلائع الترجمي وتحديد المستقبل .



## المبحث الأول

### من الأدب المقارن إلى الترجمة

#### أولاً - الدراسات المقارنة وفصل الترجمة:

يمتد الأدب المقارن من الحقل المعرفي الذي تتوسع في مجال دراستها، ويتمدد لتتطفر بمختلف الأجناس المعرفية بخاصة منها العلوم الإنسانية. فعلى صعيد الموضوع تشكل الأجناس الأدبية معاور تساؤل معرفي مستمر بالنسبة إلى هذا الحقل أما على صعيد المنهج، فإنه يرتبط بالمنهج، والتاريخ، والنقد الأدبي، كما أنه يستقي من العلوم التجريبية أدوات التحصن المقارن لاستخلاص نتائج موضوعية.

ويعتبر المبادرات المعرفية في صميم قابلية التحول والتبدل من خلال تطور وجود الإنسان في مساحته الحديثة منذ تماطي المعرفة في مهادها الأول، حيث تفاعل الناس فيها بينهم عبر الأسفل، ومن طريق الرحلات ونقل مآثرهم يومئذ حتى، كان اهتمامها تتأجل للتمسك بالأخبار شاهدة، ثم تطورت تلك الوسائل مع تطور الكتابة والمطبعة، والترجمة، ولتتأثر لغات الشعوب الأخرى.

كما لعبت المبادرات الاقتصادية والتجارية دوراً كبيراً في تقريب الصلات بين البشر والانفتاح على الآخر. وتكن مطامع البشرية كانت أبعد تحملاً، بحيث انضمت تلك العلاقات لتشمل تاريخ الأفكار.

وهكذا، بدأت تفسط حركة التأثر والتأثير تكويها نابعة من قوى الإنسان الباعثية وعريقته في مد جسور مع الآخر. ولعل معالم تلك الجسور، ما كانت لتصبغ أمام اختلاطات الأذوق والإيهام، لولا الاستقلال النعيمي لوضوحه التأثر التي حوّل لسطحها الانتقال بالأدب المقارن من المشاحلات لغوية السلاجة والانتطاعات للقرطة إلى سيق النقْد الجار.

ومن الدراسات المقارنة إلى الدراسات الترجوعية، لما بينهما من صلات انتقارية، وانتهجنا به والخوض في تداخل الرأي، حيث تقدم لنا الدراسات التي تناولت حقل الأدب المقارن مثلاً تصور الترجمة المتزايد الذي يسمى إلى تشارك المصادر بين الدراسات المقارنة والدراسات الترجوعية. ومنهم هذا الإطّار تؤدي الترجمة دور توسيع النموذج الأدبي كونها تنطلق من توصيل رسالة، مفادها الاهتمام بمكانة تلافح المعارف.

ومن هنا، أصبح ينظر إلى الترجمة بوصفها فضلاً مكملأ لما قام به حقل الدراسات المقارنة للمعرفة، الآتية من الخارج والتي تنهاها الأدب المقارن. ولعل هذا ما جعل فكرة التماثل بين الحقلين فضلاً إيجابياً، إلى حد ما، حيث هذا النوع من البحث الذي ينطوي غالباً على مراجعات جذرية للتاريخ النقدي والأدبي، أصبح ممكناً بسبب التقدم الذي أحدثته دراسات الترجمة وخاصة نظرية الأنظمة المتعددة. ولقد حاول الباحثان الهلجيكيان جوزيه لاسبير *José Lambert* وريك فان غورب *Rik Van Gorp* في مقال عام 1988 أن يخلصا الإمكانات التي يتيحها هذا المنهج، ثم يقوما بتعداد بعض مجالات البحث التي يمكن تطويرها والتي تشمل تحليلاً تفصيلياً لكل من النصوص ووسائل إنتاج هذه النصوص<sup>(1)</sup>.

والحال هذه، كيف انبثقت الترجمة من الأدب المقارن؟ ومضى وكيف اصطلاح على ذلك؟ ومن رواد هذا التطور في حقل الدراسات الترجوعية؟ وما حدة كليهما؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي ينطق بها من بالأسف والتعجب، بينما يرتبط أغلبها بالمنهج المتبع، واختلاف المرجعيات، وحدة الأفضلية.

ولعله مما أسهم في جعل الدراسات الترجوعية بديلاً للدراسات المقارنة هو ما رآه بعض الدارسين - اعتقاداً منهم - أن الأدب المقارن اصطلاح غير

1 - سرعان ما أصبحت من الأدب المقارن إلى دراسات الترجوعية، مجلة الآداب الأجنبية، عدد 194، اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2006، ص 86.

كامل، أو بمعنى أصح اصطلاح ناقص، لا من حيث الإطار فحسب، ولكن من حيث التسمية أيضاً، وهو ما جعل أحدهم يقول عنه: «إنه تعبير ناقص لأنه غامض، لكنه ضروري لأن استقمامه يرجع إلى قرن من الزمان، فهل من الممكن أن يحل محله تعبير آخر يكون أقل تشويشاً واستغلاً؟ ومع ذلك فإن كل البهائم المقترحة - وهي إما بالغة الطول أو بالغة التجريد - لم تستطع أن تقرر من نفسها»<sup>(1)</sup>، فهل يمكن التصور أن المعجملات الغربية لم تلمح إلى بحث المصطلح للالتزام لهذا الحقل اللغوي المتنوع، ولغني بمادته، وتصرعاته، وشمولية موضوعاته؟ ثم إن الاختلاف سببه نوعية الفهم والنظرة أم أن قابلية التحويل والتبدل للأجسام اللغوية صفة ملازمة لحركة النمو والتطور الإنساني؟

لا شك في أن الأدب المقارن لم يكن حالة أدبية أو معرفية متأخرة، ولا نستطيع وصفه بالتصور الأسري الذي أسهم في خلق بديل له، لأننا كثيراً ما نشكو من صعوبة احتواء المصطلحات ما بالك بلم فني، وهرب في أن- وريما - وكثيره من العلوم والمعارف الأخرى - لا يمكنه التخلص من مصير الالتباس اللفظي، وفني عن الذكر أن المصطلح قد اتخذ حتى المواطنة الشرعية، وقد اعترف رينار *Renan* في مؤلفه «حياة يسوع» إبان حديثه عن «الجنس العنصري» بأن مثل هذه التسمية ناقصة تماماً، لكنها، شأنها شأن «العنصر القوطي» والأرقام العربية، يجب الحفاظ عليها لكي يتم عبر اللقاءات حتى بعدما تبين الخطأ في استخدامها<sup>(2)</sup>.

إن ما يرمي إليه هذا الفرض من وصف قد لا يتلائم والصيغة التي أوردت فإن تيجم *Park Van Tijen* بخصوص التسمية والانشاء حيث نجدت يقول: «إننا نستعمل لفظة «الأدب المقارن» لتكون متشبهين مع

1 - كوند بيريرا، ونصيري، م. رمود الأدب المقارن، ترجمة، محمد عبد السرير، مكتبة الأجلو المصرية، ط 2، 2001، ص 23.

2 - مرجع نفسه ص 30.

الاستقبال الأكثر انتشاراً دين إن نرك مجالاً لأي غرض، أو إيهام على  
خاصية هذه التسمية ووضوحها. أما لفظة «المقارن» فقد استعملت في عم  
الكلمات وعظم الإسناد، وعظم الحيوان، وتحت تأثير أفكار وأراء واحدة<sup>(1)</sup>

ونكن إمام هذا الطرح، كيف تُستقبل الترجمة ضمن سياق حاجة اللغة  
الهدف إلى ترميز مكانتها، وإغناء معجمها بفضل حقل للدراسات المقارنة؟  
وهل ما يترجم لا يقوم بالوظيفة نفسها التي يقوم بها الأدب المقارن؟ وهل  
وظيفة الترجمة تتجسد في النظر والترجمد والإملاحة على الآخر؟

لعل الإجابة تكمن فيما يمكن أن يجهله من مقولة أندري لوفيفر  
André Lefevere من أن الترجمة ليست مجرد «ناقلة مفتوحة على عالم  
آخر أو أي من هذه التسميات الزائفة المستهلكة، ولكنها قناة مُفتّحة، وبالمثل  
ما يُقابل هذا بأصنام غير ظاهري، وتتخذ عبرها التظاهرات الأجنبية إلى  
الثقافة المحلية، فتتعداها بل تساهم أيضاً في تحويل مسارها»<sup>(2)</sup>.

لقد حملت الدراسات الحديثة من انتقالاتها بالتوازي بين الأدب المقارن  
والدراسات الترجمة، ويُبحث في مدى التوافق في إشكالية التسمية بينهما،  
ولم تكن التسميات من سدة ثغرات هذا الفراغ بين المصطلحين هي في  
جوهرها جارية، من حيث كون كليهما - الدراسات المقارنة، والدراسات  
الترجمة - في المجالات العلمية أقرب إلى الدقة والثبت منها إلى المجالات  
الأدبية الأمر الذي يحد من مسألة البحث عن وظيفة كليهما. وبما أن  
مصطلح المقارن قد استعار منهجته من العلوم التجريبية فقد ظل في نظر  
سوزان باسمنت Suzanne Scalet حين أزمة شرارة المركزية الأوروبية  
الوهمي الذي أورثا إيهام الترتيب التاسع عشر، كما نأثي أثره - في نظر  
الباحثة - من رفض التضمينات السياسية في عملية النقل بين الثقافات

1 - فان تويج، الأدب المقارن، ترجمة: سامي مسباح السرياني، للكتبة المعاصرة للطباعة  
وانشر، بيروت 1970، ص 19.

2 - أندري لوفيفر، الترجمة، التاريخ والثقافة، كتب مرجعي، لندن، روتليدج، 1978، ص 2

والتي هي عملية أساسية لأي نشاط مقارن<sup>(1)</sup>، في حين ظلت الدراسات الترجمانية وفيرة لتتجرات الحالة الأدبية كونهما تطلق منها، ويتأسس بها الأدب وينتهي إليها.

ولعل في هذه الطريقة ما جعل حقل الدراسات الترجمانية يمرر على حساب الدراسات للقراءة دون إلتفات، أضف إلى ذلك أن هذه الترجمانية منحت الدراسات من الإسهام في تقريب الأدب في مجالات التعبير أو المعرفة الأخرى بطريقة منهجية، رغم اختلاف وجهات النظر بينهما، عن طريق البحث عن روابط التشابه والفرق والتأثير، أو تقريب الأحداث والنصوص الأدبية فيما بينها، سواء كانت متماثلة أو متقاربة في الزمان أو في المكان، عسى أن تنتمي إلى لغات متعددة أو ثقافات متعددة وإن كانت هذه تكون جزءاً من تراث واحد، بهدف وصفها، وفهمها، وتوثيقها بطريقة أفضل<sup>(2)</sup>.

بيد أن الاختلاف حول المصطلح ينبع من الحسنة الدلالية لكلا المصطلحين، فإذا كان مفهوم المقارنة في نظر الفرنسيين - وهم أول مؤسسي الأدب المقارن - يلعب من ضرورة بناء المصطلح على المصطلح *Littérature comparée* فإن الإنجليز يفضلون بناءه على التسمية *comparative literature* وبهذا كانت طبيعة الالتباس التي رافقت نشوء المصطلح، فإن للممارسة التي بدأها في ألتاها، وأزدهر جعلت المقارن أكثر حكمة، وأكثر براعة - قبل تطور مفهوم الترجميات - في امتحان قدرة الأدب على التمازج والتبادل، وهو الأمر الذي جعل ما يروى هراتسوا جورار لا يزيد لحظة في وصف الأدب المقارن بأنه «تاريخ التماثل الأدبية الدولية، فالباحث المقارن ينفذ عند الحدود اللغوية والثقومية ومراكز مبادئ الموضوعات والفكر والتعبير والمواظف بين أدبين أو عدة لغات»<sup>(3)</sup>. وإذا كان الأمر كذلك، بالنسبة إلى الأدب

1 - «يظهر سوزان باسلين: من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، عدد 124، 2005، ص 77

2 - كارل بيشر، وأندوي، ج. روسو: الأدب المقارن، ص 209.

3 - م. هـ. جورار، الأدب المقارن: ترجمة محمد غلاب، لجنة البعث العربي، وزارة التعليم، مصر، ص 72

المقارن، فإن الأمر مختلف بالنسبة إلى الدراسات الترجوعية من حيث كونها إجراءً وظيفياً يستمد طاقته من طلي القراءة والكتابة، عندما تتحول القراءة إلى استهوار في ذات الآخر، بينما تجلب الكتابة إثبات فعل الذات؛ إذ يعيد القارئ ما قرأه مؤخراً بما يتوافق مع فكرة الاستهلاك؛ أي بما يؤهل المترجم للدخول في فعل الابتكار النوعي، وهو ما أشارت إليه الباحثة سوزان دو لوتيبيريو هاروود وهي باحثة تابعة لمدرسة الترجمة الكندية بأن ممارستها للترجمة... هي فعل الابتكار النوعي الذي كثيراً ما يريد البعض الأصلي غمى بدلاً من أن يحوته<sup>(1)</sup>.

إذاً كان الأدب المقارن يحاذي الأدب كونه يبحث في تاريخ الأدب، ويدرس مواطن التلاقي والصلات بين المعارف الإنسانية، فمن المترجم يجاوز حدود التأثر والتأثر إلى نقل معرفة الآخر ويجعل الإنسان يدرك أهمية إطلالته عليه.

وبذلك شروع الإنسان في معرفة نفسه من خلال الآخرين وهي المرحلة التي جعلته يفكر في تكامل العقل والتفكير، والذوق، والتأمل عبر النواصب، ومحاولة فهم وتذوق واكتشاف حضارة الآخر، «وبينما يستمر الأدب المقارن في جدل ما إذا كان بالإمكان اعتباره حقلاً معرفياً أم لا، فمن الدراسات الترجوعية تعلم وعقود أنها حقول تخصصية، وتؤكد هذا التصريح قوة الأعمال المصادرة في هذا المجال وميومتها على نطاق عالمي واسع، لقد حذن الوقت لإعادة النظر في العلاقة بين الأدب المقارن ودراسات الترجمة ومن أجل تحديد بداية جديده<sup>(2)</sup>.

ومن شأن هذا التفكير أن يزيل الفجوات والقيودات المساندة، ويضرب في الألفاظ مطلقاً في ثروات الإنسانية برمتها. أضف إلى ذلك، فقد

1 - سوزان هامنجهام من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة: سيرة الأديب الأجنبي، عدد 204، ص 24.

2 - المرجع نفسه: ص 77.

أدرك الإنسان أن نظرة الآخر إليه مهمة في نقد الذات وإلهامها، وتحوير مهارات الإبداع، ولذا كان الأدب بكل هويته هو بوابة على الوعي والتاريخ فقد لازم الإنسان شعور في اكتشاف العالم للمستكشف ورائدته الرغبة في استكمال رحلة البحث وما كان اقتطعه الحجة ولا انقطعت الوسائل لذلك. وغني عن التبرير أن الدراسات للمقارنة ما تزال تهتم إلى اليوم بالملاقات التي تقوم بين أدب وطني معين كتب بلغة قومية وبين أدبه أو أدب غريبة، عن تلك اللقطة الموقنتية.

وهمم أيضاً بالدراسات المقارنة والصلات التي بين أدباء وكُتاب وشعراء مثاليين في إنتاجهم الأدبي فكيف يتباينون في اللغة والحضارة، وينتمون إلى أعراق وقوميات تتصل بينها حدود جغرافية وسياسية<sup>(١)</sup>، وبذلك فقد كان مبدأ التلاقي للتعموس واتصال الأدباء في جوهر الثقافة العالمية التي خلقت، انتماء جزل القومية تلك التي تهمها بعض الانتماءات القومية، وتتمسك بها، نظراً منها أن الانكفاء على الذات من شأنه أن يحافظ على أصالة الإبداع.

### ثانياً - منارات الإشعاع في العالم العربي

لقد نقل المقارنون والمترجمون العرب عن دراسات اللغويين روح الإسهام في تقدم الفكر الإنساني، مشهودين بكل فهم الإفادة من الروايد الأجنبية في إضفاء الثقافة الوطنية، ويفصل الدراسات الحديثة التي توليها الترجمة - رغم عدم رعايتها الرعاية المطلقة - بشأن تميز إمكانية التلاقي بين الحضارات، وبخاصة بين المعارف والأدب، وهي في هذا تتفق مع رسالة الأدب المقارن مسبقاً، ويظهر في هذا المضمار ما تفرص إليه محمد غنيمي هلال في أثناء تطرقه للأدب المقارن والذي يقول فيه إنه، بشرح ساحل التلاقي التاريخي بين الأدبيات وبين طبيعة هذا التلاقي، ويومع ما

١ - يشير، رحمه الله، إلى الأدب المقارن والأدب المعاصر في الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٢ ص ٩

يمر منه من نتائج في توجيه حركات التجديد الأدبية والفكرية مع الكشف عن وجوه الأصالة في هذا التجديد<sup>(1)</sup>، وهو تعريف على بساطته إلا أنه يمسك عمق الشعولية التي يطمح إلى تعميقها كل من الباحث في الدراسات المقارنة والمباحث في الدراسات الترجمانية، في ظل الحاسبات المتعددة لمعادل الوعي للظواهر، ومحاولة الارتباط بوثائق الثقافات العالمية عبر التأثيرات الإيجابية للقرنات والأفكار.

وفي مدا الخضم ليس لنا إلا أن نقارب بين مفهومي المقارن والترجمة في الوظيفة الدالة لكل منهما، من منظور أن العلاقة التي كانت تربط الأدب المقارن بالترجمة - إلى منتصف القرن العشرين - هي علاقة تكريم وابتست علاقة تناقض، وتربط في الطرح ونماذج في المنهج: رغم اختلافهما في الوظيفة، خاصة ما وقع من تطور في الترجمة نهاية القرن العشرين، حيث بدأ الثباين يتضيق وهذا مفهوم للترجمة ينشأ نسبياً، ويخرج من مدلول الأدب المقارن، وهذا يعطو الانعكاس والقياس.

ولسائل بعض الباحثين ما إذا كان بالإمكان إصلاح العلاقة أم أن وقت الطلاق قد حان؟ ويمكننا أن نستمر هذا التشبيه بوصف العلاقة بين الأدب المقارن ودراسات الترجمة، حيث كان يوجد دائماً جانب مسيطر وآخر خاضع باعتباره الأرب متفوقاً على الترجمة.

إن إعادة تحديد هذه العلاقة ستغير ميزان القوى، وستجعل دراسات الترجمة شريكاً أساسياً، ولا يعود الأدب المقارن طرفاً مسيطراً.

وسنكون لهذا معنى ليس فقط من منطلق الحالة الجديدة التي وصلت إليها الأبحاث الحالية في هذين المجالين، بل من خلال الموضوعات الدراسية المختلطة أيضاً.

1 - محمد غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر دار النهضة، مصر، ص 3.



فقد كافح الأدب المقارن مراراً وتكراراً من أجل تحديد هويته، مُصرّاً ودرجات متفاوتة على التمسك ببعض التقييم، ورافضاً الدعوة لضرورة تحديد أكثر وضوحاً لدى هذه الدراسة ومنهجيتها، بينما اهتمت دراسات الترجمة بالتحصيص والسميات، بالتطبيق والنظرية، والعمليات الثقافية والأنية، وأهم من كل ذلك بعملية التعامل التي تحدث في عملية الانتقال الثقافي الداخلي وما تتضمنه من معانٍ إيديولوجية<sup>(1)</sup>.

ولقد أرى نقب في هذا المجال عند إشكالية مفهوم المصطلح الذي جعل القتل يتنازل عن يمينيته في ظل الاتجاهات المتنافسة بين الدراسات الأمريكية التي تعتبر نفسها زعومة الأدب المقارن وحاضنة له، وبين الدراسة الأمريكية التي تذهب نفسها وصية على الفكر الإنساني ومدى تأثير الغرب بها، ومن ثمة نشأ اختلاف حول مفهوم الأدب المقارن، ففي فرنسا يحدون مفهومه بوصفه العلم الذي يبحث ويقارن بين العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة في فئات مختلفة... ولا يحاول الربط بين الآداب وبين الفنون والعلوم الإنسانية والتطبيقية الأخرى.

في حين يعرفه الأمريكيون بأنه البحث والمقارنة بين العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة فيما بينها، وبين الآداب وثيقة أنماط الفكر البشري من فنون وعلوم<sup>(2)</sup>.

وقد لا نجد تفسيراً موضوعياً لاختلاف المدرسين بسبب تدخل الفنون والعلوم، بخاصة ما شهدته القرن العشرين، تحديدأ، من ثورة فكرية قامت أساساً على تكامل الفكر والفن، حتى أصبح من الصعب في المداة الأخيرة بداية الألفية الثالثة، التفرقة بين هذه المصطلحات مع حصل دراسات المقارنة، كالنقد المقارن، والشعرية المقارنة، وللدراسات الثقافية،

1 - سوزان باسيفيت، من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، عدد 124، 1996، ص 77  
2 - دبرج محمد، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1996، ص 15

والدراسات الترجوعية، وهو ما ألوحى لبعض المقارنين الأمريكيين بإعادة النظر في وظيفة الأدب المقارن على نحو يجعله أكثر راحة من خلال قوله، «من المتفق عليه الآن بصفة عامة أن الأدب المقارن لا يقارن الآداب القومية، بمعنى أن يصنع أحدها إزاء الآخر، ولكنه بدلاً من ذلك يقدم مهباً لتوسيع نظرة الإنسان في تناول الأعمال الأدبية المعينة، إنه طريقة للنظر إلى ما وراء الأطر الحقيقية للحدود القومية من أجل إدراك الانجذابات والحركات في الثقافات القومية المعينة ومن أجل إدراك العلاقات بين الأدب والمجالات الأخرى للشعاب الإنسانية»<sup>(1)</sup>، ولعل هذا ما تقوم به الدراسات الترجوعية العربية، تحديداً، والتي أصبحت متجهة نحو لدخل الثقافات، وبصفة أدق، أصبحت متجهة نحو تدخّل الأنظمة المعرفية، حيث بات من الأجدر، في نظر دارسي الترجيمات، أن نعتي هذه الأخيرة بتدخل هذه الثقافات.

، وقد يكون خير من تألّونا به وتناول مثل هذه المسألة، ومُعَدّ على الدراسات المقارنة الباحث: ريماء Karam الذي لولّى اهتمامه إلى الدراسات الثقافية المفضلة وتأويلها وتقييمها في قوله:

**The Comparison and interrelation of ways and directions of analysing, interpreting, and evaluating literary works in different cultures<sup>(2)</sup>.**

لقد حدثت عزات وشروطات جديدة في قارة افريقي البشري عموماً، وفي المساحة العربية على وجه الخصوص، منذ أن بدأ العربي يمي وجوده

1 - عبد الحكيم حسان: الأدب المقارن بين المرمون الفرنسي والأمريكي مجلة صمد، مصر، ج 2، مجلد 3، 1983، ص ٩٤

2 - Henry H.H. Karam: *Comparative Literature: Its Definition and Function in Comparative Literature: Method and perspective*, Southern Illinois University Press, 1971:3-57.

ويستمر أيضاً حمام التطبيع للأدب المقارن من الملكية إلى البرية، الفطس الوطني للثقافة والفنون والتراث، إدارة الثقافة والفنون، قسم الدراسات والبحوث، الموحدة، ط ٢ 2001، ص ١3٤ وما بعدها.

ووظيفته في ظل المعتقدات الجديدة ولعل اختلاف الوعي بما لا ذلك  
اختلاف المفاهيم والأعراف، والقوميات كان سبباً في تطوع الذات إلى معرفة  
الأخر. وفي مثل هذه التطلمات بدأ يأهل مفهوم الأدب المقارن، سبباً،  
وعرسته بعض الإسهامات منها عملية التأثر والتأثير، التي مهدت لجيل  
علم جديد هو علم الدراسات الترجمية.

ورغم ذلك فإن صياغة هذين المفهومين - في نظر كثير من الباحثين -  
من مجموع التمرينات التي أوردتها المصنفات الغربية، على وجه التعديد،  
وظهر من المجموعات المترجمة، تَمَكَّنَّا من القول بجهتها بأنهما اللذان  
يبحثان في عناصر التكوين الفني المشترك في مواضيع كثيرة رغم اختلاف  
الذية بينهما، ومواطن التأثير المتبادل بين مختلف الآداب والموسيقى، كما  
أنهما يتعدان في دراسة مواطن التشابه والقرابة بين النصوص، ويختلطان  
في تفسيرها في ضوء آليات التحليل والتاريخ.

ولا تزال مظاهر التمهيد الاصطلاحي قائمة في حقل الأدب المقارن  
والدراسات الترجمية، ولكن الذهاب إلى أبعد من حدود الترجمة، أو  
الإشكال الفلسفي، من شأنه أن يجعل من هذين الحقلين العلميين مجالاً  
مزدوجاً، لا شك في أنه من، ولا يزال يمر، بآزمة من التحولات المفاهيمية  
والإجرائية، خاصة في بداية الألفية الثالثة، وربما أصبحت في الأهل  
الدراسات، وتوحد المعايير والأحكام، وتعيداً عندما تقترب الأدب المقارن  
بالدراسات الترجمية في ظل تطور المفاهيم الجديدة.

فكيف تطور مفهوم هذا الرئيس الخصم المشاكس لمضانة الأدب  
المقارن؟ وهل ثبت أهميته بمقدار ما كان يُقَالُ من الأدب المقارن، أم أن  
التكهن بعد أكثر توافقاً مما مصدر عن الواقع ؟

## المبحث الثاني

### متطور مقارني للأدب وجهد ترجمي

#### أولاً - تطوير المصطلح

تطور الأدب المقارن على أيدي الفرنسيين أمثال فيلمان، وأمبير، وشال، وغيرهم ممن وسعوا جود عدم دي ستايل والأخوة شلغل، وظلت المناقشات متوجهة حول جذوره التاريخية وأصوله، ورواده المؤسسين، واحتضنت كثير من الدوريات تلك الجذالات والتي تمحورت بالخصوص حول المنهجية التي سوف يتعدد في ضوئها خصائص هذا العلم، وإدواته، وأهميته للفكر الإنساني، وإضافته في المجال العربي بشكل عام.

ولما كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الأدب المقارن، فإن الترجمة بمعنى دأب سوهي إلى مصادرة النتائج التي توصل إليها الأدب المقارن عبر آلية الانفصال عنه واحتواء دراسة الآخر، واحتراق حدود امتلاكها، على حد تعبير جورج شتاينر George Steiner الذي يرى أن الترجمة تعطي على عملية الخطأ امتلاكه لنص لغة المصدر، بحيث يتم «إسراء النص» ويمدها يقوم المترجم بالتعويض عن هذه الفجوة للمدولية بإشارة إلى النص الأصلي<sup>(1)</sup>؛ وذلك من أجل استجلاء غوامض النص كما وضع ذلك نهدا 1984، ونوبيرت 1985، ونورد 1991، ومثيل هورني 1988 ولاروز 1989، ورايس وفيرمين 1991 وفلمس 1992. وغيرهم ممن كان لهم دور الإسهام في تطوير الترجمات والسعي إلى توضيح مسار الفكر الإنساني وتقريبه.

تد تجن هؤلاء العلماء والعلوسون مشوهي الأدب المقارن وأكتراسات ترجمية، كل على حسب منظوره القائم على اللبالات الأدبية ومحاور

---

1 - جورج شتاينر بعد بارل، تعقن ويهوركه منشورات جامعة لكسبورغ 1976 وانظر أيضاً سوزان بايرت من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة ص 78.

التلاقي بينها، وأوجه التشابه والاختلاف بينهما تطلع البعض الآخر بحاسة منهم من يعيل إلى للدراسة الأمريكية إلى اكتشاف الأنواع المصية الأخرى، ومحاولة تفسير علاقتها بالأدب.

واسطلاحاً من مفهوم للمصطلح فيما بينهما أوجه المقارنون، القومسيون مبررة رجة الأدب، لتقارن، بخاصة في مجال التاريخ، وعدم فصله عن الترجمة، مما جعلهم يتمسكون بالفلسفة للوضعية، بينما اتعد المقارنون الأمريكيون موقفاً معتصماً يطمح إلى دمج الأدبي بالسكري، ويحاول وضع الأدب المقارن في سياق آخر من أنواع التعبير الإنساني، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك بحيث لم يروا مانعاً من مقارنة الأدب بالنتاجات الفكرية الأخرى، وهو ما يطلع عنه الطابع التاريخي البحث وهو الأمر الذي شدد عليه الفرنسيون.

وتعتبر تاريخية الأدب النشطة السوياء باعتماد مرجعية تاريخ الأدب المقارن، والتي جرت إلى مستقبح الترجمة، وأولفته في عقدة الألفية، بحيث لم يد في الإمكان التغلبي عن منطقة النموذج. وليس فريفاً أن يشك لدرسو فريفا بإرثهم الكلاسيكي بأسطون ممايرهم كقياس للاكتمان الجمالي والبلخي على الإطلاقي عبر مكرئين، بالطلع إلى شجرة المعارف الأدبية وتجاس بعضها ببعض؛ الأمر الذي أسهم وبشكل خاف في أطول دور الأدب المقارن في وظيفة الإبلاغ والتبليغ.

وتكتيجة لتغير المنعيم والتقيم، شهد كاي الانتقال بالأدب المقارن من الإيمان المطلق بالدور التاريخي للأدب والتصمك بكل مخططاته، إلى الدورسات الترجمة وزرع الثقة في جديتها وجدريتها مما، وانفاجل مع كل جمالياتها، وأيضاً جنباً يمكن التحولات الكبرى التي يمرها المثل البشري في جميع اتجاهين وعلى كل الأصعدة.

ولا شك في أن تذليل العقبات الجغرافية والتوعية، والوطنية، بإمكانه أن يثير شهية البحث عن عالمية، وتجاوز للخلافت المصيبة بجى الأدب تقارن والترجمات، وبذلك أصبح مفهوم للترجمات يتجمع مداء شيئاً

فحشياً، وأصبحت من قضايا الفكر للماصرة في كل أنحاء المعمورة، وقد خصصت لهذا المجال الدوريات، وأقيمت لها المؤتمرات، وأصبحت تُعطي من جامعات كثيرة منها شهادات في الترجميات على أعلى مستوى، كونه اتحدت ملكياً علمياً، حيث ارتقت إلى مستوى الأكاديميات العليا، ونص في هذا الاهتمام بمبررات الترجمة في ظل من جيل بعد تطوراً ملحوظاً ما عدت عليه الظروف لتواتية التي توافرت في تعاغل الأجناس المعرفية، وميلاد أجناس أخرى لم تكن موجودة من ذي قبل.

في حين يماشي الأدب المقارن من عدم الاندماج ولم يستطع أي من الترميمات، التي تفرجة منذ نشأته، أن تقتدي إلى صياغة مفهوم دقيق يضمن له النجاح والامتدادية، ولكن ذلك لم يمنع أبداً من تقديم المحاولات نسبياً، في تطويره سواء سلباً أو إيجاباً، ويكفي أن تثار حوله جدالات عديدة وأن يطرح بمقننات، لم يعمق لها عقله، وهي تعاقبات تصور بالأساس حول إمكانية استقلاله عن المنهج التاريخي، وكيف يجعل منه فضاء للجدل النقدي والمناقشة، ومن ثم هلن الأدب المقارن الذي ولد في رحم الكلاسيكية، فذكر له أن يبقى حبيسها، وإن لا يتجاوز أقطابها الأمر الذي اعتده هو، كونه ما فُتِحَ بقاوم فكرة التمرکز في التاريخ الأدبي، لأنه ظل على مدار وجوده في نظر ربيته، يفتحي موضوعات القصص الشعبي ومهرته، وكيف ومضى دخل حفل الأدب الفني الذي هو أكثر رفهاً منه<sup>(1)</sup>

وفي الوقت الذي يبدو فيه ريشه يولف قلناً تجاه مفهوم الأدب المقارن والمزور، وما لحقه من سوء الفهم، يبدو أن نجم Paul Van Tieghem، على العكس من ذلك، أكثر تشاؤماً وإلحاحاً إزاء وضعية المصطلح، مشيراً إلى الإزهاصات التي سبغته والتي استعملت فيها الموازنات كشكل بدئي، أو بحدی، ملامح المقارنة التي كانت تمتد بين الأدب الإفريقي والأدب الثلاثي،

1 - ربه، يولف وأوسون، نظرية الأدب ترجمة: علي الدين صبيح المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1981، ص 49.

وهو ما صرح به فان تيجم حين قال: «إن فكرة الأدب للقارئ التاريخية حديثة لتعهد على ما يقترن. فهي المصنوع القديمة لم يستعمل أسلافنا سوى الموازاة بين الكتاب الإغريق والكتيب اللاتين»<sup>(1)</sup>، كما شكل الانتعاش والاقتباس منعماً بارزاً في إصفاء الجدل على التأثير الإغريقي وهو ما وسم عصر النهضة.

ولم يكن باستمالة للنقاد والمؤرخين مولكية نمو الأدب للقارئ، نظراً إلى عدم اتساق الرؤى حول نوع المقارنة وطرائق تنفيذها، كذلك لم توفق السدج في تقديم نظرية متكاملة بشأن التمييز بين مختلف أنواع التأثير والتأثر على خلاف الترجمة.

ولعل معارضي فكرة بقاء الأدب المقارن في تزايد مستمر، بخاصة، بعد مطلع الألفية الثالثة، مذكر منهم على سهيل المذال ريماك 1961 *Ramak* وجوزيف سترليكا 1966 *Joseph Strelka*، وجون فليشر *Jan Fletcher*، ودياريا جونسين *Barbara Johnson*، وباربارا غونارد *Godard Barbara* وشيري ساهمون *Sherry Simon* وبني برست *Annie Brisset* وغيرهم.

وقد أشارت هذه الأسماء إشكالية الترجمة في ضوء التعريفات الذكورية ضد الأنثى مثل لوري شامبرلين *Lori Chamberlain*، كما أنطمت الباحثة البريطانية سوزان باسنت *Suzanne Bassett* إلى هذه الأصوات بفكرة مثيرة، كما يقول حمام الخطيب، مستقاة مما لصيه النظرية الأنثوية لترجمة *Feminist Translation Theory* وتستشهد بأعمال دراسات انطلقت من موقف إسقاط العلاقات الزوجية على العلاقة الترجمية: [النص الأصلي/الزوج] و[الترجمة/الزوجة] و[الترجم/التميد].

وبما تكون أكثر الباحثات حرصاً على تفويض دور الأدب للقارئ هي الباحثة سوزان باسنت *Suzanne Bassett* التي أشارت، في مؤلف عديدة إلى

1 - فان تيجم: الأدب المقارن، ترجمة: سامي حبيب الحبيب، المكتبة المعاصرة للطباعة والنشر، بيروت 1974، الأدب للقارئ، ص 29.

أن العلاقة التي تجمع الأدب المقارن بالدراسات الترجمة علاقة مفيدة، ويريد تعقيدها أكثر ما لم يفصل المصطلح عن مصطلح الدراسات المقارنة التي لم تعد تجدي نفساً إلا مطرها.

وبذا كان بروز مصطلح الترجمة ينال حظه من الدراسة والتمحيص في الوقت الراهن، فتلك بفضل نظرية تعدد الأنساق *Polysystem Theory* «وكان في مقعدة مهماتها الفكرية تقويض الفهم التقليدي للترجمة الذي يقوم على أساسه مفهوم للمجم ثنائي اللغة، والذي معاده أن الترجمة بين لغتين ممكنة بسبب وجود مسبق للمعادل الفكري بين نظامي الترجمة منه والمترجم إليه»<sup>(1)</sup>.

وإذا كان للترجمة من صموية في الحميم بين النص المصدر والنص الهدف، فإن للأدب المقارن إشكالية ذواته في المنظور التاريخي الذي لا بد في نظر كثير من الباحثين أنه يخلو من الدقة العلمية لأنه يكرس رؤية ثابتة لفكرة متغيرة، على عكس دور الترجمة التي تكرس فكر التحول المبرجة باستمرار. ومع ذلك فإن النظرة التاريخية والنسبة إلى الأدب المقارن تبقى لها أهميتها أيضاً على الأقل في القيمة التوضيحية والتوثيقية، في حين تسمى الترجمة إلى إبراز القيمة الجمالية للنص، ورغم جهود الباحثين المقارنين في توثيق الصلة بين الأدب المقارن والدراسات الأدبية، أمثال الإخوة شليجل، وأبشنوري، ويوترويك، الذين رسموا الخطوط الفكرية لتأثيرات الأساس في الدراسات الأدبية، ودعوا بعض المعلومات الإنشائية، ومدام دي ستايل التي أطلقت فرنساً كتاباً «عن المانها» على الأدب الألماني بوضوح وجلاء<sup>(2)</sup>، رغم ذلك فقد بقي الأدب المقارن محصوراً في نطاق التاريخية حيث المزايم الفكرية بشأن رسالته قد أعلنت وجوب انفصاله عن تاريخية الأدب والاحتكام بالأدب الخاص الذي يسمو

1 - حمام المنطوق: الأدب المقارن من البداية إلى النهاية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والدراسات الإنسانية والبحوث النوعية، ط 1، 1994، ص 144.  
2 - ينظر: طين تيجم، الأدب المقارن، ص 33.



بسمو ذويه، وأن الأمم قد تقفحت على بعضها، ولأخذت حركات الاندثار  
والناثير تجد عندها لدى الكتاب والمفتحن وهو ما لم يتجلبوب معه الأدب  
المقارن حتى اليوم.

غير أن ذلك لا ينفي خصوصية الأدب وتقديرها بأصالتها. فقد برز  
التأثير الأوروبي، ومن قبله اليوناني والفارسي في النقلة العربية. وانعكس  
ذلك في أساليب التعبير والتفكير. كما كان للجمايلات الشرقية، والثرات  
الشعبية، والموسيقى، والبناء، والتصويف، والرسم، والخط العربي، وغيرها  
من فنون التشكيل والفن والجمال، كل لها حضورها في وتأثيرات جمّة  
تجدرت في البنية الثقافية والأذهنية للأوروبي.

ومن ثم يهيئ أن يتطلع الملتقي إلى التجديد، ويتشد الممارس، من خلال  
التصرف إلى الحضارات المختلفة، وذلك في الرغبة الوجدانية في إدراك  
العمية التي تحقّقها الدراسات الترجمة اليوم في مساعيها الحديثة نحو جهة  
الانسداد، والأبعاد عن الآخر، وهي بذلك تسمى أيضاً إلى استعلاء الفكر  
من كل حدب وصوب، والتقل من ثقافة إلى أخرى عبر وظيفة اللغة.

لقد طور الإنسان نظمته المعرفية، [فكراً، وفناً] بتفسير كل المبادئ  
الفلسفية والعقائدية والروحية. ولم يخل تاريخ لهما من التأثيرات الواحدة  
والتي أضالّت إليها ما كان ناقصاً في إدراكها، أو منعداً فيه. وقد طعرت  
نظرية الأدب المقارن العلاقات التي تحدّها الجيولوجيا الفنية عبر التمرير  
والاختراق، وبرزت المتارنة كمنهج مقارنة تلك العلاقات، وتفسيرها،  
كما قامت الترجمة بربط الحضارات بعضها ببعض من خلال نقل تجارب  
الأخر بل من تمكين الذات من تعميل مكانها في كل نجلياتها، بغاية ما  
يتعلق في إشباع آمال لغة الهدف لتجلبوب من الانسداد والانغلاق.

ولا شك في أن تُنصّب تطور المصطلحين - الأدب المقارن، والدراسات  
الترجمية في كل بلد - لم يكن على قدر واحد من التقسيم، فسطراً لاختلاف  
الأهمية التي أولتها الهيئات المعية لهذين العلمين، واختلاف الرؤية التي  
بنأسس بها، لم يكن لهما مقام، ولا حتى مفهوم خاصان بهما.

لا ننسى أن الدراسات الأدبية في جميع مجالاتها، تشعبت بما لا يمكن صبط تقاصيلها؛ إذ كثرت التخصصات الدقيقة التي استمدت مقوماتها من باقي الأقسام المرفقة، حتى أصبح من الصعب للثقافة بعينها بعض المصطلحات وحتى بعض الأجناس، مثل الدراسات الثقافية، والدراسات الترجيحية، والمناقشة، ناهيك عن صعوبة التفريق بين وتلخيص الدراسات المعارة والدراسات الترجيحية، ونلاحظهما في كثير من المنهجيات الجمالية، وكأنيما أصبحا شريكين متمميين في تناول والطرح، غير أنهما مختلفان في الأهداف المرسمة؛ الأمر الذي أدخل حقل الدراسات فيهما في مناقشة حادة، رغبة في تحديد مسار خريطة البحث والهدف المنشود لكل منهما .

أما في الدراسات العربية القديمة فقد خضع تطور مصطلح الدراسات الترجيحية على حساب مصطلح الأدب المقارن إلى نوع من الاستعانة للتجديد في ظل تحولات الفكر العربي، ولعلامة ذروة جديدة ملائمة لحركة التقدم، ومنسجمة مع تأثراتها الخارجية، وقد يكون أهم ما يشغل بال الدارس العربي اليوم هو الاهتمام بتأكيد الذات في تقاطعها مع الآخر، وهو بمعنى الترجيحية في تناولها للأسئلة المفتوحة على الممكن، كتجربة إستمولوجية وأنتولوجية.

وإذا كان الأدب المقارن في الساحة العربية قد ظهر في جو من الموضوع العربي - على الأقل في زمن الثورات والتحرر من الاستعمار، ومن وجهة نظر متعددة - وتطور في الحق من الاتصالات بين الذات والآخر، فإن الترجيحية ظهرت في زمن تمشي فيه الثقافة العربية نوعاً من الانحسار وزيم، يحد ذلك في جوهره إلى نمو الاحتشاد بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية التي ما فتئت كسبت الثقافة العربية، وتمنع أجناسها بمداخل الوعية في الاحتواء أو محاولة الإمعاء ويزول وزيها الحضاري، وتنامي حدة التفوق ومبدأ الأفضلية لدى ثقافة الآخر. أمام كل هذه المنطلقات، هل يستطيع الترجيحية أن تزيل هذا التيسر وهل مال لترجيحة المشل الذي مني به الأدب المقارن في الدراسات العربية أم أن

أسباباً أخرى تلوح في الأفق لتعقيد مسار الترجمة في الدراسات العربية؟ ومن استطاعت الفناهج أن توحد ما قرره الإيديولوجية، ولتسجمت مع الرؤى التاريخية والتقدمية التي لبقت عنها؟ وعلى أي مدى يمكن للمناهج أن تكافئ لإنجاز الدراسات الحفيدة بما فيها الدراسات المقارنة، وندرسات الترجمة؟ والسئلة كثيرة قد نجد لها بعض الإجابات في الطرائق المنهجية، وبعضها الآخر مؤجل إلى مباحث أخرى من هذا البحث.

### ثانياً - إشكالية المنهج

لابد لكل علم لكي يتأسس، من أن يصحب معه مشكلة تأسيسية ولا ريب في أن المنهج يمثل بالتمسك إلى كل العلوم وسيلة احتواء وأداة إيضاح وتفسير، وملاذ دفع. كما لا يمكن لأي علم أن تتخضع لإدواته الإجرائية في غياب تمثيلي حقيقي لطبيعته الإشكالية التي تحدد مطلقاً معالجه الكبرى.

ولذا كان التخصص العلمي يحرص على عزل المفاهيم ومنعها صلتها بموازاة بتطبيقاتها، فإن لتداخل المعارف في العصر الحديث سمح بتقريب العلوم الدقيقة من حقل الإنسانية وأصبح في مقدور علم التاريخ، والفلسفة، والنقد الأدبي، وغيرها من المعارف في العلوم الإنسانية - الاستعانة من أدوات الفيزياء، والفكرهايات والبيولوجيا، والرياضيات... وغيرها.

وهذا حدث وأن عرفت كل من الأدب المقارن والترجمة هذا النوع من الاستدانة حين تمت فكرة النشر/التحليل لتتألف مسائل أدبية، وبروسا أن تتماثل حول المدونات التي جعلت المقارنيين والترجميين يعملون بهذا المصطلح مهجاً لدراساتهم دون الاكتفاء باستمارة المفردة.

واعتبرت الموازنات شكلاً من أشكال التفاضل بين الأدب غير أنه لم تُشغف كدليل على هيام الدراسة المقارنة، فقد استبدت الموازنة لعدم تمثيلها بين الكدائي والموضوعي، وانتماسها الكلي في الانحياز لأدب بعينه أو المقارنة فقد تفضلت عنها استجابة منقطعة لاكتساب معرفة علمية بمسور الأدب بماصة وقد بدأت للدراسات الأدبية المقارنة تستعين

بالتشريح القارن على غرار العلوم الطبيعية التي أظهرت نتائج باهرة في مجال التقدم العلمي، وفي هذا الشأن تابع كيلر الكتاب مثل جوته ومانزالك هذا التطور باهتمام وذكروا بتقارن في إدخال كل شيء إلى حقل الإنسانيات. ولعامة خلق وحدة العالم عن طريق التقايه وابتداء من عام 1881 ينشر فرانسموا ريتوار *Présence Raymond* كتابه عن النحو المقارن لفتات أوروبا اللاتينية وعلاقتها بلغة التروبادور<sup>(1)</sup>؛ ليصمد فكرة ارتباط اللغة المقدنة بالتمثيل القائم على تجميع النحو المقارن بين هذه الفئات.

ولمعه لا يطلع منهجية، ويصيب الخوف من الإخفاق في إطار تقدم الدرس الأدبي المقارن كان منطق احتذاء العلوم التجريبية مؤشراً على وجوب إخراج الأدب المقارن من مجال اللوازمات المحدود إلى حقل المقارنة المؤسسة على قوانين علمية لا يطالها الشك.

كذلك كان الاحتذاء بمقاربة نقطة تحول في الدراسات الترجيمية، مما جعل الكثير من المحاولات المبكرة في مجال النص المصدر تطنو على الساحة النقدية، بقوة اعتبار أدوات التحليل العلمي وأجرائه، ضمن الجوانب التي تتفق فيها مع منهجية الباحث في النص الهدف الذي ما يرح يتمرس بالوعي الفكري والنظرة العلمية، بين ما هو نظري وما هو جرائي تنبهي، وفي هذا الشأن يطرح *Volker Kopp* مقاربة حول مشاكل النظرية والتطبيق في حقل الدراسات المقارنة والدراسات الترجيمية بقوله «لا أحد يترتب في أهمية المقارنة [الأدبية] بين لغتين، ولا في الأساس النظري لنقد الترجمة والمروطة المصممة، إلا أنه يصعب أحياناً إقامة جسر نحو التطبيق، بدءاً من أسس البحث النظري ( - )، وإذا تمكن علم الترجمة والتحديث من أن يحقق طموحاً جلياً للمصالح النظرية للدراسة الترجيمية، فإن لذلك للتقدم شأناً خالياً وهو أن التجريد التزايد العلم يؤدي

1 - كور بوشا، واندره، ج. روسو: الأدب المقارن، ترجمة: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأجلح المصرية، ط2، 2001، ص 34.

إلى زينة الهوية بين النظرية والتطبيق<sup>(1)</sup>، وحتى في مجال دراسة آثار الآداب المستعارة من ناحية علاقتها بعضها ببعض.

وكما آثار الأدب المقارن تمايزات مفهومية لعدم تطابق السياقات الأوروبية والسياسات الأمريكية كذلك اتبعت الإشكالية حول إجراءات الترجمة وإذا سلمنا باستتارة المصطلح من العلوم التجريبية، فلا شك في أن مسببة تطبيقه في العلوم الإنسانية سوف تتفاوت وقد لا تصل إلى النتائج نفسها.

وهكذا فقد أثارت إشكالية الأدب المقارن مثلاً إشكالية الترجمة خلافاً حول المجال وطرق البحث فهما والتي لم نجد لها حلاً حتى يومنا هذا، رغم التطور المستمر، وخاصة في حقل الدراسات الترجمة، وبالمقابل لا نعتقد أن ثمة ما يربط مسار استخدام مصطلح الأدب المقارن بالترجمة ما زالت الفوضى يكتف جوارب عديدة منها، ولم نجد شكوى جورج مونان، ولا مبادرات *Journal of American Studies*، ولا غيرها من أن يتبروا الترجمة كظاهرة لغوية، ضمن سياق المنهج التخصصي بالتحليل اللغوي، وإذا كان الأمر كذلك، فإن كلاً من الترجمة والأدب المقارن، يعتبران علمي لغة، نظراً إلى الإجماع الدقيق باللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها، قبل أن يقوموا بنقل أفكار ومعلومات.

وبما يكون الباحث الروسي *Andrei Fedorov* في كتابه مقدمة في نظرية الترجمة 1953 أول من ربط آداب الآخر باللغة، بوصفها ظاهرة تستعمل الظروف عندها، أما ما كان من قبل، أو ما صدر عن بعض

---

1 - طه زروق ومطلحة في الترجمة: بعض الأمثلة من سيرتيو بولاتوس كينار / ترجمة بإعداد زيد العمري الرفاعي، الرابطة الإلكترونية

البا حثين أمثال Sapir و Jepsen و Ferdinand de Saussure نظم نجد  
النقد تاتهم التقنية في سياق نقل الآداب الأخرى إلا لقطاعات عابرة. وعليه  
هنا علم اللغة يمكن أن يدخل في نطاق اهتمامات الدراسات المعاصرة  
ودراسة النشاط الترجمي، وإن نقل الآداب الأخرى هي عملية لغوية  
بالدرجة الأولى، بل يجب أن تكون كذلك.

ولم أنه لأمر غير مبرر أن يستمر هذا الإهمال عن قبل علماء اللغة لهذه  
الحلقة القديمة والمهمة من نشاط الفكر البشري خصوصاً بأنحاده مع  
اللغة التي هي الميدان المباشر لعملها

ويظهر كتاب هيدوروف، تغير الوضع تماماً، فاللغة بطريقة علمية  
ومعينة بمثل العملية الترجمة لدراستها بذاتها، وفي الوقت نفسه يقدم  
نظراً، علماً للترجمة، وفي كونه نقل النصوص<sup>(1)</sup>.

ونكي تكون منصفين بحق الدراسات الأدبية والإنسانية بشكل عام،  
نعتقد أن هذه الدراسات كانت في مطلع العصر الحديث تحدث أولى  
التغيرات في منطق تصورها للعالم نتيجة احتكاكها المباشر بالتفكير  
العلمي، عبر لغة اللغة بوصفها وسيلة اتصال.

ويعتقد أنه في ذلك العصر بالذات بدأ الوعي الإنساني يتخذ صدارات  
جديدة صوب كل ما هو عقلي، يخفي صفة للمعقولة على نظم التفكير،  
لدرجة صار معها العقل المرجع الأبعد للحقيقة، ومن ثمة أصبح يوسع  
الآداب والفنون أن تعود إلى ذلك المرجع دون تحقيد، أو رهبة أو شدة. وهو  
الأمر الذي أفسح المجال للدارسين والباحثين أن يتجاوزوا عترة اللغة مادام  
الأمر محسراً على غير ما كان عليه من ذي قبل. وربما أدت العودة إلى  
العقل بالإنسان إلى فهم الظواهر الأدبية والفنية بوصفها انعكاساً لمرية  
منظمة يمكنها طبع الحساسة والرفقة في انتباههم.

1 - يطر جيمس هيدوروف ونظريته في الترجمة الرجع الصلح.

ورغم أنه لا يمكن لتقنيذ التطبيقات نفسها على كل من الترجمة والدراسات المقارنة إلا أن الاستعانة بالنتائج ذاته من شأنه أن يوجد بينهما تقاربهما في الآلية النظرية أو الإجرائية المستعملة.

كما من شأن هذا النهج أن يساعد على التقليل من التناقض المملية، وتخمير نسبة الفضل. أضف إلى ذلك التناقضات التي تنبعت جراء تفتح الأدب اللغوي على الأدب المالي، بفضل الترجمة والدراسات المقارنة والتماثل في نقطة تماس لا متناهية. فقد رأى [كومت] أن الفكر الإنساني يمر في تطور يمر بأربع مراحل ثلاث هي المرحلة البدئية، والمرحلة المتأخرية، والمرحلة الوصفية، أما في المرحلة الوصفية فيعمد الناس إلى تفسير الحقائق من خلال علاقات بعضها ببعض عبر لغة اللغة، ولكي يكمل ظهورها، عليها أن ترتبط باللفظ الأخرى عبر وسيلتي الإرسال والاستقبال لكل من اللغة المصدر واللغة الهدف.

ولذا كان الأمر كذلك فإن نقطة ضعف اللغة بادية على كل من الدراسات الترجمة والدراسات المقارنة من حيث المنهجية المتبعة فيهما، وإذا كان الأدب المقارن أكثر حظاً من الدراسات الترجمة، فإن الأدب المقارن أخذ قدراً من التجربة التي لم تصل إليها الترجمة بعد، ومن ثم فإن قصور المنظر المنهجي في ربط اللغة بهذين المجالين واضح بصفة أدنى.

ولذا كان من بدهم أنه ليس هناك مبرر لدواعي ربط ظاهرة اللغة بعلمي الترجمة والأدب المقارن، ما دام الأمر يتعلق بنقل تصور من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف فإن هذه الفرضية غير مقنعة، بخاصة إذا تعلق الأمر بإمكان معرفة الآلية التي تواجه الباحث في كل الحقل، أثناء أداء مهمته، وهو مصداق كثيراً من التسلطيات والمترادفات النظرية، وبمضي تصبح البصيرة التي تشابه أو تختلف مع اللغة المصدر: الأمر الذي يخلق تنابهاً في الطرح بين هذا لترجم أو ذلك حول نفس واحد. وبلا هذا الشأن يرى هينريه أنه من الضروري أن نجد في نقل النص من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها الوسائل النظرية المناسبة التي تسمح بالتفسير في لغة

الهدف عما هو موجود في اللغة الأصل. وإن ذلك لا يصح في نظره إلا من خلال نقل النص بعاملين أساسيين هما :

1) هدف الترجمة (هو الأتي) كيف يتمكن القارئ (أو المستمع) الذي يجهل لغة الأصل من التعرف إلى نص معين (أو مضمون خطاب) بأقرب طريقة ممكنة. حتى يضمن وفاء النقل من اللغة للمصدر إلى اللغة للهدف

2) الترجمة تعني التعبير بدقة وبصورة كاملة عن وسائل لغة ما، عما عبرت عنه لغة أخرى بوسائلها اللغوية في إطار وحدة المضمون والشكل.

إن التاكيد الأول هو تناول حديثنا لأنه يضع الترجمة في إطار عملي يكون فيها المشتركين بمسألة الاتصال - وبالأخص المستقبل (الداري أو المستمع) - هم محور هدف الترجمة. وفي التاكيد الثاني نلاحظ أهمية وحدة الشكل والمضمون وعلاقته بالترجمة.

وإذا كان الأدب المقارن لم يتجسد من تاريخية الأدب فإن الترجمة لم توضح مسار رقيها فيما إذا كانت عملية إبداعية وفنية، أم هي فرع علمي خالص، إذ إن وظيفة الأخيرة هي أولاً الاستبصار، بدءاً من ملاحظة حالات ترجمة مختلفة متشابهة كلاً منها على حدة، وثانياً توفير الأساس النظري للترجمة العملية والذي يمكن أن يوضح طريق البحث عن الوسائل (اللغوية) اللازمة لتقديم الصحيح والتبرامين لصالح حل نهائي لمسائل معينة.<sup>(1)</sup>

ولا تقوم الترجمة على اللغة فإن الأدب المقارن معني هو الأخر بالإجراء المنهجي لوظيفة اللغة في طرائق تحليله، وهذا يجعلنا نعتقد أن علينا أن نقوم بدراسة النص شكلاً ومضموناً بما يستوجب مقومات اللغة، برصفاً وأسطرة لتقارب المفاهيم وتبادل الأفكار. وإذا كان الأمر كذلك فإن اللغة تُعصَى اشتقاق الفروقات وتُشَيَّ بجزئها. وبشكل الأمانة وأصولها، وإذا هذا ما يدعم لغة ناقل النص المصدر بما يتلاءم مع ذوق لغة

1 - ينظر بضميريه هيدويوت ونظريته في الترجمة للرجع السابق.



النص الوظيف. انصف إلى ذلك، أن كليهما يعنى بملاقته بفقهه الأجسام الأدبية الأخرى ناهيك عن افتقارهما إلى طرائق التحليل، وإلى كل هذا ما يؤكد وجود تطابق، وتماثل في مواقف عديدة من شأنها أن توحد المعيار العلمي بينهما، سواء تحقق الأمر بلغة الأعمال أو بلغة الوظيف، وهذا يعني أن الارتباط بين الترجمة والأدب اللغوي ارتباطاً تحكمه موازين النص من حيث إعادة إنتاجه وإظهار الخصائص الفردية منه.

ولذا كانت نقطة المصنف هذه كافية في آلية تمكثها عن كل الطرفين، فمن شأنها أخرى تميز بين معارفاً مما من حيث للنهجيّة، وهي عدم الربط بين النظرية والتطبيق بدقة علمية.

ولذا كان الأدب اللغوي قد حاول تجاوز هذه المحنة نسبياً، فإن الترجمة رغم الاعتماد للتزليل بها إلا أنها لم تنقل في تكوين الصلة بين ما هو منظر لها وما هو إدراكي في حقها، وإلى هذا يشير Frank G. Kennedy بوضوح إلى أن مجال النقاش في علم الترجمة أمر ممكن لسببين هما: أولاً استخدام مصطلحات جديدة والتي تكون أحياناً متخصصة الفهم على مستعملها، وثانياً - لأنه يتصارع ضمن منطقة شدة هي الصياغة النظرية العلمية وبين إمكانية تطبيق نتائجها، حيث يكس الخاطر - الذي نسمح للحديث عنه أحياناً كثيرة - بأن نظرياته لا تحوز ولا تزال رضا المشتغلين بعلم اللغة، إضافة إلى الصعوبات التي يملئها الترجمة لنقل معنوياتهم المتمثلة من علم الترجمة إلى أرض التطبيق، وبأنه يمكن استغلال هذه النتائج على المستوى الذهني في مؤسسات إعداد المترجمين<sup>(8)</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن فلسفي الأدب يوجه هام، وحتى الفلاسفة، والنقاد نصالحوا وراء تخصصيتهم بالتهج اللغوي التداولي طمعاً في مسح ظاهريهم بقصد إجلال خصوصية هذه الحقول المعرفية.

1 - ينظر بتسوية فيزيوية ونظرية في الترجمة المريج السابق.

وقد انكب هؤلاء على معرفة دقائق ملهح تلك العلوم وتقنياتها  
 التراويله وما يعلق بطرائق استعمالها حتى يتسنى لهم بعد ذلك نقلها إلى  
 سياق دوق المنطقي يقوم أساساً على التأمل الوجداني وليس على  
 الافتراض المنطقي وهو المشروع الذي تفتته - أيضاً - الدراسات الترجمية في  
 معدل نتائج والتأثير كما تفتته الدراسات المتأويله موله في الأدب المقارن.  
 أو لنحو المقارن أو التاريخ المقارن وفي هذا اهتمام بمستوى مدلول النص  
 وطى المنظور اللغوي في الاستعمال اللغوي الذي من شأنه أن يبرز  
 التصميم الإجرائي لخصائص لغة النص [النص المصدر والمصدر المهدف]  
 بصرى المنطقى من فهم المستوى الدلالي. ولئن يتحقق هذا إلا بمثابة  
 الباحث: أنه كان بالإجراء المنهجي لسباق اللغة حتى يجعل إنجازاً مؤمناً  
 لذلك السياق الذي حدث فيه ونقله إلى السياق الذي يتعامل مع سياق  
 المرسل إليه.

ونزاهد التطوير المنهجي والتحقق في المطلوبات الفكرية تضاهلت  
 الرغبة في رجاء كل المعارف بما فيها الفنون والأداب إلى أصول علمية  
 أساسها العقل التجريبي الذي يرد كل الأشياء إلى النجربة، ويخضعها  
 للدراسة المنهجية بفرض تحميل نتائج موضوعية وإيجاد حلول ملطبة  
 تبحث بالباحثين قدر الإمكان من زورط الداني في أخطاء تتبع بالدرجة  
 الأولى من عدم توخي المنهج الصحيح.

وإذا يكن تبني المنهج التجريبي يهدف ربط المعرفة الإنسانية، لذلك  
 بدأ دارسو هذه المعارف بخاصة المحققين منهم في تبني خطوات هذا  
 المنهج المستخدم في العلوم الطبيعية، بعد أن تبين لهم أهميته وانتاج  
 لحصل عنها باستخدامهم هذا المنهج فأرادوا أن يبطلوا منه أية لريط  
 الأدب بدم استقرت تقاليدهما وأسسها الموضوعية، ولكن الذي يجذب  
 هؤلاء الدارمين والأدباء إلى العلوم التجريبية ليس مجرد تقريبها إلى حل  
 العلوم الإنسانية، وإنما الشعور بوجود قانون لكل الأشياء كمن دائماً  
 جوهرها لاكتشافها. ولا يمكن أن يتم ذلك إلا في سياق ما يلائمها من

النظم. أمشرف إلى ذلك، أن محاولة وصل التفكير بالفتني كانت خطوة جبارة في تجديد معاهج الدراسات الأدبية والتاريخية والتي تصمي إلى تغييره. أيضاً، الدراسات الترجيمية لاعتمدها الأساس على الملاحظة والتجربة في الطرائق التحليلية من خلال ارتباط الفكر باللغة.

وقد تكون مقولة هيدجو شاملة كل المعارف لما لها من صلة بالتجربة ومرونة وحساسيتها بشموليتها وجزئياتها للملاحظة العلمية، حتى قال أن فهم علاقة تجربة بأمر ما، شيئاً أو كلاً بشراً... قدغله يمي أن تركه بفهمها، حرفياً يكتي هذا هوكتسنا، فربما قرنا ويهوي على رؤوسنا، رقيب فهوكتا تحويلاً<sup>(1)</sup>.

بهذا هذا دليل على اهتمام العلماء والمفكرين بمكانة المنهج التجريبي الذي يعتبر الظواهر الطبيعية خاصة لهذا المنهج العلمية، بمرس الوصول إلى الإيماني بتأيد الفصول العلمي عن طريق القياس والاستقراء والممثل.

ضمن هذه الأجواء من حركة العقل البشري المشعونة بفزار التجربة وتحدياتها، كان ينتظر من الأدب المقارن والدراسات الترجيمية أن تكمل في ظل معرفة أثر النص الوارد على النص المحتل عن طريق التجربة، حتى يتم التحكم في معنى المنفردات في تشكيل الظاهرة التي يراد دراستها بالاعتماد على مبدأ المقارنة.

غير أنه وعلى الجانب الآخر من إشكالية المنهج كانت بولدر خلاف تلوح في الأفق بين النزعة التاريخية والنزعة الوسمية، وهذا كانت النزعة التاريخية قد اتجهت... إلى مبرر تجميع المقائلي غير المترابطة، فقد انخرضت الفلملفة الوسمية وبموجب تفسير الأدب على أساس من منهج بحث في العلوم الطبيعية، وهكذا تجميع هذان الصاملان ليجعل من

1 - محمد محسن السرحان: الترجمة والفهمينوطيا: سيلة فكر وتقدم، ج 6، فبراير 1996، ص 29

الدراسات الأدبية بعامة ودراسات علمية تنظر إلى ظواهر الأدب تطورها إلى  
حمايل العلوم. وتدرسها على أسس منهج البحث في العلوم. وبذلك نحول  
الأدب إلى علم (1).

وهذا المخرج يكون كل من الأدب المقارن والدراسات الترجمة في حيز  
ما يقتصر منهما أن يحاولا صياغة مبادئ علمية تعتمد قوانينها من  
مناهج التحليل التجريبي. ومن نظرية الانتقاء وحق كل ذلك يمتزج  
عندها إرماء منهجية في المقارنة. وتكرس جهته للناسخ والمأثور بين  
المدارس والأفكار والمضاراة. وتها هذا التصور يؤدي كل منهما دوراً ذا  
طبيعة متكاملة لا تصادمية؛ لأن كلياً منهما مرتبط بالأخر، وإذا كانت  
الأصوات المتصادمة، خارج المجال المبرر، تسمى إلى التفرقة فإنه من  
بدب أولى أن تكون الترجمة والدراسات المقارنة محل ثقة وتضارب بين  
المضاراة باعتمادها الفلسفة الوضعية في تفسير اتجاه الفكر من  
المبتاهن إلى الفلسفي المنطقي للمتمدن من المنهج العلمي، والتأكد من  
صحة النتائج المتوصل إليها؛ لذا يكون من حوام الدراسات الترجمة والأدب  
المقارن الاهتمام بالنهضة التجريبية؛ لأن كل شيء لا يخضع للتجربة  
والتحليل يكون منقوصاً في نظر الوضعية المنطقية التي يبتثق حرصها من  
تحليل المعرفة وفق منطق اللغة وتميز مبدأ التمييز. وبهذا هذا تشترك  
الدراسات الترجمة مع الأدب المقارن في شييهما مبدأ التأثر والتأثير كذاذا  
لصحة التثاقف الحضاري.

1 - عبد الحكيم حسن: الأدب المقارن بين الكلاسيكية والرومانسية، مجلة فصول،  
ع 10، م 3، 1385، ص 14.

## المبحث الثالث

### الخلاف المرجعي وتعدد المستقبل

#### أولاً - خلاف القومى/الوطني

لقد أبوت الأدب القومية مولاً إلى نوع من التعميم أو الانكفاء بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ولعل ذلك الميل ليشمل كل أوروبا بازدياد المتخوف من فكرة الضعية إلى الأدب الأخرى وبرز الدفاع عن الحرية الخلافة للكتاب. ومن موطن القوة والضعف أو الأدب الكبيرة والأدب الصغيرة وكانت مثل هذه الخلافات تقودها النزعات القومية المحدودات والإحساس بالطريق وعقدة الأفصالية.

ضمن هذه المناخات المثلى بالقوميات الضيقة، كانت فكرة الأدب المقارن والدراسات الترجمة في معاض بعيد التحقيق، في غياب نظرية متكاملة لمفهوم المقارنة ومنهجها. وعملية التأثر والتأثير التي تمثلها بصفة أخص الترجمة، باهتبانها تسهم في عزو الآخر واستيلاء على قيمه الحضارية، كما وقع للجزائر مع فرنسا، إيلي الحرب التحريرية، حين وظفت الترجمة إما بهدف الاستعلاء على المسالك أو بدافع التعذيب لاستئصال الحكموم عليهم. وفي مثل هذا الحال كانت الترجمة فضلاً هدوانياً، فقد استبد بالناس للضمور بالسيطرة أو الفرو الخارجى، وما كان لهذه السيطرة أو الهيمنة أن تصير وإلّا لولا تضخم الترجمة القومية والانتماءات الأمية للتنامية على النص الذي قمعته لنا النهضة التشكيلية في أوائل القرن التاسع عشر الذي مهيء إلى توسيع مجال الأدب القومى عن طريق الترجمة. وهو ما أشار إليه الباحث التشيكي ساكورا *Sakura* (1) الذي سنفطرق إليه بعد حين.

1 - مطر، ميزان باستقته من الأدب المقارن إلى دراسة الترجمة، ترجمة: دؤار عبد المطلب، مجلة الأدب الأجنبية، عدد 104، 2008.

وقد ظلت فرنسا ولفتت طویل نوره وراثتها الكلاسيكية معتقدة في  
 كمانه المطلق، هذا الكاتب الفرنسي بوهوز *Bouhours* في القرن السابع عشر  
 يقول: «إن تعلقتنا نحن الفرنسيين هو النطق الطبيعي، لغة الصيادين  
 و الأسيرين، غثاته وكلام الألمان صخب ومتوصات وحديث الإسماء موفع،  
 ومنطق الإيمانيات زفير، ولغة الإنجليز صفير، والفرنسيون وحدهم هم  
 الذين يتكلمون»<sup>(1)</sup>، ومع ما في هذه النظرة من تجهير وعصيرية، وخود، ثم  
 من مسة المتعرج والتبادل المعرّبة، وقرور مزيف ولغاني، ومتناهي على  
 الحقيقة، وموقف ذاتي بعيد عن كل نعمة علمية، فإن الأمر لا يحتمل عن  
 العرب القدامى الذين ورنوا بدورهم شيئاً من هذا الفزور، إما جهلاً  
 بلآداب الأخرى، وإما ثقة وترفهاً. ولعل ما يشبه مقولة *Bouhours* نجده  
 عند أحد الحكماء العرب عند وصف منزلة اللغة العربية، في قوله: «إذا  
 أردت أن تخاطب كريك فخطبته باللغة الأناحية، وإذا أردت أن تخاطب  
 حصانك فخطبته باللغة الإنجليزية، وإذا أردت أن تخاطب زوجتك  
 فخطبها باللغة الفرنسية، وإذا أردت أن تخاطب فيلسوفاً، أو حكيماً  
 فخطبته باللغة العربية»<sup>(2)</sup>، كما قصير الجاحظ علم البديع على العرب  
 وجعلهم مدعيه ومؤثريه، كما جاء في البليار والتبيين قوله: «والبديع  
 مقصور على العرب، ومن أجله طافت لأفهم كل لغة ولزيت على كل  
 لسان»<sup>(3)</sup>، ومن هذا القبيل ما جاء في قول الشافعي: «لسان العرب أوسع  
 الألسنة منهياً، وأكثرهم الفاظاً...»<sup>(4)</sup> كما جاء في قول الفراء: «وجدنا  
 لغة العربية فضلاً على لغات جميع الأمم، اختصاصاً من الله تعالى،  
 وكرامة أكثرهم بها، ومن خصائصها أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لم يوجد  
 في غيرها من اللغات»<sup>(5)</sup> أما الفارابي فيصنع مزيجاً كل الصفات في اللغة

1 - أحمد درويش: نظرية الأدب اللاتيني، دار غريب للطباعة، 2002، ص 99

2 - حكيم عربي: مجلة النهضة، الرياض، عدد 1382، ربيع الأول 1413

3 - الجاحظ البليار والتبيين، ج 4، مطبوع عبد السلام حارون، مكتبة الشاذلي، طبع في 58.

4 - الشافعي: الرسالة، مكتبة الطيبة، بيروت 1420، مطبوع في 49.

5 - أبو العباس أحمد بن علي التتشتي: صحيح الأعشى في صناعة الانشاء، ج 2، دار الفكر  
 دمشق 1967، ص 164.

لعمريبة في قوله: «في هذا الأسلوب كلام أهل الجبل، وهو اللزج بين أهل الأنسة من كل قديمة، والطبي من كل حسيمة، ولذلك كانت هذه اللغة سيدة للغات كمالاً، وجمالاً وقوت ومرونة وحيوية وخلقاً وغالباً»<sup>(1)</sup>.

وقد سطعت ملامح الرؤية الجاهلية لدى المشعوب الأوروبية، وكان ثمرة ذلك مراعات حول أسئلة الأدب، ومقدرة للكتاب الذين يسمون إلى لغات ليست بينها وفيمة قومية.

كما أهدى شكسبير Shakespeare على قومه من باب الت ربح المبرهن، لو من باب التظمة والتظمة، ولكن بعدما أدخله فوائير Voltaire إلى قلوب الفرنسيين سخط عليه، وانتقده بمصف «فها جمه بشدة، وألمه بالثوحي والتسوة في مسرحياته»، وقال عنه عبارته الشهيرة إنه لا يصلح إلا أن يكون كاتباً لقبايل عوقنوت في إفريقيا *Il est bon pour Des Hottentots*<sup>(2)</sup>. ورغم طابع السخرية الذي وبه رأي فونتين، فإن عشاق شكسبير ما فتوا يأخذون بمسهره حتى إن ديدرو Diderot صرح تكللاً: «في شكسبير عباق نعتته قوى الطبيعة، ونحن ألهزام نستطيع أن نمر بين ساقه»<sup>(3)</sup>.

ولا يختلف مواقف فولتير كثيراً عن المواقف من مدام دي ستايل Madame de Staël أيام الزمن النابولي أو فرسما المنظمة بسلطانها، وعراقبتها الموزجوازية، حيث تقدم مدام دي ستايل للفرنسيين مواثني نابليون الكوز التناحية التي شحات على ضخاف للرايين، ويحرر عليها ساداري Savary دوق راججو Savigne ولحد رجال حرم نابليون تاللاً؛ «لم تصل بعد إلى مرحلة البحث عن نملاج في المشعوب التي تمجدين بها،

1 - محمد شعبي الشويبي: «البلغة في أصول اللغة، دار النشر الإسلامية، بيروت، ط1، روجه ص 198

2 - أحمد درويش: «مفرد الأدب للقرن ص 20.

3 - ريمون طسان: «الأدب للقرن ص 21.

مما يؤكد أن عرضها على مواطنيها شكوة إزاء الأجرم بلأولب الضموب  
الأحرى كان أمراً مستوفياً بالمعاصرة<sup>(1)</sup>.

غير أن الأجيال السابقة كانت قد أدركت أن الامتداد في السلالات  
الأدبية لا يقل أهمية عن الامتداد في السلالات التشريعية، ولشادت بضرورة  
تقدماء. فقد نادى هوراس على سبيل المثال - بوجوب اتباع آثار اليونان  
من خلال قوله «اتبعوا نمطة الإغريق، وانكفوا على دراستها أيضاً، وانكفوا  
على دراستها شأراً»<sup>(2)</sup>. وقد يعود هذا الارتباط الوثيق المحلة بالنمط إلى  
الأسلوب التقني الذي يحضر على ضرورة مطابقة النموذج اللبهم  
واعتباره مثلاً للجمال المطلق.

ولكن الأجيال التي تالفت في أوروبا تبدلت لأولها، واختلقت مهولها  
المعرفية والعلمية، ولم تعد تؤمن بالمبادئ نفسها التي نشأت عليها الأجيال  
الماضية. ويرى المحللون أن الأسباب كثيرة ومتعددة، ونطها الأسباب ذاتها  
التي شكلت عقبة في ظهور دراسات مقارنة، وتبادل الأفكار غير الية التأثير  
والتأثير التي تسهم فيه الترجمة وتسمو نمو تطورها. «ولقد كان من بين  
الظروف تلك النظرة التي كانت تتبادلها الضموب في التأريخ القديم  
والوسيط، وهي نظرة يعتقد من خلالها كل شعب أن لغة غيره من الضموب  
أقل قدراً، أو هي على أحسن تقدير أكثر غموضاً من لغته هو»<sup>(3)</sup>، فاللغة،  
ويصفها إذا التواصل الأساسية بين الضموب، لم تعد من الأهمية قدراً  
كافياً؛ الأمر الذي جعل الأمم تتعلق على نفسها، إما خوفاً على انقراض  
لغتها وتلاشيها في اللغات الأخرى، وإما لعدم معرفتهم أصلاً بتلك اللغات  
وهو ما ينشأ عنه - في المالب - إما عتد نفس تجاه الثقافات الأخرى،  
وإما عتد تفوق، وإلا المائلين يتمم التواصل، ولكن حسب رعبهم الأمر

1 - كوريشا وتعبيره روسو، الكتب للثلاثين من 21

2 - لرجع السابق من 17

3 - لجد دروش: نظرية الكتب للثلاثين من 16 .



يختلف عندما يطالع سجل اللغة اللاتينية أو اللغات الرومانسية على لرب صيغ للغة لا يفهمها كالإنجليزية، أو الجرمانية، فكان جول الرومانسي له، لئى الفئتين يجلسه ينتظر إلى الشعوب غير اللاتينية نظرة ازدراء واحتقار ويصفها بالبربرية والهمجية<sup>(1)</sup>.

ظهر الأديب لقارئه، إذًا، في جو من العلاقات المرجعية، كما ظهرت الترجمة في جو معين بالعلاقات الحضارية، حيث تستأثر الشعوب بأدائها وفنونها، ومن هنا ظهرت مشكلة المصدر، بمعنى لئى أدب يكون مصدرًا للآخر، وإذا كانت موسوعية التناول قد فرضت على القاريين لئى يملأوا التبادل الحر، وعلى المترجمين أن يثروا عملية التأثر والتأثير، فإن ذلك لم يكن ليتفق ومبدأ الأفضلية.

ولقد أدت المظالم المرجعية إلى هتفة ظلت تزعج بالأدب القارئ في التألق، وترمي به إلى الضخام ربحاً من الزمن، كما ظلت ترحج بالترجمة إلى التراجع والاضمحلال، ولسنا نورد تاريخ الترهات الأوروبية التي أورتها أحقاد الحروب، ولكن تطور منهاج الدراسات المقارنة، والدراسات الترجمية في أجواء مشحونة بالمساءلة نقدية التحس الموضوعي، وهو ما ظل يهدد وحدة الوعي الجماعي، ويؤيد من حدة تفتت النزعات القومية في الوقت الذي كان من المنصّل أن تتوحد فيه القوميات الأوروبية حول أهدافها التاريخية والفولكلورية، وتعمل على إحيائها.

هذه الرغبة في استعادة الوعي الجماعي بالمجد الأدبي، كانت بمثابة المحرك الأساس لتفخيز الدراسات الثقافية، والدراسات الترجمية، وتخليصها من المشاحنات القومية الضيقة، والخروج بها إلى أفق انطلاق الحرية، نقض مبادئ نفي الآخر، والتأكيد على حضوره، وفوره في سر الثقافة المحلية، وذلك «تجاوزاً لولاية الأدب القارئ، خطر الاحتكام بالأوليات بصمة عامة، فتد تأسر أحيان وجعت المقارنة بينوعا لتقدير

1 - ريمون مطايع، الأدب القارئ، ص 80.

لفناكل كل منهما، وقد حدث هذا بالنسبة إلى الأدبين الإغريقي واللاتيني، وحدث كذلك بين الآداب الرومانية في العصور الوسطى، وبين الأدب العربي والإنجليز في القرنين الثامن عشر وسواء فكان ما سوف نقوله تأكيداً أم نقياً لامتياز قومي، فإن الأدب المقارن في المرحلة الوصفية، بل العلمية، لم ينسأ لبدأ مسوئه الأولى، وهي إخلة المزاعم القومية لأنها عندما تتحول إلى السياسة تصحها أوعايت التقوق المصري<sup>(1)</sup> وكذلك الشأن بالنسبة إلى الترجمة التي سمعت إلى توسيع مجال اهتمامها، بجانب إبان النهضة التشكيلية في أوائل القرن التاسع عشر، حيث قدمت دوراً إيجابياً للأدب القومي المتنامي، وهذا ما أشار إليه الباحث التشيكي فلاديمير ماكورا Vladimír Mačura .

ولعل في عصره ما يفوق أن الترجمة مارست مهنة الدولانية، كما سبق أن ذكرنا؛ لذا يقرها ضلأً وعدوانياً، استغلاءً على قيم ثقافية أجنبية... كما نظر إلى الترجمة بوصفها غزواً لأراضي أعداء غزواً يتم هدف الاستعواذ على ضلالم الحروب ورواها، وفي المقدمة التي كتبها جان إيفانجيليسٲ بوركوين Jean Evangeliste Porquoy، وهو الكاتب التشيكي الذي أصبح بعد ذلك عالماً فيزيولوجياً ذا شهرة عالمية، حول ترجمة تشيلز، حاول تفسير الترجمة بأنها رد ضل مباشر ضد التأثير المدمر للثقافات الأجنبية، وكسل انتقامي ضلي لكل ما عاس منه العالم السلافي من تدوير في الماضي، لماذا كان الألمان والإيطاليون والمجريون (لكي يرفعوا الضمر بالسلافيين) قد حاولوا سلب الشعور القومي من أئاسنا العاديين وطبقات العليا، هلستفهم نفس وسيلة أكثر سبلاً في الرد. وذلك عن طريق اعتلاء كل ما هو متهور كانوا قد أبدوه في عالم الفكر<sup>(2)</sup>.

1 - كور، وشرق، وآخرون: الأدب المقارن، ص 31.

2 - فلاديمير ماكورا، «ثقافة كترجماء» في كتابه: الترجمة، التاريخ والثقافة، تصدر سوزان بانسنت وأندريه لوبنير، لندن، جيتن، 1990، ص 84 - 80.

غير أن الذي يفترض أن يجتاز كل من الأدب للقارن والدراسات  
النرجسية، ليس فقط ما يتعلق بخلاف الأديبات أو مصادرة ثقافة الآخر،  
بل يفترض أن يتصدى لتزايد نمو التسمية الذي يضاهف من تقليص جهود  
الدوام، في الأدب للمقارنة، والعامية، والقومية. وهو ما التفتت إليه مد،  
دي ستابل *Niklas de Staal* في دعوتها المبكرة إلى الانفتاح على  
التحاطات الأخرى، ويتكشف ذلك من خلال قولها: «إن الأهم يسمي أن  
يمتهد كل واحدة منها بالأخرى، ومن الخطأ الفاحش أن تبعد أمة عن  
مصدر ضوء يمكن أن تستفيد. إن هناك أشياء شديدة المصنوعة يلتزم  
بها شعب عن الآخر: المنهج، الإطارات الطبيعية، اللغة، نظام الحكم، ثم على  
بحر خاص حركة التاريخ الخاصة بكل شعب، والتي تسهم أكثر من غيرها  
في إعطائه خصوصيته، وليس هناك إنسان أبداً كان نصيبه من العبقريّة  
يستطيع أن يحدد ما يمثل ويتطور تطوراً طبيعياً داخل روح الإنسان  
الذي يعيش على أرض أخرى، ويتنفس هواءً آخر، وإنّما «لأنه يوجد في كل  
أمة طائفة يمكن أن تتأثر بالثقافة الأجنبية، وتطور الفكر بقضي بأن الذي  
يأخذ هو الذي تزداد ثروته»<sup>(1)</sup>.

ولعل ما ينته *Niklas de Staal* بالانفتاح على ثقافة الآخر، يذهب  
إلى حد كبير ما كتبه *Vladimir Brucan* في نبذ مصادرة ثقافة الآخر،  
والاهتمام بتمازج وتلاصق الثقافات لتتوحد على ما يسميه، هو، بمصمة  
الثقافة الإنسانية. إيماناً منه بأن هذا النوع من البصمة، الذي ينطوي غالباً  
على مراجعات جذرية للتاريخ الثقافي والأدبي، أصبح ممكناً بسبب التقدم  
الذي أحدثته دراسات الترجمة وبخاصة نظرية الأنظمة المتعددة. ولقد  
حاول الباحثان البلجيكيان جوزيه لامبير *Jos Lambert* وبيك فان غورب  
*Bik Van Gorp* في مقال عام 1985 أن يلفصا الإمكانيات التي يتيحها  
هذا المنهج. ثم يقوموا بتعداد بعض مجالات البصمة التي يمكن تطويرها

1 - أحمد درويش: نظرية الأدب القلبي وتجلياتها في الأدب العربي، ص 22.

والتي تشمل تحليلاً تفصيلياً لكل من النصوص ووسائل إنتاج هذه النصوص - أهم ميزة لهذا النظام أنه يساعدنا على أن نتكلم عدداً من الأفكار التقليدية الثابتة حول «الإخلاص» في الترجمة أو حتى «المجودة» وهي أفكار ترتبط بنص المصدر وتقرض حتماً مطبقها الخاصة<sup>(1)</sup>

لم يجد الأدب المقارن تولدته في عيشت أدبية مختلفة كما لم يرعم الترجمة الحق في الأوثورية أو الأفضلية أو المصداقية بحساب لغة على لغة أخرى، وهو ما حدث بين الإنجليز، والفرنسيين والألمان، والإيطاليين، بحكم امتلاكهم تاريخاً فكرياً متقدماً ورثوه عن الإغريق والرومان. ولم يكن في مقدور أي من هذه الأمم العريقة التنازل عن مكانتها، أو أن تسمح لغيرها بأن يشكل مصدر تأثير لكتابتها، وقد رأينا كيف انقلب إيهاب فولير بشكسبير مثلاً، وكيف جادل الدوق ملام دي ستال وهي تفضل كزوراً لم تكن معروفة في الثقافة الفرنسية.

وظفت القوميات المتعددة لتشكل تديناً حقيقياً لكل ضروب اللغوي بين أفكار المجتمعات المجهولة والموهبة، ونحن نراها، فيما كان يعتقد دعاء تلك القوميات أنهم بذلك يخدمون ثقافتهم المحلية الصغيرة عن روح انتمائهم، وعن وجودهم وكيانهم، والأهم من ذلك أنها ناطقة بلسانهم، وما كان للفرنسية أن تصدر - مثلاً - بالشاعرية نفسها التي يتكلم بها المظفي الإنجليزي أو الألماني وقد أعطى ريتشه وصفه تصوراً أشمل لمعالة التلاتصالح القومي من خلال قوله: «هناك مفارقة في الدوافع الميكولوجية الاجتماعية للأدب المقارن كما موزس خلال نصف القرن الماضي، فقد ظهر الأدب المقارن كردة فعل ضد القومية الضيقة التي ميّزت الكثير من بحوث القرن التاسع عشر، وكاستجابة ضد انتمائية المذهب من مؤرخي الآداب الفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والإنجليزية، إلخ، جوعالياً ما يبهر

1 - جزيره لامبرت وروك طلق جورويده في وصف المترجمين في كتابه التامل مع الأدب موزر ثير ميرمان، لندن: كروم هيلز، 1984، ص 48 - 53. ينظر أيضاً، باستد من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة، ص 86.

فيه دارسون يقومون على مفترق الطرق بين الشعوب ولكن هذه الترجمة الأصلية في أن يعمل دارس الأدب للقارئ كوسيط بين الشعوب وكمصلح لذات بينها عالياً ما طمسته وشوهته المشاعر القومية اللثيمة التي سادت في تلك الفترة وفي ذلك الموقف<sup>(1)</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك في سياق تناول الأدب المقارن، فإن الأمر لا يختلف كثيراً عما تضمنته الدراسات الترجمة من موقف تجاه اختلافها كل الحدود، منذ المصور الأولى كما أشار إلى ذلك محمد عباس، معبراً أن الترجمة عامل من عوامل حوار الثقافات ووسيلة للمعارف بين الأمم. ومن خلال الترجمة يمكن نقل للمعارف والدراسات العلمية من لغة إلى لغة أخرى ومن لغة إلى لغة أخرى.

لقد قامت الترجمة بدور أساسي في تعريف العلوم اليونانية وغيرها وإثرائها في المصور الإسلامية دون أن تؤثر على أصالة الأمة وعقليتها<sup>(2)</sup>، كما أشار محمد عباس في الدراسة نفسها إلى الدعوة المبكرة التي نادى بها الإسلام على لسان الرسول ﷺ. حين قال، إيمان قطع لغة قوم أمن هرجم. لعل في هذه الدعوة ما يشير إلى بدء النزعة الانفلائية للغة قوم على اللغات الأخرى.

شير أن الذين قادوا الأدب المقارن إلى لوجه، أو أولئك الذين يمكن نعتهم بدرسان الأدب المقارن أمثال، هيلموت، وهنري، وإسبر بومفهم أول من داهوا من وراء حجاب دي مستهل، وإخوة شليل، وشجعوا على مواصلة، وتوسعوا فيها، أولئك كان لهم فضل كبير في انتشارها في الأثرية من مستشرق الذائبة والألمانية والفرنسية به إلى مستوى العالمية، ولكن مع قاضي مفهوم الترجمة لم يكتب للأدب المقارن هذا النجاح بأهمية عندما

1 - ربه وبلاد منطيم شريف من 388

2 د / محمد عباس، الترجمة في المصور الوسطى، مجلة حوارات للدراسات العدد 45 مستجاب مارس 2008

بدلت ترجمته من قبل كثير من الأعمول التي انضوت تحت دعوة سوزان باسنت *Suzanne Bassant* في موقف طرح البديل كما جاء في قولها «إنه لمن الصعب الآن أيضاً أن نعتبرها [الدراسات الترجمية] مجرد فرع ثانوي من فروع الأدب المقارن، وبمجرد ذلك جزئياً إلى أن مصطلح الأدب المقارن، قد أصبح ذا معنى شقيل اليوم (إذ لم يكن ذا معنى كبير عند البداية)» وإلى حقيقة أن دراسات الترجمة ذات مجال حيوي ومهم، بينما يعادي الأدب المقارن بوصفه ممارسة شكلية من تدهور واضح<sup>(3)</sup>، لذلك على دارسي الترجمة في تطرحها أن ينفضوا ما علق في أذهانهم من رؤسب بقايا الأدب المقارن، ومن لوائه الشكلية التي ما زالت محصورة في المجال التاريخي، والمغالل فتتقد الحاجة البرهانية أن تحل الدراسات الترجمة في تدم مستمر كما يعطى به من اهتمام متزايد من قبل الدارسين، والأكاديميين، في بصوتهم، وندواتهم وفي المؤتمرات الدولية المكثفة، مما يبرهن على حيوية هذا الحقل من الدراسة الذي بدأ يسمب بحساط البحث من وظيفة الأدب المقارن.

وبذا كان هذا رأي من ترجم موقف سوزان باسنت، إلا أن لواء أخرى تتأهض هذا الموقف وتصارح في مقاومة خصومهم، في عد الترجمة جنساً هامشياً. وبين هذا الرأي وذلك تكسر الأمانة الوظيفية بما يتخلل مع المعاملات الحضارية المنتهرة من دور أي منهما لإغناء لغة الهدف.

وقد ألق كثير من الباحثين على روح التجاوب والتعاطي الأدبي والمعرفي بوجه هام بين الخصوم، كما أشار إلى ذلك محمد عباس في دراسته الصابغة الذكر، والتي فستشف منها يقيناً أن الموقف الأنفعالية لا تؤدي إلا إلى روح الانفصال الهدامة. أما روح التجاوب وتضيق لشار الآخرين من خلال بش لغة الآخر إلى اللغة الوطنية، فإنه يعلم الناس فن الصطاء، وهو ما يمكن إدراجه ضمن جدله التأثير والتأثير، أو ما يمكن أن يطلق عليه تجاوب في الأخذ والعطاء أي في مقابل ما تأخذ هذه اللغة سيكون تدبير

3 - باسنت: من الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة، ص 98.

دائماً ما تردّ به، كما جاء في قول هيامان حين لكد: «لقد كان يرغب في أن يبين في إطار الأدب المقارن ما تلفته الروح الفرنسية من الأدب الأجنبية وما رثته إليها»<sup>(1)</sup>.

ومن المؤكد أن الميمنة الموضوعية ذات التوجه المبرر والملمس في حقلي الدراسات المقارنة والدراسات الترجمية ما كانت لتتأصل جذورها، لولا جهود الدارسين المنحكين - في هذا المجال - اللذين لم يروا في تلك الدراسات سوى إثراء المنظومة الأدبية والثقافية للشعوب، والتبصّر من التكامل الجمالي والفني في شتى الإبداعات ومن مختلف الأقطاب.

ولكن، ومع كل ما حققته هذه الدراسات من تصالح أدبي، لزداد معه الإحساس بوجوب تقليص الفوارق القومية، إلا أن تلك الخلافات التي رافقت ولادة المصطلح وتطوره - سواء بالنسبة إلى الأدب المقارن أو بالنسبة إلى الترجمة - ما فتئت تكتسب سطوة الفارق المبرر بين ما هي عليه تلك الدراسات وما يجب أن تكون إليه، وصناعة في اختيار التوجه المناسب لغرق الحواجز المتعذرة وعلى النقيض الآخر من الأربعة برز الخلاف حول العالمية ليهتد كثيراً من الإنجازات، فكيف استعاد هذان الحقلان - الأدب المقارن والترجمة - مكانتهما العلمية، ضاربت عرض الحائط كل أشكال الأفضلية ومثل التنافس؟ وهل استطاعت هذه الدراسات أن تحل الخلاف العالمي، كما حكمت - نسبياً - في الخلاف القومي، أم أن الفارقة في الدواpec الميثولوجية الاجتماعية للأدب بوجه عام، والدراسات المقارنة، والترجمة على وجه الخصوص، ما تزال قائمة؟

### ثانياً - خلاف العالمي

تأخذ المفاهيم طابع التعمول كلما ازدادت النظريات التي تنبهاها تقدماً، وكثيراً ما لتفهم، فقد خضعت ثقافة الآخر إلى دلائل ومعايير تمكن بوصف البنية التي تنتمي إليها، مما شاعف لدى الكثيرين الشعور

بالتفوق والامتياز. وفي هذا الاتجاه فقد عانى مصطلح الأدب المقارن - مثلاً - من حسي الإيديولوجيا، وتورط في ثنائية القومي/العنصري مع لم يترك مجالاً لاتساع لقته المبررة. وفي المقابل علقت الترجمة من عنده تفوق الآخر على حساب ثقافة الذات.

وفي خصم ذلك كله كان طغيان الفرديانية والتفوق الذاتي بتلاشي مصالح إنسانية، فانسأ المجال لمركبة التأثير والتأثير عبر خطاب الواحد والمعلم، ومقلومة فكرة الأفضلية لأمة على أخرى الأمر الذي وضع المحللين ولقد رجع، بخاصة، إلى مواجهة المبررات، والانتقادات إلى تطوير أدوات المناهج المستعمدة في حقل دراسة التأثير والتأثير.

فهل تفسر دعوة جولته 1749 - 1832 حول مصطلح العالمي *Weltliteratur*، أي بمالية الأدب التي رفضها محمد ضيفي خلال حين استغف بدعوة جولته، هذه، وسخر مما أسماه بمصطلح الأدب العلمي في قوله: «هذا ولا تصعد أبداً هنا ما سبق أن توقع نحققه جولته الألماني، ومن سدوا على نهجه فيما سموه الأدب العالمي يريدون بذلك أن الأرب العالمية - حتى يتم تجاوزها، بعضها مع بعض - لن تلبث أن تتوحد جميعاً في أجناسها الأدبية وأصولها الفنية وعمايتها الإنسانية، بحيث لا تلبس من حدود سوى حدود اللغة، وما يمكن أن نوحى به للبينة والإلهام لأن فكرة الأدب العالمي في رأينا مستحيلة التحقيق»<sup>(1)</sup>. غير أن همدريك بيروس *Henri de Biran* يطعي تحليلاً أبعد من تصور ضيفي خلال بالمشترأ ما جاء في مقولة جولته، واعتبر أن معظم التحليلات الحديثة تنفق على أن «جولته انطلق انطلاقاً صحيحة من الأدب القومي إلى وحدة الأدب في العالم: أي أنه لم يناد بحلول الأدب الوطني محل الأدب القومي، بل بما وجّه كل آماله إلى وضع تطور الثقافة والأدب في كل بلد باتجاه إنسانية، ولعلب الأدب الألماني أن يكون واعياً وليعد العالمي، وإلا يسيب من هذه التسمية،

1 - محمد ضيفي، خلال الأدب المقارن، القاهرة، ط2، 1977، ص 107



وذلك إلى أن يحدث الاندماج الكامل والتوحد، وأخيراً للتوصل إلى مرحلة الحمية العالمية<sup>(1)</sup>.

ولعل ما يميز مقولة غيمي هائل، عدم اعتماده على ما يترجم من دراسات تقوى ما كانت تغطي به الدراسات المقارنة، ومن ثم ما دعا إليه جولته لا يعمد أن يكون صراحة لم يكتب لها النجاح إلا في بداية الألفية الثالثة حيث الاهتمام بمالية الثقافة التي تروج لها الدراسات الترجوعية، والحرص على المزيد من تنوع الثقافات وتعدد اللغات ولتركيب عسي وظيمة الترجمة في التصريب بين الحضارات والثقافات الإنسانية

ولعل ما يضمن ذلك التوجه، هو انتقال كبار الدارسين بالآداب الأجنبية، وتسخيرها لقصة القارئ، واكتشاف جوانب التشويق فيها فقد تدفقت شاعرية إنجلترا على فرنسا تحمل في موجهها قصائد الليل، والغبور، والتلجج، وكثيري الفريسيون قصائد Young وتنفوا بقصائد المزرور Nec Phoron الذي نسب لنتاجه الطعري إلى الشادي Ombon<sup>(2)</sup>، وما كان ذلك ليقلل من شأن الشعوب، أو ينقص من عظمت كتابها لدرجة أن هائل لم يتردد في القول: «إن كل شعب لا يمتلك تهادلاً قتلأياً مع الآخرين ليس إلا حلقة متروكة من حلقات الشبكة الكبيرة»<sup>(3)</sup>.

فما الذي أضاف بين الناس مبدأ الأفضلية؟ وهل يمكن لمخاض التناول وحده أن يحقق عالمية الأدب؟

من الواضح أن فرمسا قد تشربت بمركزية وسطها هيدائي النوني الكلاسيكي، وخلقت بذلك مرجعية للتطور الفكري والفني، واستمر تسميد

1- Hendrik Stron: " Made Patterns of Gower's Concept of World Literature" in comparative Literature (New La Bibliothèque comparée à l'œuvre étudiée. Texte établi par S. F. de Zepetov. 84. V. Dink. et Irina Sventy eds. Besset Champs. 1994: 31-41.

وسطر أيضاً خطوات صام للشطبة الأدب، المتأثر من العالمية إلى المولة من 19٢

2 - رومن طمان. الأدب المتأثر والأدب السط. ص 21.

3 - كيو بهوشا، وآثر: الأدب المقارن، ص 88.

انصرح الكلاسيكي إلى أن أصل التفكير الأوروبي ليزلزل التقييم الكلاسيكية  
وكرر فعل جمهور، جريته أو كوميدي ضد أوروبا - التي يمكن أن تبدو  
سيطرته عبثاً، وتراثها روتينياً - فإن ثقافة الآخر، هناك حيث الأطلنطي  
تعتمد على مهلين:

• يمكن قولها، وهو المبدأ الأخلاقي، موقف أمة متفحمة تماماً على  
العالم كله الآن، تضفي على كل ثقافة أجنبية تماثلنا يبين ديمقراطيتها،  
ولكنها في الوقت نفسه أكثر وعياً بحدودها النرجية.

أما ثانيهما، وهو المبدأ الثقافي، فتتيح للأوروبيين أن يأخذوا المسافة  
الكافية لتأمل المشاهد العريضة، منذ المصور القديمة حتى القرن  
العشرين، ويخرج لهم أيضاً الحفاظ بقوة على التقييم الجمالية والإنسانية  
للأدب، وهي التقييم التي ما زالتا بشعرون بها كنفرو رومي عليهم<sup>(1)</sup>، وهذا  
ما جعل حفل الأدب الفانز والدراسات النرجية يتحولان عن القوميات  
الطيفة ليصنوا فضية عالمية، بحسب مفهوم جولف، حيث يتملى لهما  
دراسة التماذج الأدبية وخصائصها، وانعكاس مجمل التأثيرات التي تحدثها  
الأدب فيما بينها، دون التقريط في التقييم القومية.

وبعض النظر عن اختلاف الجيات اللغوية، والمسافات المستنيرة،  
فقد تطورت الدراسات الحديثة بمصطلحاتها الجديدة، وأجسادها المعرفية  
المتكررة إلى تجاوز الإيديولوجيات والنزوع عن الخلافات المصطنعة،  
والنزول عند وقعة المثالي في اكتشاف عبقرية الآخرين، والتبهر فيها

وكان من بين أهم أسباب تقليص الخلاف حول الطائفة، انتغلي من  
فكرة الأفضلية، وتوحيدها بمصطلح الاستحقاق. فقد بدأ ينمو في الأوساط  
النقدية بحساس مفاهيم يتفق مع مبدأ الاعتراف بالآخر، والذي لا يقتصر  
أحد من قيمة البلاء، ولكني يؤكد مصطلح الأدب الفانز لم يكن كافياً أن  
يخلص روح يمكن وصفها بالأوروبية، وهي روح العالمية، والليبرالية، والكرام،

1. ينظر الموجع نفسه ص 89

وهي روح تنكز في نوع من الانحصار أو الاتصالية. ولتأكل من الضروري أن يكف القومسيون في التهابة عن الادعاء بتفوق الذوق الكلاسيكي ومعاولة فرضه على أوروبا<sup>(1)</sup>.

كما أظهرت الدراسات الترجيحية - يدورها - قدرة الشعوب على التجاوب التقني، ونسبية قيم الجمال الفني، وتفاوت القدرة على الإبداع، ومدى دجلة الأخذ والمطاء في إلقاء المنظومة الثقافية لكل أمة.

وهكذا، دخل كل من الأدب المقارن وقريته الدراسات الترجيحية في حركة أكثر شعورية، وهي عالمية التواصل، وكان من شأن تلك الحركة إنهاك الآداب الوطنية بمفردات وتمايز جديدة، وتعلق بها الأدباء رغبة في إلهاء معيشتهم، وتكملة أساليبهم، أضف إلى ذلك توسيع دائرة المعارف وافتتاح الأدب القومي على آراء وأفكار ليست مبهودة.

ولقد أمنت الشعوب بلا جدوى الانطلاق والانكفاء على الذات، فطُلت من التصبب القومي، ووزت في مهبخ المقاربة، والإفادة من الآخر، بلخص التأثير والتأثير في الثقافات إمكانية لاكتشاف عناصر الأصالة في آدابها القومية لتصبح دراسة هذين الحقلين مهداً رحباً للمبادلات الفكرية والنمائية، وهذا تجاوزاً لكر الأدب المقارن وهو لده بالنسبة إلى الأدب القومي، وبدلاً من البحث عن هوائيه بالنسبة إلى حركة الأدب العلمي، طاب هذه الدراسات المقاربة متمكن الباحثين من دراسة الظاهرة الأدبية التي لم يقتصر وجودها على أدب قومي إيطالي واحد، بل اكتسب انتشاراً صلباً العالمية، فبتلاً الحركة الكلاسيكية وسيطرتها على جميع الآداب الأوروبية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلانيين، وكذلك انتشار المذهب الرومانسي في الأدب بعد ذلك، وسيطرتها على الحركات الأدبية إبان القرن التاسع عشر. وانتقاله من أوروبا إلى قارات أخرى، وهنا يجب على الباحث أن يدرك الحركة في ذاتها، ولذا نتمني شح يدرس الظروف التي أدت إلى

1 - المرجع نفسه، ص 32.

خلقها. ولأن وجدت لأول مرة وما أهم مميزاتها في بداية ظهورها، ثم إلى أين انتقلت، وما الجديد الذي اكتسبته هذه الحركة في كل بلد مرت به،<sup>(1)</sup> إلا مع هذه الدراسات ألا تتكرر للاختلاف الفكري على اعتبار من التوجهات الفلسفية، فقد لا تقوى على تجاوز النزعات الإيديولوجية، فـ «روسيا يستمر الصراع بين ماركسية عالمية تُفَضِّح كل الظواهر الأدبية بطريقة مظلمة للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي وبين إيمان عميق - مسبق للثورة - بسمو الثقافة الروسية، أو على الأقل الذي لا تشوبه شائبة»<sup>(2)</sup>.

وبين الثابت والمتحول، والخاص والعام، والملم والإيديولوجيا، تنمو - ويدرجة أكثر - الدراسات الترجمة على حساب بطلان الأدب المقارن ضمن اشتراطات حضارية، استخرجتها متطلبات العصر في تبادل الثقافات التي هي من صميم الدراسات الترجمة، وأخرى عالمية غير عادلة في أعيد الأحياء ولكن وهي الشموه كان أقوى من كل الاشتراطات، بحيث لم تُخضع رادة المقارن أو للترجمة أمام كل التصديت والمخالفات بما فيها مشكلة الترجمة، أو التصدي من خصوصية الإبداع وأصانته.

ولقد عرف القرن - بوجه عام - في الحدة الأخيرة كيف يجد طريقه إلى العالم دون أن يتشر في شرك الهويات، فكل اللغات متجسدة، وكل الأجناس مطابقة، ولا يمكن للإنسان إلا أن يعرف معالم الآخرين، يقول رموزهم، ويفقه إيماءاتهم، دون أن يمتلك أدوات التفكي السليمة، ولا يكتفي بما في حوزته من المعارف والفنون.

### ثالثاً - مستقبل المصطلح/رومان الترجمة

يعد كل ما مر بنا، هول لنا أن نعلم أفكارنا بنظرة استشرافية لكلا الحقلين - الأدب المقارن والترجمة - بعد أن جئنا بأشروعنا فاصليهما بفرض الوصول إلى الوضع الراهن، في مثل تدخل الأجناس الأدبية؟ وهل

1. دوج صمد جمة: دراسات في الأدب المقارن، ص 22.  
2. المرجع نفسه، ص 89.

باستعانة الأدب المقارن أن يتجاوز مع مستجدات الدراسات الحديثة التي أصبحت تعرض نفسها بدلاً من الدراسات التي لم يكتب لها أن تعمّر، لذلك لم تستطع مسيرة تطور تكنولوجيا المعلومات، وثورة وسائل الاتصال، والمؤلف، والتمديدية التأويلية، والدراسات الثقافية، وظهور الدراسات النسوية، وغيرها من مستحدثات المنهج والدراسات التي جاءت موعمة ما كُهل من بعض الدراسات بناء على لفضلية ما سبق، وتجاوزوه، وأن البقاء للمتناول، والميل إلى كل ما هو جديد، هو جيب فناء الذي قبله، وهو ما قد يطابق على الدراسات المقارنة.

وبلا غمرة هذه الدراسات الحديثة التي تحاول أن تسهم في إعادة بناء تركيبة الأجناس الأدبية، هل استطاع الأدب المقارن أن يحافظ على أدبيته في ظل مزاحمة جسد الترجمة له؟ وهل تكون الترجمة بديلاً فعلياً للأدب المقارن؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات يجرنا إلى مدى إيمان الترجمة بموضوعها الأدبي، ومدى تعامل الذات مع الآخر في نخل مركز الاهتمام بأدبية النص ومراعاة النسخ الأدبي في جودته حتى يكون خلاصته مشتركة بين النص الهدف والنص المصدر.

وقبل التطرق إلى هذه القضية الاستشرافية - في ظل تكنولوجيا المعرفة، وثقافة التكنولوجيا - يجدر بنا أن نقف لحظة متأنية عند مكانة الأدب المقارن الهوي، لننتقل بعدها إلى دولته تجاوزه إلى موضوع الدراسات الترجمة

وفي ضوء ما تقدم كيف كان الأدب المقارن علماً يتحلى بالذاتي والموضوعي، والخاص والعام، وثقافته والمحتوى دون أن ينحصر عن الكتابة الوحدانية لنص البشري؟ وكيف يولج خلف التسمية والمعمورية ويسمو إلى العالمية؟ وهل يوسعه للتغلب من الشرط التاريخي الذي فرضته المدرسة الفرمسية؟ وهل من الممكن تقصي الحقائق بصفا نظري محايد؟ وإلى أي مدى تتسجم الحالة الأدبية مع التشرّيع العلمي؟

مثل هذه التماثلات وغيرها، مما يبيلدر إلى الذهن، قد لا يُسمى بالأجوبة مقدار اهتمامه بإثارة السؤال، فمتد ولادة الأدب المقارن حمل معه مضامناً لم يقتل، ونسج حوله وصايا لا تنتهي، فمن المحورية التي احتضت بها فرنسا، وعقيدة الأفضلية التي تبادلتها الآداب إلى أزمة القومية التي امتزجت بالإيديولوجيا والضميرية، مروراً بتبني العامل التاريخي كشرط جوهري لتقديم المقارنة وإكتسابها، إلى أساليب التشريح العلمي الدقيق ورواياته، وذلك محاولة لاحتواء الأدب عبر نظرية الارتقاء الداروينية - في خصم كل هذا - كان الأدب المقارن ينتقل خارج طبيعته بين الإيديولوجيا والتاريخ، في مستوى لم يكن قادراً على صون هويته الخاصة.

ولقد أدرك المقارنين هذه الأزمة، وحاولوا ردها إلى جذورها لمعالجة أكثر فعالية، ولم يكن أحد يستطوع أن يجزم بصحة الناهج المعتمدة، أو حتى بتفاهل بإمكانية إيجاد الحل المناسب، ويرجع المحللون جل المعضلات إلى اختلاف وجهات النظر للمنهجية بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية؛ إذ نجد رؤاد المدرسة الأمريكية يركزون على المذهب التاريخي لإثبات حدوث التأثير والتأثر بين الكتاب والأدباء، ولا يمدد عن الأدب المقارن في شيء ما يفقد من مؤامرات بين كتاب من أدبب مختلفة لم تلم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعاً من التأثير، أو تتأثر به؛<sup>(1)</sup> على خلاف المترجمة، كما سيوضح في حينه، وبذلك يكون الأدب المقارن في تصور أنصار هذه المدرسة، سواء من حيث المفهوم، أو من حيث المنهج، سبيل التاريخ الأدبي؛ إذ لا يقتل - في رأيهم - أن تسمى النصوص مجالها التاريخي الذي لا يمكنها أن تُعرف بولادتهم بذلك، فليس أو لا يعترفون بالمقارنة التي لا تتضمن للعامل التاريخي، فاصحاب هذه المدرسة يعمرون نهاية بالغة بإثبات أن الموضوعات التي تتأثر قد قامت بينها صلات تاريخية نشأ عنها نوع من التأثير والتأثر، كما تُسمى هذه المدرسة بإثبات أن

1 - محمد خيمي، هلال: الأدب، لبنان، دار العودة بيروت، ط 2، ص 11

الأديبين اللذين يقارن بين إنتاجهما الأدبي قد اتصل أحدهما بالآخر وتأثر به، وأنتج أدباً شبه الكثير أو القليل من لوجه هذا التأثير<sup>(1)</sup>.

ولكن نمو الوعي الأمريكي بضرورة استقلالية المتأخر في احتواء الأدب المقارن لدى باحثيها المتوسمة الأمريكية إلى تجاوز لتزعة التاريخية بإسقاط العامل التاريخي وتحرير منهج المقارنة من اشتراطات، بحيث يمكن إجماع تلك المقارنة دون تسجيل حالات تأثر أو إمكانية معرفة كتدب ببعضهم. وهو الاعتراض الذي لخصه ريتيه ويلف في هذا المنهج التاريخي بوجه قديراً إلى العلاقات التاريخية بين أدب وآخر، وهو بفعل ذلك باعتباره جزءاً من تاريخ الأدب، لكن هذا الاعتراض يدفع بعض المتخصصين لهذا الاتجاه إلى الاهتمام بمصير التاريخ أكثر من اهتمامهم بمصير الأدب<sup>(2)</sup>.

وهناك اعتراض آخر على تمسك المدرسة الفرنسية بالخطوط التاريخية، وهو صادر هذه المرة عن أصحاب النظرة الوجودية، الذين لا يثقون كثيراً في العامل التاريخي، ولكنهم مسلمون بمبادئ المنهج الذي يفرض كل معرفة، ويرى هؤلاء أن التاريخ طلاء زائف، وأن الناقد الحق ينفذ أحكاماً صادرة من ضمير الوجدان ومن أسس القوى النفسية، ويقولون: إن الأشخاص والأوضاع هي مادة لا أدبية بعد ذاتها، فالأدب الضد هو الذي يحول ما ورث من مواضيع، ويشكلها لكي يؤثر على قرائه بفعل الشكل والتمثيل والإنشاء<sup>(3)</sup>.

ورقم كل هذه الخلافات تأسس للأدب المقارن بوصفه علمياً في قضاء من المتأخرات، مما ساهم في تراجعها، وما زال إلى يومنا هذا يسمى الملف دون إلى مواجهة التصدي للتهجي، وفيه في تثبيت قواعد طيبة ذات

1 - إدري محمد حمدة: دراسات في الأدب المقارن، ص 19

2 - أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن وتطبيقاتها في الأدب العربي، ص 29

3 - ريسن طهارة: الأدب المقارن والأدب العلم، ص 14

أصول التسمية، وتنهض - تقنياً - على وسائل وطرائق تجريبية يستعملونها من الدراسات الحديثة لتطوير مفهوم الأدب المقارن، ولعل خير من يمثل هذا الاتجاه الفكرية الأمريكية ماري أن كلوس Mary Ann Caws في آخر ما توصلت إليه الدراسات حول النطاق عن الأدب المقارن قول بداية الأمر الثالثة، والمتعلقة بمستقبل الأدب المقارن، حيث تسعى إلى توضيح الدور المتعدد والمستطلي للأدب المقارن باعتباره فنّ التفاعل مع الآخر/الآخرين في أحوال توليد موقف إنساني جديد. وتكر مقدير للمأثوف. ولذلك تلعب من المقارنين العمل على تغيير مواقفهم باستمرار، والبحث عن أفكار جديدة... ويصيف أيضاً أن العمل المقارني ينبغي أن يكون متاهراً ومستمرّاً، ولكن أيضاً يجب أن يكون خفيف الظل، متصفاً بروح المرح إلى درجة أنه يمكن أن تصبح طبيعة المادة المقارنة غير ذات أهمية، مقابل التقنيات المقارنة التي تستخدم في تناولها<sup>(1)</sup>. وفي هذا إشارة ضمنية، غير معلنة، من تراجع الأدب المقارن. وإذا أضفنا إلى هذا الموقف، صحة الكاتب [ربلك] STEVEN Tóth de Zepetnek في كتابه «الأدب المقارن: نظرية ومنهجاً وتطبيقاً» - وبعد آخر ما أنتجته الدراسات المقارنة في نهاية القرن العشرين - والذي نادى فيه بموقف جديد للأدب المقارن، فإننا نطقد بدون أدنى شك، بالأزمة التي يتخبط فيها الأدب المقارن - إلا ما كان لمثل هذه الأصوات أن تطرح بدائل جديدة

ولعل أكبر دليل، يؤكد صحة تراجع الأدب المقارن، هو موقف المناوئين لطموح رغبة المجددين وعلى رأسهم الباحثة البريطانية سوزان باستت Susan Bassett التي أظهرت عناصر هذا التحلل المصري وبأقول شعلته، وبزوغ حقن الدراسات الترجيمية بدلاً عنه في قولها «دور الأدب المتدين على أحياء الدراسات الترجيمية مستقفاً فرعياً، ولكن مع انجذابها إلى تأسيس نفسها بثبات، بوصفها موضوعاً مرككراً على دراسة تقوم على

1 - حسان الخطيب: الأدب المقارن من الطامة إلى السوء، ص 261، 262



وعبر التناقض وتقدراً على دعمها بمنهجية لها بعض القوة على المستويين النظري والعملي، بدأ الأدب المقارن أشبه بفرع من شيء آخر، وبطل من أن يكون نظاماً ؛ ولا ينظر إليه بهذه الطريقة فإن مسألة الأزمنة يمكن أن يوضع في حجمها الطبيعي، وبالتالي يوضع على الرف ذاته، وقطعاً ذلك الجدال الطويل الذي لا حل له ما إذا كان الأدب المقارن نظاماً قائماً بذاته أم لم يكنه<sup>(١)</sup>، وقد يكون في هذا النص القوي ما سيد استعمل الأدب المقارن في مذكر الكتابة وتمويله بالدراسات المترجمة.

هذه أصبحت المترجمة في الأنظمة الثلاثة بدايةً من الأدب المقارن؛ وهي يلوح في الأفق ما يفيد أن المترجمة تقني البص الهدف وكيف يُقَاد من لغة المصدر بفعل الترجمة؟ وهل تصلح الترجمة ما ألفه الأدب المقارن، أو على الأقل ما لم يقدركه في منهجيته الهادفة، ثم هل الترجمة فعل مبكر ضمن شجرة المعارف الأدبية؟ وهل تثبتت قائله علمية للترجمة؟ وهل تقوم الترجمة بدورها الحضاري، أم أن الشكاوى والآلامات هي مصدر السكون، وعدم الخوض في إيجار ما قامت به طهيطة - على سهيل المثالي، إلى غير ذلك من الأسئلة المثيرة لمزاج الترجمة والتي لم يكشف من حقيقة ممارساتها بحد، في ظل تراكم الاهتمام باللغات الأجنبية التي من شأنها أن تشرى موسوع للتأثر والتأثير في الاتجاه الجديد الذي تسعى إلى تكرسه الدراسات المترجمة.

لا دود أن تصديق الأحداث فعمل كثيراً من الأسئلة صعباً عليها لها ما يحسب مفتاحي طبيعة الفصول اللاحقة، ولكن رأياً لا مرأى فيه، ولا شكاً حة عليه هو أن الترجمة مصدر أسس، وتلعبه مشقة كُفُل من خلالها للتطلع إلى ما أنجزه الآخر، وإلى مستجدات الاكتشافات العلمية، ومجريات التبادل الثقافي أو الحوار بين الثقافات شأن ما قامت به طهيطة إبان

1- S. Ann Bennett: *Comparative Literature: A Critical Introduction*. Oxford: Blackwell 1998, p 11.

التربيع الثاني عشر والثالث عشر من ترجمت إلى اللاتينية حيث دجمل  
 النصارى من طليطلة مركزاً مهماً انتشرت منه هوية العرب للمسلمين  
 وعلومهم إلى أوروبا؛ إذ قام ملكها ألفونسو السادس بإنشاء معهد المترجمين  
 الطليطليين الذي ذاع صيته في أوروبا عندما لجأ إليه تفر من العلماء  
 الإسبان والأندلسيين والبروتستانت في عهد ألفونسو السابع.<sup>(1)</sup> وما كان  
 للحضارة المغربية أن تتطور في القرن الحادي عشر الميلادي لولا انكباب  
 العرب على نقل الفكر العربي ونقله إلى لغتهم وقد أشار محمد عبدة في  
 تراثه إلى دور العرب في إغناء الفكر الغربي بفعل إقبال الطلاب الذين  
 توافدوا على أكف الأندلسية من كل أنحاء أوروبا ولا سيما شمال إسبانيا،  
 وفرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، والمانيا، لنقل العلم والفنون العربية الإسلامية.  
 وكان الكثير منهم قد تعلم اللغة العربية مما جعلهم يدرسون علوم العرب  
 بلغة الأصلية. لقد كان هؤلاء الطلاب الذين تعلموا على أيدي المسلمين  
 في الأندلس السبيل الأساس في بحث حركة الترجمة في أوروبا.<sup>(2)</sup>

صحيح أن طارق الزمر، والمكون الحضاري، كلاً منهما يؤدي دوره في  
 تنوع فعل الترجمة، وأن لكل عصر من عصور الترجمة خصائصه  
 الموضوعية والفنية، ولكن لا جدال فيما تمارف الدارسون عليه من دور  
 الترجمة، وما تقوم به من وظيفة حضارية. تكتسي طابع التقارب فيما بين  
 الشعوب، فاهلك عن تقارب الثقافات والمعارف.

وإذا كانت الحضارة الغربية، شعباً، قد تلاشت على اكتساب اللغة  
 العربية لنسبة المستعمر في ممارفهم وثقافتهم، فإنه مع مرور الزمن، وتبادل  
 المواضع، لم تبق اللغة العربية اليوم، يقد من خلال ترجماتها - لنقول إنها،  
 أو لنقول معها - على الدور نفسه الذي ساد عصر مجد طليطلة وما د.

1 - محمد عبدة: الترجمة في العصور الوسطى، مجلة حوليات انترنات، ج 5، مارس 2004

2 - المرجع السابق، ويتطرق أيضاً إلى ذلك

Mohammed Abdennour Hilalghane et traduction en Espagnol musulmans. In  
 Anales de Traducción, N° 3, Universidad de Navarra 2003, p. 161

الأمر كذلك، فسيحتاج نصيب الترجمة في المعارف العربية بحاجة إلى دعم من روح المسؤولية لدى الجسور بينها وبين الثقافات الأخرى.

وتملئ الأسئلة السابقة وما يتضمنها من معنى إمكانية أهمية الترجمة في التقاطة العربية، والحاجة للغة إلى اعتبارها استراتيجية أساسية في تنوع نسق ثقافتنا. لعل في ذلك ما يجعلنا نضع الترجمة داخل إطار اهتمامنا بها في التصول القائمة، محاولين في ذلك الإجابة عن كثير من الأسئلة السابقة لها عاً .

## **الفصل الثاني**

### **الترجمة وتجليات الآخر**

المبحث الأول: آليات الترجمة ومعرفة الآخر .

المبحث الثاني: الترجمة عامل تأكيد وتأكيد .

المبحث الثالث: أنواع الترجمة .

## المبحث الأول

### آليات الترجمة ومعرفة الآخر

كثيراً ما يخلط بعض الباحثين في حق مصطلح الترجمة بوصفه - في نظرهم - أداة لنقل المعاني في التحدّين المختلفين أو من اللغة الأولى إلى اللغة الثانية المترجم إليها، مع مراعاة الاحتفاظ بالمعنى الأصلي في النص المصدر، غير أن الحقيقة المعرفية تقتضي التعامل مع الترجمة أثناء نقل المعرفة بما تملكه ضرورة الاعتماد بالوظيفية للنواحيات في النص المصدر في سياقه النصي، فالترجمة ليست «مجرد نقل نص من لغة أولى إلى لغة ثانية، بل هي نقل حضاري للنص الأول من حضارة إلى حضارة أخرى، أو من نسق ثقافي ما إلى نسق ثقافي آخر، وبلا هذه الحال يفترض ألا يكون النص المصدر منزلاً عن سياقه الحضاري الأول الذي خرج منه، ولا عن سياقه الحضاري الثاني الذي دخل فيه، على أن تكون عملية النقل - هذه - عملية بسياقات حضارية متعددة نجمل الترجمة نقلاً حضارياً، وليس مجرد استبدال نص بآخر، أو عبارة بعبارة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف»<sup>(1)</sup>؛ الأمر الذي قد يمدنا عن معرفة حقائق المعارف بين الحضارات المختلفة والأسماء المتباينة واللغات المتعددة بفرض الإضافة والتعاضد مع تعامل الحضارات بمختلف أطوارها وأزماتها وأمكنة.

ومن هنا تكون الترجمة ضرورة ملحة للتغريب من الحضارة الأجنبية عبر وسيل اللغة؛ إذ البشر - لا مبالاة - واقعون تحت رحمة اللغة التي هي وسيلة تمييزهم عن مجتمعاتهم، على حد ما اعتبره إدوارد سابير Edward Sapir من أسس التجريبية العلمية لتعدد في العالم من خلال العلاقات اللغوية في المجتمع، وأن كل بيئة لغوية منفصلة تمثل حقيقة

1 - ينظر المرجع السابق، ص 70.

مفصلة... ومن ثم لا تتشابه لغتان أبداً بما فيه الكتابية لكي نصير لهما  
 يمتلكان الحقيقة نفسها، بل إن اللغتين التي تعيش فيها مجتمعات مختلفة  
 ممتدة: لأن الاختلافات هي اختلافات حقيقية لا مجرد فروق ضمن العالم  
 الواحد نفسه<sup>(1)</sup>

إن حقيقة الترجمة في منظور مادل اللغات في الكتب اللغاري علمي  
 أهمية التواصل الحضاري بين الشعوب عبر الأزمنة المختلفة مما قد  
 يعكس صورة مفيدة على وجه الإجمال يكون لها شأنها في خدمة جوانب  
 معرفية وحضارية، وعلى نحو ما وقع لأصحاب النهضة في أوروبا الغربية  
 بفضل عوامل كثيرة من ضمنها أهمية الترجمة من العربية إلى اللاتينية  
 اعتباراً من 1488م وهي الحقبة الزمنية الفاصلة بين عصر النهضة في  
 أوروبا والعصر الذي يطلق عليه الأوروبيون اسم العصر الوسيط<sup>(2)</sup>. ومن  
 الطبيعي في مثل هذه الحال أن يكون لمدور الترجمة والتريب اللغاري بين  
 بعضها البعض النافع الأساس لتصورك القول وتقبل العلوم، والتطلع إلى

1 - Edward Sapir: *Culture, language, and personality*, Berkeley University of  
 California Press 1960, p 99.

2 - بين عصر النهضة الأوربية والعصر الذي يطلق عليه الأوروبيون اسم (العصر الوسيط)  
 الذي سلكه 1488م التي شهدت سقوط القسطنطينية، عاصمة البيزنطيين على يد الأتراك  
 المسلم على ميشيل البوسيون، بعد المظفل العشاني محمد الذي نسب إلى ذلك به (الفتح).  
 ينقسم في الترجمات من العربية إلى اللاتينية، على وجه الإجمال، كأنه يُقسم حاداً على:  
 كالعلوم الطبية، والصيدلة، وعلوم الطبيعة، والكيمياء، والفيزياء، والفلسفة،  
 والفيزياء، أو كالمجموع حاداً على: كاللغة، والفن، والفيزياء، والفيزياء، والفيزياء.  
 وهذا التقسيم الحاد في حركة الترجمة من لغة متحضرة متطورة إلى لغة أخرى في طور  
 البدايات والتقدم سلك في معظم حالات الاحتكاك بين حضارتين متباينتين في  
 الحضاري، فالتأثيرات لا تكون أبداً إلى ما يتركها فيه شيئاً. فكون ذلك في الجوانب  
 المتقدمة التي لا تتركها بروح الجماعة أو عائلتها ارتباطاً كلياً ولا تتركها في الوقت نفسه  
 شيئاً مما هو صورة لها. وعلى هذا الأسس كأنه هذه الترسات تؤدي خدمات موسومة  
 بالبناء، وهذه الترسات في مدور التفكير العلمي والفلسفي الناشئ في أوروبا. وهذه ذات هذه  
 الترجمات حدد من كبار العلماء أمثال الكبير الكبير (1280-1360م) استفاد الفلسفة  
 والأدب، وأصله خلف عصره في التاريخ الطبيعي، ويوجر بيكون (1214-1294م) كالم  
 الإنكليزي الشهير وجميعاً من كبار العلماء الأوروبيين آنذاك الرجوع نفسه من 84  
 2 - بطرس عبدة القلندر: تاريخ الدولارات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت  
 عدد 147، يناير 1992، ص 26

الاتفاق لبناء مجتمع مزدهر ثقافياً، وهو ما اشارت إليه سوزان باسنيث Bassett حيث اعتبرت أن الوحدة العملية في الترجمة ليست هي لكلمة ولا النقص وإنما الشكافة لأن الملاقة مع الآخر ثقافياً لا يمكن ان تتم إلا عبر حمير الترجمة بوصفها نوعاً مضافاً إلى اكتساب تجربته معرفية جديدة لها رصيدها وواقعها المتميز. ولعل في مثل هذه التجربة ما يضي من قدرات التحليل والاستنباط لعمليات تقود إلى إحداث تغير في البنية الفكرية التي من شأنها ان تغير من نمط تكوين البنية المعاصرة تباعاً

إن كل ترجمة - في منظورنا ومحبب رأي سوزان باسنيث - لتجدد هيل خصوصية الآخر بكل مقوماته الثقافية واللغوية لتجدد في نفساً وإعمال هذا البعد هو إعمال للحقيقة المطلقة لبناء الذات على اعتبار أن مقومات الذات مرهونة بمعرفة الآخر، وهما زعم المرء لنفسه أنه متكامل معرفياً وحضارياً فإنه لابد أن يجد نفسه مضطراً إلى الآخر في مكوناته الحضارية، بوصفها حلقة اتصال وتبادل وتفاعل في الثقافات، ولئن يكون ذلك كذلك إلا بواقع الاحتكاك بالآخر عبر آلية الترجمة؛ لأن الإنسان بالضرورة موجود متفاعل، ومعنى ذلك أن وجود المرء هو ذلك الوعي الذي يدعوه ونظمته بوعي الآخر من خلال مكوناته اللغوية والثقافية، ولن يأتي ذلك إلا في ظل إمكانية تحقيق غاية الترجمة، ولذلك طالبنا تقوم الحاجة إلى الترجمة نجد أن اللغات تسمى إلى الاستعداد من أسرها، ومن ينسب إليها عرفياً أو جهياً، وليس مستمراً أن يجمع منظور الترجمة على أن اللغات كلمة اختبرت من بعضها نسبياً في لبنيتها وتراكيبها كانت الترجمة أكثر حسراً وكسلاً<sup>(1)</sup>، وليس في وسع أي لغة أن تؤكد وجودها إلا إذا برهنت على تقاطعها مع لغة أخرى الأمر الذي يؤدي مسبباً إلى ترميز مريشا ثقافية بالإفادة من إيجابيات ثقافة الآخر ومبني ذلك أننا كثيراً ما نجد لدى الآخر مؤثرات تدفع بنا إلى التطوير.

1 - ميجان الربوي: دباب الترجمة صواعق ثقافية مجلة علامات في النقد، العدد 12، ج 48، جوان 2008، ص 282

صحيح أن لكل لغة متوماتها الثقافية وأن تطورها مرهون بمفاهيمها الخاصة، لكن الأصح من ذلك هو أن هناك عوامل مشتركة بين الأمم والمجتمعات يحاول العلماء والمفكرون إقلمتها، على اعتبار أن وجه الحاجة إلى تعاقد العلاقة بين هذه الحضارات هو الوعي بما في اللغة - مكوناتها الثقافية - لأن العالم لا يتكشف إلا عن طريق اللغة بوصفها عملية تبادلية تتحقق عبر التواصل المستمر بين الذات والآخر، وليس من شك في أن تخريب صلات هذا التواصل لا يمكن أن تتحقق إلا بفعل الملائق العكسية والأدبية التي حينها الأدب لقارن الذي من شأنه أن يقدم منهجاً لتوسيع نظرة الإنسان في تناوله للأعمال الأدبية المعينة، إنه طريقة للتشطر إلى ما وراء الأثر الضيق للعبور القومية من أجل إدراك الاتجاهات والحركات في الثقافات القومية المحددة، ومن أجل إدراك العلاقات بين الأدب والمجالات الأخرى لنشاط الإنساني... ودراسة لغة ظاهرة لدية من وجهة نظر أكثر من أدب واحد، أو متصلة بعلوم آخر أو أكثر،<sup>(1)</sup> رغبة في نقل تجربة الظاهرة الأدبية من لغتها المصدر إلى تموضعها في اللغة المنقول إليها، وقد تمكن ذلك بصورة جليلة في فكر النهضة المروية الحديثة الذي أسهم بقدر المستطاع في الانفتاح على الآخر.

ولعل هذا هو السبب في تطور الأهم في ثقافتها ومطرحها من خلال توسيع نشاطات العلوم والمعارف: لأنه مهما أخذنا على عاتق استخدام مكوناتها من أجل المممل على تحقيق ذواتها وتطور ثقافتها إلا أن ذلك لا يخلو من بعض القصور الناتج من الميزة الخاصة في حين أن هملتي الظاهر/الثقافة، والاحتكاك المستمر هما حليف الوعي والابتكار، لأن مبادئ الإنسان قائمة على التجدد، وهذا ما تفقده جازم من في عواص أزدهار أمة حضارة لا تنم بالصورة المرجوة إلا بصدى احتكاكها بالعالم الأخرى، والإفادة من الحضارات الأخرى عبر آلية للترجمة التي من شأنها أن تفتح

1 - انظر: عبد الحكيم حسنة: الأدب لقارن وجه المجموع الفرنسي والأمريكي، مجلة فصل المجلد 3، العدد 3، القاهرة 1985، ص 18.



المتناقضة بين الشعوب والأمم؛ لأنه ما من شك في أن الاتفاق على أدات لا يسهم في تقارب الحضارات. ولهذا السبب أصبحت الحاجة ملحة إلى ما توصلت إليه عوالم هذه الشعوب أو تلك ومقارنتها بمدى ما توصلت إليه المعارف الأخرى من النضجة الأخرى في كثير من مجالات المعرفة.

وليس الارتباط بالآخر سوى الفرصة الفلسفية التي تستثمرها الأدات لنجاور القديم والمألوف من منظور أن الحياة البشرية قائمة على العمل المشترك؛ إذ لا ترقى الأمم إلا بفضل التبادل، والتآزر، والتعدد، ومن ثم فإن تحقيق أدات مرتبط بالأخرى في سبيل تحقيق النشاط الإنساني الذي يبرأ من وزيته تجديد الخبرة الإنسانية، سواء فيما يتعلق بخبرات الذات العقلية، أو الوجدانية، أو الاجتماعية، أو الثقافية بوجه عام، ومعنى هذا أن التطور المعرفي هو محصلة قدرة الإنسان على استيعاب كل ما يحيطه من قوى، بما فيها القوى الخارجية في اتجاهها الإيجابي أو السلبي، وحين يدرك الإنسان حقيقة ذلك فإنه بالضرورة يتخطى كل الضوابط التي من شأنها أن تفرق مسيرته الحضارية، وهنا يكمن دور الاهتمام الأعظم بتطوير الأمم والمجتمعات.

والواقع أن تقويم المعارف من لغات مختلفة لعب دوراً هاماً عبر الرسالة التاريخية التي قدمها لداخل هذه المعارف وتقارب اللغات وهو ما سهل مهمة القضاء على العمالة المعرفية بالإنسان المادية وأدواتها الذهنية، ولعل لمصلحة من وراء هذا هو أن تكوين أدات نابع من التفاعل مع الآخر، أي أن كلًا من الذات والآخر لهما مستقلان عن بعضهما، وإنب هذا متآزران ومتعاضدان، وإن هذا التكلفت من منظور الأخذ والعطاء هو المعيار الحاسم في الأصول المتطرفة يتبادل أدوار المثل وتوسع المعرفة؛ لذا كانت ظاهرة عظمي التأثير والتأثير تنبثق من رغبة الإنسان في التجدد من خلال ما الجسور مع الآخر عبر وظيفة الترجمة بوصفها تجسيدا لمعارف كل من لغات والآخر، ولأن معرفة أي منهما، في نهاية الأمر، لا تعدو أن تكون مجموعة من الأفكار والمعارف المترسنة بتبادلها.

ويرى ما كان ارتباط المعارف بعضها ببعض في الحالات المتتقة بميليه  
 'التأثر والتأثير هو تطوير ما كان خفياً وكامساً عند كل من اللغات والأمر،  
 لهذا أمكن ذلك' اعتبر الرسالة الإنسانية متفاعلة في اتجاهها الصحيح،  
 من منظور أن الإنسان أيّاً كان كل الحق في أن ينتظر من تصد المعارف  
 في لغاتها المختلفة أن تؤثر في مواقفه إزاء موضوعات المعارف، متنوعة،  
 ويمثل هذا التفاعل محوراً مهماً للبحث في الأدب للثان من خلال الترجمة  
 التي تعد - بدورها - عنصراً مهماً في تطوير أية معرفة، أولية حضرة؛ وإد  
 «منعظم هذه العلاقات في تصور مجال الدراسات المقارنة للأدب، يمكن  
 أن نرى بوضوح أن معظم دراسات الأدب المقارن حتى الآن (والغربية منها)  
 بشكل خاص) تمت ضمن إطار المجاوزة بمطابقها المكاني والزمني فهذه  
 الدراسات تتبع موقع أدب من أدب آخر عن طريق المجاوزة، بتقصي عملية  
 التأثير والتأثير بينهما، فكما في الوقت نفسه، تمتد في التحليل لموضوعي  
 الذي تبني عليه الحكم بالتأثير والتأثير على التكرار أو الظاهرة الجزئية،  
 وهذا التصور فهي ذات بعد تاريخي صرف يشبه نظرية الانتشار الثقافي  
 في دراسة الأسطورة واللغة قبل لوي شتراوس وموسير»<sup>(1)</sup>.

إن أهمية التفاعل بين اللغات والأخر هي بالتعدد المحور الأساس  
 والتربة الأكثر صلاحية لإبرار التقارب والتكامل بين اللغات بما تحتويه من  
 علوم ومعارف في شتى مجالات الاجتماعية والإنسانية والطبيعية، وغيرها  
 من المعارف المتعددة، ولعل في توطيد صلة هذا التقارب ما يبرر استخدام  
 الطعوب والأمم في بناء مكوناتها الحضارية، فإن السعي إلى تحقيق ذلك  
 «هو أمر ضروري وصحيح ليس فقط لإنشاد الفكر البشري من برائن  
 التخصص الخشنة، والتلويح المستشر، والتشديد، بل وأيضاً، وبصورة  
 خاصة، لأنه يتوافق مع مشوه وممار مشكلات العصر الكبرى، ومساعد على  
 شهيبل حلها، لكان ظهور وتنام مشكلات مركبة يتوافق ويتسجم مع ظهور

1 - كمال أبو دهب: إشكالية الأدب المقارن، مجلة دراسات، طوط 3، عدد 3، القاهرة  
 1988، ص 79

وتتطور علوم مركبة متكاملة، وهذا يعني أن دفع عملية التكامل العلمي إلى الأمام هو في حقيقته وسيلة لاستيعاب هذه المشكلات بصورة سليمة ابتداءً<sup>(1)</sup>، ولعل في هذا المخرج ما يفيد ضرورة أهمية تكامل المعارف والحاصل أنه حينما نحاول معاهمة الترجمة في لقاء تناولها معالم الآخر، فإنها تحملهم التلاحق أمراً مستمراً، بحيث يكون الاتصال بالعالم الآخر اتصالاً حصرياً، وهذا المعنى أيضاً يستلحق الترجمة أن تزوي دوراً فعالاً لإبرار المشكلات البشرية التي تزك تازماً، وسائر مشكلات المعبر، والنظرة الشمولية ضرورية لاستيعاب هذه المشكلات باعتبارها منظومة واحدة متكاملة، ومتكاملة وذات بنية ديناميكية متغيرة، مما يحد على الخروج عن إطار التصورات الكمية الضيقة عنها باتجاه تكوين منطقات وتصورات نوعية متطورة<sup>(2)</sup>.

إن قراءة فكر الآخر من شأنه أن يخلق مشروعاً تكوينياً، لما يحمله من تصور مقابلي للفكر المحلي الذي غالباً ما كان يتعامل مع الذات - في رصيدها الفكري - بنوع من القداسة، إلى أن بدأ يتصور نسبياً بالاحتكاك مع الآخر، على نحو ما ظهر في فكر التنويري الذي نمود مؤشرات بدايته إلى منتصف القرن التاسع عشر، من خلال ما دعا إليه العديد من المترجمين بالاستفادة من ثقافة الغرب، واستمرت الدعوات في هذا المجال ورغم بعض الهفوات، مثل عدم تجردها عن الميول والأصواء، كنا عدم نقصها ذلك إلا أنها أسهمت في فتح آفاق الفكر وتفتحه على الكون من خلال الاحتكاك بالغرب على نحو ما فعله طه حسين والمفكر المحلي. وما وصلت إليه مسألة التنوير في معرفتنا بالصورة إلى التنويرية مطاوعة أفكار الغرب جميلة واتصفاً، كما فعل سلامة موسى الذي حاول أن يقتر على رصيده المعرفية الغربية، فخلق نوعاً من التمدح في روح العلاقة مع الآخر، هذه العلاقة التي حاولت أن توسع آفاق الفكر الغربي في المعرفة العربية.

1 - من انقري: دور الفلسفة في دراسة وحل مشكلات التصور الفكري، مجلة الفكر العربي، عدد 67، بيروت، 1989، ص 158-159.  
2 - المرجع نفسه، ص 159.

وإذا كانت نظرتنا تتبنى رؤية عقلانية لنفاية الترجمة من خلال ما نتعمده للمشروع الفهمي، فإننا من جانب آخر نتبنى نتائج ما مضى، على اعتبار أن الترجمة مفيدة لكل خطاب؛ لأن الأساس للمرية لكل حضارة هو ما تقوم به الترجمة من توجهات زامية إلى إضافة فكر جديد، وخلق واقع معرفي جديد. انصب إلى ذلك قتنا إذا ما تماطنا عن أهمية الترجمة وما تشكل من رصيد معرفي مضاف إلى النسيج الفهمي المتداول إليها، فمسجد انفسنا أمام فكرة مؤلها أن أية حضارة لا يمكن لها أن تحقق علاقة تفاعلية مع ذاتها إذا لم يكن لديها قابلية للتفاعل مع حضارة الآخر. وذلك ضمنتنا لرؤية مستقبلية لهذه الحضارة أو تلك. وحينها نعتقد ذلك، فلأننا ندرك أن الترجمة عنصر حيوي مهم في بناء ذات الأمة. رغبة في إعادة تشكيل فكرها على أمس معرفة جديدة ومتطورة، لأن التفكير على الذات دون الاهتمام والتطلع، إلى أفكار الآخر من شأنه أن يقضي إلى نتائج سلبية، تنحصر معها الذات في التراجع والانغلاق، مقابل الانفتاح المنوخي من التعرف إلى الآخر من خلال رصيده الثقافي والحضاري بوجه عام.

إن الترجمة بتعميقها النص الفهمي من خلال النص المصدر تحكمها علاقة حوار، والتعامل معاً بمرور كل منهما الآخر في مسألة الاتصال الثقافي الذي يقتضي التبادل. وفي حال إجراء هذا الاتصال تكون الترجمة قد أدت دورها في بحث الفكر المستير من أجل،

- « خلق معرفة متحررة قائمة على روح المبادرة.
- « بناء معرفة شافية جديدة تسمى إلى التطلع والاستكشاف.
- « توجيه رؤيا المعرفة المربية إلى ما هو أكثر فائدة للتنمية.

## المبحث الثاني

### الترجمة عامل تأثير وتأثر

#### أولاً - إيمانال الحدود بين الثقافات

من ضمن الميمنة في المجالات الإنسانية، وخاصة منها الفكرية، أن تكون جدلية التأثير والتأثر متبادلة ثقافياً، إذ كل فكر، أو معطى حضاري، يتأثر بما سبقه، وقابل لأن يؤثر فيما يليقه حين تتوافر الشروط اللازمة من عناصر القوة والامتياز؛ لأن القيم الإنسانية في جميع الحضارات ذات طبيعة تكافئية، فاعلة ومتفاعلة، مؤثرة ومتأثرة، وهذا أمر طبيعي يطرأ إلى فعل التطور الذي يليه العقل.

ولذا كانت الترجمة منذ القدم هي النافذة الأولى للتأثير المتبادل بين الثقافات، فإنها ما زالت إلى يومنا هذا منحصراً فاعلاً، ووسيلة من وسائل الاكتشافات المتبادلة في مجالات الفكر والإبداع. ولعل هذا الفلاح الذي تعدله الترجمة بعد ثورة من ثمرات الإنجازات المتطورة بين الثقافات، وهذا ما جعل سوزان بنت *Suzanne Sontag* تتخذ من الترجمة مادة أساسية ومستقلة في حقل الدراسات المقارنة؛ إذ تقول: «ومع تطور الدراسات الترجيمية إلى نظام معرفي قائم بذاته بمنهجية مستندة إلى المقاربات والتاريخ الثقافي فقد أن الأولن لإعادة النظر وما زالت الترجمة قوة تشكل وتهمية في تطور الثقافة العالمية. ولا تستطيع أية دراسة في الأدب المقارن أن تجر دون أكثرات بالترجمة»<sup>(1)</sup>.

وهذا أمر طبيعي ما دامت الشعوب والأمم غير متكافئة معرفياً وثقافياً، وهو ما يعطي نوعاً من التمايز الثقافي نتيجة عوامل كثيرة، لعل

1- S. Sontag, *Comparative Literature: a Critical Introduction*, Oxford, Blackwell, 1990, p. 190.

من أهمها خصوصية كل لغة في ثقافتها المتطورة، مما سهل الوصلية الثقافية على بعض الشعوب والأمم الخامسة، ومع كل ذلك فإن هناك عاملاً مشتركاً يجمع هذه الشعوب ببعضها ببعض، ويمثل هذا ضرورة الثقافة فيما تحمله من طابع إنساني، مما يدفع كمية التأثير والتأثير بطرق ثقافية لإثراء إحداها الأخرى؛ الأمر الذي يطلق نوعاً من التكيف وموازين التعديل، وجعل التفاعل الثقافي بين الحضارات أمراً واقعاً، حيث تستمد الثقافة غذاءها وأهميتها من تباينها وتوسيع مجالات إبداعها وتعميقها على الانتعاش على حصنها المصدرات، ومدى تفاعلها مع الثقافات، عبر الترجمة التي تشكل جسراً للحوار، وإزالة الحواجز بين الأقوام والجماعات<sup>(1)</sup>.

إن الأدوات المعنوية في سباقها المتسيرة للتفاعل الثقافي والتعاون من شأنها أن تسمى وظيفة التأثير والتأثر كونها تحمل ثقافات متنوعة عبر وسيلة الترجمة والقراءة الفاعلة التي اعتبرها هانز جورج جادامير نقل لغة وأفكاراً، لأن العملية التي يقوم بها المترجم تشتمل في جوهرها على كافة الأسرار التي يطوي عليها انهم الإنساني لكل من العالم والاتصال الاجتماعي على حد سواء.

أضف إلى ذلك أن فاعلية التأثير والتأثر تسهم في التوطيد بين هاتين أو لفتين من منظور أن التأثير دليل قوة المؤثر، حيث تكون اللغة القادمة، أو المترجم منها وسيلة مساعدة لدفع اللغة الأصل أو اللغة المترجم إليها، إلى سعة الاستيعاب والاستجابة لمتطلبات التطور اللغوي والفكري؛ إذ إن العلاقة بين اللغات في الأنظمة الثلاثة تشهد ديمومة قوية في ربط التواصل بين الشعوب بفضل الوسائل التكنولوجية المتنوعة التي كان لها الدور الأكبر لتسهيل التواصل الثقافي المعرف، وهكذا تنكشف الترجمة على أنها لا تقتصر على جانبها التقني؛ إذ تتم في إطار شبكة من العلاقات، عالمية

1 - فهد إقبال، الترجمة والثقافة ضمن كتاب الترجمة والتفاعل الثقافي - حقة بحثية - لمجلس الأعلى للثقافة، مصر 2006، ص 200.

النطاق، تجعل كل مترجم معتمداً في روابط مضدته تتسم بيمينه المركز، ولعنه ومصطلحاته، ومعتقداته، أو تلاميذه المكرمة، وذلك على نحو بات يؤثر حتى على إنتاج التصووس الأصلية ويشتت توزيعها في السوق المالي<sup>(1)</sup>. ومن هنا تكون الترجمة بمثابة الوسيلة القاطعة والأساس في نقل سبل التفكاك الحضاري ولتحوار بين الأمم، فتخلق ما يسمى بالثقافة "acculturation"، ذلك أن الثقافة لا تواجه ما بين ثقافتين فحسب، وإنما تجعل الثقافة نفسها في بعد عن ذاتها. إنها ما يقحم الآخر داخل لدات وما يجعل الثقافة تولجه نفسها وتمازج مع ذاتها. وما يجعل الكلمة تحتاج إلى تأويل وترجمة كي تعبر عن نفسها وتواكب التطايف، وسواء أكانت المسألة تتم داخل الثقافة الواحدة، أم بين ثقافات متعددة، فإن الترجمة تظهر هي أداة الثقافة<sup>(2)</sup>. والحال هذه فإن الترجمة تتجمل في مضامينها مشروعا إنسانياً يمدى الحدود الإقليمية للمعرفة أكثر مما تحمله من نقل لغة إلى لغة أخرى. لذلك فمعرفة لغتين لا تكفي للنقل بينهما؛ لأن المترجم إن لم يكن ملماً ومتقهماً بمفاهيم وأسس الثقافات التي ينقل منها وإليها، فقد يقع في الخلط والاكتمال، ويصبح أسير الترجمة التي تشوه المعنى، ولا تحقق الغرض الذي أجهت من أجله وهو تفسير كلام ونقل مبادئ إلى جمهور مستهدفه دون التشويه حرفياً بلغة النص الأصلي. لأن الانتماء في اتجاه التصووس لا يعني خيانتة بقدر ما يعني عدم خيانة لمطلق اللغة المنقول إليها، بل هو ضمان فاعلية الثقافة الناطقة عبر أسسها التهجية التكيفية التي يضمن بها النص المترجم<sup>(3)</sup>.

1 - تأري ديب: الترجمة اللامتكافئة، دراسات في التكملة الترجمة السياسي ضمن كتاب: سلسلة أبحاث المؤتمرات، الترجمة وتفاعل الثقافات، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ع 15.

ص 279

2 - ثقافة / الثقافة: ظهر المصطلح في أواخر القرن التاسع عشر في حقل الأنثروبولوجيا، ويقصد به التفاعل بين الثقافات والاستجابات الثقافية بين الشعوب.

3 - عبد السلام بن عبد الحلي: في الترجمة، دار الشؤون الثقافية، بيروت، ج 1، 1994، ص 20

3 - ذرا [إقبال: الترجمة والثقافة (ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات)، ص 294

إن ممارسة التفاعل الثقافي هو صعب من احتصار الطورق للتعامل إلى تطوير المعارف المتقوى إليها، يفرض إثراء ميل التفكير، وإحصاء المعالم الحضارية المتطورة. ومن هنا، يتضح الدور المهم الذي تقوم به الترجمة لتفعيل المبادرات المعرفية بين الأمم، كما لدلالة التأثير والتأثير من معنى المشاركة في الأخذ والعطاء في تبادل المعارف والتألفها.

ولعل من الخصائص البارزة للتأثير المتبادل في التفاعل الثقافي بين الشعوب، هو استثمار التفاعلية لتبادل في كيفية الأخذ والعطاء، وذلك لتسكين التحويلات المعنوية لعملية التأثير والتأثر، والتي يستلزم أن تجري على قدم المساواة مع خصائص التمسك الثقافي والضغط الاجتماعي.

وقد اعتبر المفكرين أن هناك الترجمة قائم على نقل السياق الثقافي قبل نقل اللغة، على حد ما قاله ويليامز Williams<sup>(1)</sup> من أن مهمة المترجم لا تقتصر على نقل اللغة، بل نقل الثقافة<sup>(2)</sup>. وهنا تكمن العلاقة المتبادلة والاحتامية بين الترجمة والثقافة، والإفادة من مضمونها عبر وظيفة الفهم، واللغة المقارنة، وهذا، يفرض حتماً إلى التمسك بهاديات السلطة، وموازين القوى بين اللغات والثقافات، وإلى الوقوف في مواجهات ثقافية هامة لتتحكم في رسم العلاقة بين كل من الترجمة والثقافة، وعبر ذلك إلى ارتباط هذا الزوج المفهومي بأسئلة الهوية والذات والأخر، كما تعكسها ممارسات الترجمة التي قد تبدو ظاهرياً ممارسات لغوية، ولكنها في عمقها ممارسات ثقافية، تستلطن جدليات الاختلاف والتعدد، والتماثل والتمازج<sup>(3)</sup>.

ولعل السؤال المطروح هو: كيف يمكن للترجمة أن تقوم بدورها في تخطي الحدود الإقليمية لتعريب الممارسات ثم كيف لها أن تكون أداة لخلق روابط اتصال بين المعارف وتبني الاختلاف بين الشعوب؟ وما هي سبل

1 - رشيد بروهون: درجة الوعي في الترجمة، تطوان، المغرب، 2005، ص 24

2 - رشيد بروهون: درجة الوعي في الترجمة، ص 28



عملية التوصل إلى حل عالم الترجمة وكيف تسهم إلى تقريب المساهلات بين اللغات، هذا قليل من كثير من الأسئلة التي تستوجب اختيار الترجمة على أنها المجال الذي تنتمي فيه اللغات ويتفق فيها التفكير اللغوي بينهما جميعاً، تفكير يثقف على التماثلات والاختلافات بينها، قصد الوصول إلى تلمس الدلالات المتعددة التي ينتجها التأويل وإلى تمثل قضايا الاختلاف والنسبية والانفتاح، وهي كلها مبادئ كوسية<sup>(1)</sup>.

## ثانياً - الحاجة إلى الترجمة/الثقافة

إن الشعور بالحاجة إلى دراسة ما للآخر من نماء معرفي لا يتم إلا عبر أداة الترجمة التي تسهم إلى تسهيل ثقافتنا ضد الركود الذي نشهد والذي لا نجد له مثلاً إلا لغة حضارة أو لغة، في وقت يمحى فيه العالم انفتاحاً ململمع النضير، على التنوع لرفع المسيرة الحضارية إلى التحديث،

لذلكه ليس من الغريب وجود صلات ثقافية تحكمها روابط الشافر والتأثير، ومع كل هذا فإن مستوى المعرفة المنقولة التي تم التوصل إليها في ثقافتنا إلى يومنا هذا - بما يترتب من تقدمه من إنجازات - غير كاف، حيث ما زالت الثقافة العربية في مؤخرة الثقافات والمعارف العالمية بالنسبة إلى عملية الترجمة التي من شأنها أن تضيء مصدر ثقافتنا، من خلال الاقتباس الخلاق من المعارف النيرة، بغية الانتعاش بها بطريقة خلاقة، وذلك حتى نتمكن من بناء مجتمع شادر على التكيف مع بقية الثقافات والمعرف الأخرى والملمة بجوهر تقنية المعارف للإفادة منها كلها بخدم مصالحنا ومتركلاتنا الحضارية.

ويصعب على أي باحث أن يجد أمياً، أو فقاً ما تطور بمهزل عن الاحتكاك والتواصل بالثقافات الأخرى من خلال عملية الترجمة، وإلا كان ما من هذا الأدب أو فلكه البسود والانحطاط نتيجة الانطواء على الذات

1 - عن رشيد بويون: درجة الوعي في الترجمة، ص 34

ولا من هذه الحال لا نعتقد أن هناك مبرراً للانطلاق على النفس، ما دامت وسائل الاتصال للتطورة تكنولوجياً، وارتفاع عدد المسافرين والمنتقلين بين الدول والقارات من السهولة يمكن تقريب الاحتكاك بالحضارات، والتنوع في المعارف، والتداخل في المفاهيم، مما يحد ذلك من عوامل اردهر أي حضارة لها قابلية التفاعل مع الحضارات الأخرى.

ولعل من دواعي الاهتمام بالتأثير والتأثير، وضرورة الاستفادة من الآخر، هو القيام بترجمة الأعمال الفنية الجوهرية، والمسارات المعرفية، من لغتها إلى اللغة المتقوى إليها، بوصفها وسيلة لأهمية تيارات التأثير والتأثير، ويتجسد ذلك أكثر بالاحتكاك الثقافات بعضها ببعض عبر مختلف المعارف والأشكال، أو التواصل المباشر من الفنانين والفكرين من خلال القيام بالرحلات، والزيارات ذات الطابع الفكري أو الفني وهذا يحد من صميم الدراسات لترجمة المقاربة التي ظاهراً ما فهم بالمصطلحات والفردات ذات المعاني الدالة على فكر التأثير والتأثير وهذا من قبيل المحاولات الجادة المخررة التي يقوم بها الباحثون ليوصلوا بواسطة تقصص الفروقات عملية التأثير والتأثير، فمثل هذه المحاولات تتركنا الطريق وتبين دون شك ما إذا كان هناك تأثير وتأثير أم لا<sup>(1)</sup>. وبعداً أمر طبيعي في حق الترجمة ما دامت تقوم بدور تقريب الثقافات وتواصل الشعوب، ولها أيضاً السبيل الأوسع لتطبيق الذات من خلال جسر التفاهة والإحساس بمدارك الترجمة، بوصفها فعلاً ثقافياً يضمننا أمام حقيقة التفاعل الثقافي بين الأمم.

إن الحديث عن حاجتنا إلى الترجمة هو حديث عن نوع من المعارف لا يقوم بدوره المخرر في وإنما الفكري، وإن كان له دور فهو ما قصر، وبشكل، على الرغم مما تتمتع به مؤسسات الأكاديمية من تشجيعات فلكية بمسبة إلى ما كان عليه الأمر في السابق، إلى غاية نهاية القرن العشرين لا سيما في حقل نقل مستجمعات المعارف إلى اقتصاد الثقيلة والمصرية بخاصة

1 - ديمون طهارة: الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب العربي، 1972، ص 43.

تكنولوجيا المعلومات: لأننا نعتقد جازمين أن الوصول إلى عالية المعرفة لا يتم إلا عبر قفزة الترجمة فيما ترمي إليه من مساع جادة، بعيداً عن التقدير الذي ما رأنا نشهده إلى يومنا هذا؛ لذا فثمة ليس من الحكمة إجماع حتى الترجمة عن معمار أهدافنا العلمية؛ لأن في ذلك ضرورة التفاعل بين المعارف والمصطلحات والعروض على إقامة جسر من الاتصال، وتجديد الأفكار من خلال جهود باحثينا ومن خلال منظوريا الفارسي وهوينا الثقافية، بحيث تكون حصيلتنا عن طريق الوجداني، والكتفي، لا من طريق المسع والمصعب، والتشكك<sup>(1)</sup>.

ومن المصعب أن يتصور أي باحث تطور ثقافة ما، أو ازدهار حضارة ما، بمعزل عن الاحتكاك بالآخر، كما أن الاكتفاء والانغلاق على الذات يعد من العوامل المثبطة لدور وسائل الاتصال والتكنولوجيا، التي من شأنها أن تقوم بدورها في دفع المسار الحضاري إلى النور والازدهار، بفعل دخال الثقافات ومساواة التعريب بين الثقافات المقارنة Comparative Culture فيما تسعى إليه من تمكين مولكية المتغيرات التي تقررها العولمة. أضف إلى ذلك أن عملية الاعتماد على الذات والانعزالية المبرطة في الألفية الثالثة أصبحت تهدد عملية التطور والملازمات المتنوعة الأشكال بين الأمم، سواء أكان ذلك في المهدى الصناعي، أو المهدى الفكري؛ لأن طهيمة التطور تقتضي إتقاني عملية التأثير والتأثر. فلك روابط الترجمة الأنمرالية، وإبعاد حالة الجهود والسكون التي هيمنت رزحاً من الزمن على الثقافة المحلية، ولنا في الحضارة العربية أسوة في بداية تطورها. في مدى نمكتها عن طابع الظاهر التاجع مع ثقافة وأدب الشعوب الأخرى المختصة، بخاصة منها ثقافة الحضارة العربية، حتى وصل بها الأمر إلى ما هي عليه، لما في ثقافتها ومعارفها من قدرة على صياغة الابتكار التي أصبحت في آخر المطاف ثقافة عالية، منها تنطلق دوافع الاهتمام بهذه الثقافة، برسها قوة إشباع على الثقافة الفكرية للأمم المختلفة. لا حين خالبا ما كانت الترجمة

1 - د. طر. حسام الخطيب: الأدب العربي لقرون، وصورة الملكية، المجلس الوطني 1385 والفتن والتراث، قطر، مادة، 1386، ص 138، 139.

في واحدة الثقافة أحدة من الثقافة للأحود عنها، حتى ولو كان ذلك على حسب هويتنا الثقافية مما أثار على قيمنا. وهذا ما يجعلنا نقرر أن عملية التأثر والتأثير ينبغي أن تكون متكافئة بين الثقافة الآخذة والثقافة لأحود عنها، كل منهما يفيد الآخر ضمن تفاعل حقيقي مرهون بالتفاعل المتبادل، والعدل أن طرح قضية الترجمة في ارتباطها بالثقافة ينبغي حتماً على أسئلة متصلة بمسائل أخرى: شأنة اللغة والثقافة، واللغة والمكر، وادات والأحر، بل ويستحق أيضاً على اتصال الترجمة وأنواعها من ترجمة حرفية أو حرة، وتأويلية أو متعبدية، وتتما لذلك فإن الموقف من هذه القضايا يحدد نوع العلاقة بين الترجمة والثقافة<sup>(1)</sup>.

إن أية ترجمة في فعلها مع الثقافة لا بد أن تسفر عن تحقيق ثلاثة، وتعزيز مسار التفاعل وليس التهمية، وهذا الشكل تتكون مواصفات الفعل الثقافي الناتج من الترجمة، وهذا الشكل أيضاً تتطور عملية الانكسار، بفضل التأثير والتأثر بين الثقافات التي من شأنها أن تدفع بمجموع الهبات المتطورة في المجتمعات.

ومن هنا يكون التفاعل بين فعل الترجمة وسياق تفعيل الثقافة من شأنه أيضاً أن يمثل مسطاً مشاعاً. وإدراكاً مشتركاً، يتفاسمه البشر دون الفوارق وثباته، ويمكن أن يمثل لذلك بما اعتبره أيزنر Wolfgang Iser من أن عملية التواصل «لا يحركها، ولا تظلمها منحنى محطاة، بل لها من مقيد وموسع بطريقة متبادلة بين المصريح والضمني، بين الكلف والإخفاء»<sup>(2)</sup>.

ولعل في هذه المقولة ما يبرهن على الإسهام في توليد فكر إبداعية جديد عما هو مأثور في الساحة العربية، وذلك حتى يتمكن من تجاوز الفوارق انحصارية بيننا وبين الغربيين، وشأنا على التكرار الميكانيكي لتجارب (الأخر) أيما كان، والذي إن يفضي إلى شيء، وتطور روح المعرفة التقليدية.

1 - رشيد مرهون: درجة الوعي في الثقافة، ص 33.

2 - هارلمانج أيزنر: فعل القراءة نظرية جمالية للتجاوز (في الأدب)، ترجمة محمد مصباحي، والجهاد في الكلية، منشورات مكتبة اللؤلؤ، سوريا 1993، ص 200.

## المبحث الثالث

### أنواع الترجمة

تتعدد أنواع الترجمة يتعدد الضاميم والاتجاهات الفكرية والأدبية، فمن الترجمة التجارية التي يكون أساسها تحقيق الفائدة - وكانت أول ما ظهرت في ألمانيا - إلى الترجمة التلهفية التي تسمى بتوسيل المعلومة بين الشعبين، والتي تسمى أيضاً بالترجمة الألمانية، أو الترجمة التأويلية في المدرسة الأنطونية. والمعقوفة أن الترجمة لا تقتصر عند هذا الحد من التسويع، بل تعدى ذلك إلى الترجمة التحريرية، والخطوية، والمكتوبة، والفورية، ومن الترجمة العلمية إلى الترجمة الفكرية، أو الفنية، والأدبية، وغيرها من الترجمات التي تعتبر في مجملها وسيلة للتقارب بين المجتمعات وأداة للتشقق. ومن هنا طرأت اتجاهات الترجمة وأنواعها تختلف باختلاف النهاية من الترجمة، وتراوح من التركيز على طسوى ومضمون النص إلى النواحي الجمالية والفنية فيه<sup>(1)</sup>.

إن ما يهمنا من هذا التمدد في الأنواع - وما يتفرع عنها من طرائق وأساليب إجرائية - هو 1 - الترجمة الإبداعية، 2 - الترجمة التأويلية.

#### أولاً - الترجمة الإبداعية:

تد الترجمة صيلة وصل بين الذات والآخر. وتمزير رباط الصلة بين العمل الإبداعي في مصدره وللذات المبدعة في نشأتها التطور والأنبات من خلال تماثل النسوس، بماصة اللغة النقول منها، فتكون بدلك العمدة الإبداعية تتعامل هذه التخصص. هذه العملية التي تبدو عاملاً آخر - ضمن عوامل أخرى - لتفع حركة الإبداع من منظور أن الترجمة هي

---

1 - علي درويش الترجمة بين الاستعلاء الثقافية والاستلاب الحضاري - مجلة ترجماته لغوية سنة الأولى، العدد الأول، فبراير 1990، ص 104.

المحتمز على المتقهر. لذلك نعتقد أن الفصل الحقيقي لولادة العملية الإبداعية في لغةها العربية والفني أصبح مرهوناً بما تقدمه الترجمة من كسر نمطية السائد، وأنها قادرة على إضفاء أشكال جديدة في مساحات الإبداعية في جميع المجالات.

إن رويد الأعمال الثقافية والفنية لطرق انتماع [الترجمة والإبداع] كانت - وما تزال - على قدر كبير من الأهمية في عصرنا الراهن نظراً إلى ما تشهده المعرفة من تعامل في تنوع الأجسام للمعرفة والفنية، مما أدى إلى إيجاد دور مميز للترجمة. وقد اعتمد هذا على طبيعة التغيرات المعرفية التي شكلت علاقة تلاقح واتحاد فيما بينها، وارتباط وتعاقد بين واقع أجزاء المجتمعات والأمم.

ولعل السؤال الذي يراود كل باحث مهتم بفن الترجمة وتفاعل الثقافات هو: كيف تندمج الترجمة في عملية الخلق والابتكار؟ ثم كيف تحضن مساحة الإبداع، وتفتح أفق النص الهدف، وتقبله في حيز ما يرسي إليه فضاء النص المصدر. وقبل كل ذلك كيف تصبح الترجمة قوة مؤثرة في الثقافة الألمانية؟ لعل هذا ما أجابت عنه سوزان باستت **Suzan Bassett** في معرض حديثها عن علاقة الترجمة بالتاريخ والثقافة، مشيرة أنه مع تطور دراسة الترجمة بوصفها حقلاً معرفياً قائماً بذاته، وله منهجيته المستمدة من علم المقارنة والتاريخ الثقافي، فإن الترجمة أصبحت قوة مؤثرة من قوى الصيغة الفنية في تطور الثقافة العالمية، ولا يمكن إغفال دراسة أدبية مقارنة دون الاهتمام بالترجمة<sup>(1)</sup>.

والترجمة بهذا الشكل نقطة صير إلى التوطن، وظاعل جديد، لديهم في التطور والمفاهيم الكلية في الزمن، والعامل الفعلي في الوطن الجديد. ويعد هذا من باب، ترفي المعرفة من درجة إلى أخرى.

1 سوزان باستت وكثيرة الوجهة: الترجمة، التاريخ والثقافة، لندن، روتز، 1999، ص 18

وكما ان اللقمة تتطور بتطور سمن الحياة كذلك تتطور بفعل التلقيح، وترقى وتقبل إلى ما هو أفضل بفضل عوامل كثيرة منها البصنة والاشتقاق، والتوليد، والترجمة المتجددة أي الإبداعية لأن كل ما يستمد من تلقى من الترجمة إنما هو إضافة نوعية تسمع التصور الفكري، والإبداع، مرمع لإنتاج، بفعل الأثر الموجود من تفاعل اللقمتين للقول منها والمقول إليها من هذا المنظر يصبح للترجمة دور في تطوير الحركة الإبداعية والعوامل الثقافية.

و ثم يمكن تأييد الترجمة - على الحركة الإبداعية في واقعنا المعرفي - لحدوثه لو لم يكن ذلك التلاحق الحضاري، غير أنه يجب الاعتراف أن الحركة الفكرية والفنية في واقعنا العربي ما زالت تفتقر للذات الفكرية الواحدة من الغرب، ويجب أن يكون واضحاً أن نشر الثقافة العلمية لا تقتصر فوائده على تزويد الجمهور الواسع بأحدث المعلومات العلمية ومساعدته في تملك المنهج العلمي في التفكير، وفي كافة المشاكل التي تواجهه بشكل يومي، بل يساهم أيضاً في تطوير ملموس في كافة مجالات الأبحاث، وإنتاج وتطوير التقنيات<sup>(1)</sup>.

ونحن لا نريد للترجمة أن تكون إجراءً فنياً فقط، لأن المترجم يمتلك لقمتين، يستعرض للنص باللغة المترجم إليها، فيصبح النص منجزاً صورياً، وحيداً تكون للترجمة كلية، ومجرد عمل تقني فهذا عمل غير مقبول فنياً وتقنياً، ذلك لأن كل التقنيات، تشرى في إنجاز عملها، الشغور لأليات معينة تتناسب مع المبادئ التي تنطلق منها، وفي الحالة التي نحن بصددنا، يكون امتلاك المرء للقمتين هو للمبدأ، ويكون إنجازاً للنص كتابة أو ترجمة من الشائع ألا تكتب هذا المبدأ، وهكذا نلاحظ أن كل تفكير تقني يطوي على أنه أو على قدر كبير من السجاجة، وقد أكبر من التمهيط في

1 - عرفت عامر، الترجمة العلمية والفرق بينها وبين كليات الترجمة وشاع استخدامات - حذفت بشيء - سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة 2004، ص 506.

تعتبر المسائل وتساؤلاتها، ولاسيما إذا كانت هذه المسائل تحتاج إلى إطار نظري تطرح فيه. وما نقصده بالإطار النظري هنا هو إمكان إبداع المفاهيم بنية إدراك القضايا المطروحة على مشورتها إدراكاً معرفياً، يتناسب معها من جهة، ويفسر حصولها من جهة أخرى. وليست الترجمة إلا واحدة من هذه التصليات<sup>(1)</sup>. وهذا أن يتولاه إلا بتحديد شروط امتلاك وظيفة النص المترجم، من خلال تطبيق معلوماته حتى يكون في مستوى المتلقي الذي ينظر إلى النص المترجم إليه كما لو كان في لغته المصدر، ولا فقدت الترجمة مبادئها النشوء.

إن معنى التأثير في العملية الإبداعية عبر الترجمة لا يتحو فقط مع نمو المعنى، بل أيضاً يشمل للبنى الخارجي في تعامل المصومين فيما بينهم، تماماً كما حدث لفقه الأجناس الأدبية، بخاصة الشعر العربي، المحدد، بدءاً من المحاولات الأولى في نظم الشعر الحر إلى قصيدة النثر، وفي هذا اعتراف مباشر من الساحة الإبداعية بتأثيرها العميق بالرائد الغربي القادم إليها من خلال الترجمة في جميع مجالاتها ولعدد مشاهيرها، مما ينعني صيغة فنية على تنوع الفباني بتوحي المعاني، وهذا ما أكدته يوسف الخال في أثناء تدريسه في تأثير الشعر الحر بالمؤثرات الغربية، وباعترافه الصريح أن هذا الشعر كان مجهولاً لولا الانفتاح على الغرب كما جاء في قوله: «والفهم يقتضيه بالتمام العربي فإنه تحرر من السيطرة الأجنبية ولزيادة انفتاحه على الاتجاهات المعاصرة، فتأدى هذا الانفتاح إلى مفهوم جديد للقصيدة، كان مجهولاً من قبل عند الشعراء والتلقين<sup>(2)</sup>».

لقد تمثل الجيل الجديد الرواد الغربيين واستلهموا مناهجها، مما دفع بالحركة الإبداعية إلى الابتكار والإبداع بنسب متفاوتة، كل بحسب فلسفته، ومدى انفتاحه من الآخر، ما يعني أن الترجمة في توجهاتها الفلسفية

1 - حيدر محشي، الترجمة بوصفها كلمة مفتاح، مجلة الآداب، بيروت، ج 1، ص 46.

2 - يوسف الخال، الانفتاح في الشعر، دار الفنون، بيروت، ط 1، 1978، ص 79.



فجرت العلاقات الدفينة أو النائمة، حيث كانت بمثابة الأرض المحمية المتعطشة والتي لديها القابلية للتلاقي نتيجة المأزق الفكري الذي راود مبسعيها. في جميع المجالات بدأ من التجربة الشعرية الجديدة التي فكت أرملة الثقافة حينما شكل الإطار المرجعي لعملية التأثر بالأحر، فأصبحت «نحلة» انبهار الشعر كمؤشر لاستجوار الثقافة العربية بكس قيمها وموروثها، أمام التحديات الحقيقي، وبصبح الشعر في بحثه عن ثورته أحد الأشكال التي يحدث فيها الثقافة عن لغتها الجديدة<sup>(1)</sup>، وفي هذا تأكيد مباشر ووجه من أوجه إظهار عملية التأثير بالأحر في تطوير العملية الإبداعية التي يمثل الشعر أحد أركانها الأساسية، وتمكين التراث العربي في تعزيز المكانة الإبداعية، وهذا دليل واضح على دور الترجمة في نقل رؤى الآخر وجلبها، وما وافق ذلك من تحول في مواقف أخرى كثيرة على جميع الأصعدة ومن ضمنها الجانب الثقافي.

وقد امتاز كثير من الشعراء المعاصرين بتأثرهم العميق بالترادف الغربي من خلال الترجمة الإبداعية، ولعل خير من يمثل قمة هذا الاعتراف صلاح عبد الصبور وأدونيس، وفلعل حاوي الذي اعتبره ابن الفكر العربي لا يستلزم أن ينفذ من الحضارة الغربية إلا إذا شمس عليها بكليتها، وكان يحمل في نفسه معياراً أصيلاً للحكم على الحضارات في تطويرها وبفضل هذا المعيار يستطيع أن يفرق بين المذاهب التي أنتت وإحدايات أصيلة إلى تراث الشعر العربي، وبين الصراعات والموضوعات والأزياء الشعرية المابرة<sup>(2)</sup>، وبفضل هذا التأثر تجسدت المنابع الإبداعية التي قضت على التمسك المنطقي للتراتبية التي عطلت الملكية الدوقية، والحرص الابتكاري، وتكريس القواعد النمطية، إلى أن جاءت حركة التجديد، فألغت المضمون

1 - بطرس الباس خوري: دراسات في نقد الشعر، دار ابن رشد، بيروت، الطبعة الثانية 1961 ص 221

2 - خليل حاوي: مقابلة مع خليل حاوي: أجراها صفي العبد صهيبي مجلة شعرية، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ع 129، ص 104.

التقديم، وأعادت تركيب التمسق الثقافي بطريقة مفارقة لما هو سائد ومألوف، واستقطبت دوقاً جديداً، مستمداً من مغارِب المؤثرات العربية التي ملأت التذهُن العربي في بداية تهضمه بقاموس جديد من التركيب والدلالات، وأسلفت المفردات من عقائدها التي كانت تحبس تدفق إغرازات المبادرة الإبداعية، فما كان من الشعراء المعاصرين إلا أن احتضنوا هذه المعايير الغربية، وهذا واضح من مبدأ كل شاعر تهنى حركة الانجديد، بل وأصبح من تأثير الغرب على جيل الرواد بحسب ما صرح به لوميس في قوله: «لحي من جيل نشأ في مناخ شاعري كان الغرب الأوروبي يبدو فيه بالنسبة إلى الغرب كأنه الأب»<sup>(1)</sup>. وهذا يكون عاملاً الترجمة قد شكّل إعطافاً حاسماً في منابع سائر حركتنا الفكرية والإبداعية، كما أنهم في تطور أبعاد التعبير بشكل متفاوت الأهمية، ولورة ملامحه الأساسية في ضوء بعدائه، انطلاقاً من دور الترجمة في تحرير منجزاتها على أهمية الجهن الجديد في مقوماته الفكرية والإبداعية.

لقد ساهمت الترجمة في التحول الجذري للحركة الإبداعية التي تجاوزت ما نجّته التمسق القديم، وطبعت تطور الثقافة الجديدة بتاهم هتية تبدو متلازمة مع مستجدات العصر، وقد ساعد هذا الانفتاح على وصول المطرائق الجديدة للمبتكرات والإنجازات التي بدأت بالإدانة من نغمها، في مجالات شتى في محاولة الرواد لتجديد التقسيم التعبيرية بخاصة، وفي مهمة كهذه لن يكتب لها النجاح إلا بالوعي الإيجابي الذي قامت به الترجمة، وبالمواصفات التي توافرت عند هؤلاء الرواد الذين تهلوا حركة التجديد في جميع المجالات، وشواهد ظروف مميّنة تشكّل في قدرة الذات على استيعاب ما يورد إليها من تقاسق وتركيبه ودلالات بالقدر الذي يكون مؤهلاً لمسوغاتنا الثقافية والمرضية. ولا بد لهذه التمايز - وهيها كثير - لكي تحيا حياة صهيبة أن يتم امتصاصها بالكامل في

1 - لوميس: سياسة الشعر، دار الآداب، بيروت، ط 1، 1966، ص 89.

سبيح اللغة الجديدة، ولا بد أن يتصهر ويذوب جوهرها في متن اللغة  
 الجديدة، من أجل أن تلتصق في بيتها الجديدة، ومن شأن الترجمة تمرير  
 معجم اللغة اللاتينية وإثراء جتورها اللغوية، وزيادة مرونة حدودها المعنوية  
 في الأدب، ويتم ذلك عن طريق تمرير فصوله من لغات أخرى سيما  
 الصعب، ولندعش منها إلى اللغة لترجم إلها، فونفتح مسجبه . ويقول  
 بارستون: (3) *Willis Barnstone* عن الترجمة: «إنها رحلة بحرية على متن  
 سفينة عابرة للمحيطات وكل سفينة مقدر لها الوصول إلى المرفأ غير  
 طريقين: الولاء للقيمة أو الولاء للخدمة، ولدينا ذلك سوف يقترح منه  
 اسم حالة البحر الذي عبّره قطعت السفينة رحلتها وهكذا فالمرأ الذي  
 سرقمو عليه السفينة بشحنة الثمائن قد يكون اسمه دمرها القديس  
 المخلص، أو «مرأ التناغم الجديد» أو مرأ دحبات المراوغة الهبة، لأن  
 ذلك المرأ لا بد أن يكون له اسم حقيقي يحمل طهيمة الأسلوب الذي  
 تمت به الترجمة من إعادة صياغة، أو تركيب معازات، أو استعارات، أو  
 حتى أسلوب التقليد المحض» (4).

وتتضاعف قيمة الترجمة إذا ما نظرنا إليها في الإطار الذي حافظ  
 عليه النسل الثقافي المتوارث، والذي كان يمانى من فوالب شبه كامل  
 للاحتكاك بالثقافات الأخرى. من هنا جاءت ضرورة أهمية الترجمة في أن تؤدي  
 دوراً بارزاً في العملية الإبداعية.

إن ضرورة الاستفادة من النتائج العلمية للترجمة النصيحة والقاعدة،  
 من خلال تحويلها التوظيف الجديد، واستثمارها فيما يطرحه النص

1 - كدهم ومفرجهم شعر، جليل لستاً لأدب اللغتين في جامعة قمونا، وفام بالشرير في  
 عدة جامعات غربية، له أكثر من أربعين كتاباً، ومن أهم كتبه: شعرة الترجمة، التاريخ،  
 النظرية والتطويل

*The Poetics of Translational Theory*, Albany, State University Press 1996.

2 - فاطمة مدعوت: ترجمة الشعر قبل إبداع، ضمن كتاب الترجمة وتفاعلات الثقافات  
 حلقات بحثية، المجلس الأعلى للثقافة، مرجع سابق، ص 996 - 999.

المصدر من أفكار وإجراءات تبنى جديدة على منقبي النص الهادفة حيث إن المعرفة بوجه علم لا تنمو ولا تتطور من الفراغ وإنما تتأثر في أنواعها ومستوياتها بما يسببه أثر هذه الثقافة على تلك ولعل الترجمة صميم هذا المظهر. والتي أخضعت شكلها التميز في حقل المصارف الجديدة، تقوم بالأساس على توطيد العلاقة المستمرة بين وسط الثقافات وتوير الأفكار وهذا النوع الأخير هو ما تحاول الترجمة تفعيله ضمن ما اختلف عليه الترجمة الإبداعية التي تتشكل وتتطور من خلال علاقتها المتبادلة بالثقافة. ومهدا للنسب فالترجم مبدع في لغة أخرى أو على الأصح، إنه مبدع في اللغة. ولذلك فلا يكون عليه أن يفضل النص وينسخه، ولا أن يترجمه ترجمة نهائية. فالنص الذي يكف عن أن يكون موضوع ترجمة لا يحقق ذلك لأنه ليس ترجمته النهائية في جميع اللغات وإنما لأنه مات، مات ك نص، وكلمة. فالترجمة هي التي تنفخ الحياة في النصوم، وتقلها من ثقافة إلى أخرى، والنص لا يموت إلا لأنه قابل للترجمة... والنص المترجم لا يلغي النص المترجم، وكل ترجمة تظل شفافة...<sup>(2)</sup> لذلك أن كتابات العملية الإبداعية التي يفترض أن يحظى بها النص المترجم هي ما يتوافر عليه من كون نوعي جديد، لا لأنه يطرح موضوعاً جديداً، بل لأنه يطرح أيضاً دلالات معجمية، وفراغية بلاغية متروكة، أضف إلى ذلك ما يحصله من سيالي ثقافية يختلف حسباً عن سياق النص المحلي، أو من إنتاج الفكري والأدبي المماثل في اللغة الأم. فإذا توافر ذلك في أي نص مترجم - مع شرط الإتيان الفني أي بالمعايير الفنية في ممارسة عملية نقل النص إلى اللغة الثانية - فإن ذلك يؤدي إلى تحقيق الجودة التي تفرص نفسها بالحاج على العملية الإبداعية.

ومن ثمة فإن ظاهرة الإبداع في النص الثاني - التي تشترطه نظرية النصي - مرهونة بمدى درجة إتقان مصدر اللغة في النص المصدر. ومضى

ذلك أننا مهما تحدثنا عن جودة للنص، فلا ينبغي أن ننقل كتابة لقاعدة لترجمته، وهكذا تكون جودة النص لتتقوى مرهونة بما يحمله من ملاحظات الإبداع وجودة الإتيان في نقله، ومن غير الطبيعي الفصل بينهما، «والترجمة من هذا المنظور إعادة صياغة الخطاب في قالب اللغة للتقوى إليها، من خلال الحوص على نقطة مكافئة تجعل النص المترجم ذا شكل طبيعي لا عربة فيه، وإن في لغته وإن في ما وراء اللغة أيضاً»<sup>(1)</sup>.

والترجمة لا تكون إبداعاً فطرياً تصنف بما يمتلك المترجم من قدرة خلاقة في تحويل آلية فهم النص المصدر، وتحويل قراءته إلى عمل الكتابة المنتجة التي تتمثل في نص الكتابة المستمدة من نص القراءة، من منظور أن الترجمة هي تعديل آخر للقراءة، وهي أيضاً تعديل آخر للكتابة في الوقت نفسه، إنها «قراءة - كتابة» أو «قراءة - قراءة» وذلك تبعاً لعمليتي التي نمازسا، ولعلها كانت من أجل ذلك في كل اللغات هي الصيغة الوحيدة الدالة على ازدواجية هذه العملية»<sup>(2)</sup>.

إن عنصر الإبداع في الترجمة يكشف عن قيمة الخصوصية والتبعية للنصاء اللغة للنقل إليها، أصف إلى ذلك أن الترجمة إذا كانت ثمرة من ثمرات الإبداع فإنها لا تتفصل عن التأويل؛ لأنها تنتج خطاباً جديداً، أي خطاباً ناتجاً عن قراءة المترجم للنص الأصلي، وتبلغ هذه القراءة مفتوحاً عندما تتحول إلى تأويل؛ أي إلى معنى أو قول أو خطاب يختلف مغايرة الخصة تماماً، وهذا يعني أن بوسع أي قارئ أن ينتج نصاً جديداً ابتداءً منه، ولم يكن ذلك بالأمر الممكن إلا لأن للقراءة الجديدة قد حطقت من الفاعلية القدر الذي يكفي لكي تتحول إلى نص أو خطاب<sup>(3)</sup>، وهذا خلافاً لما لوجه

1 - مصدر قيمة الترجمة والتفاعل الثقافي في مسار النصوص وشعارات ضمن كتاب الترجمة والتفاعل الثقافي - حقائق بحثية، المجلس الأعلى للثقافة (مراجعة سابق) - ص 95.

2 - منذر عياشي: الترجمة بوصفها كتابة ثقافية، مجلة الآداب، بيروت، ج 4/3، ص 47.

3 - يوسف سلامة: ما الترجمة (الترجمة بين التمثل والتأويل)، مجلة الآداب، بيروت، ج 4/3، ص 44.

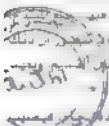
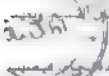
النظرة التلصصية للغة، والتي ترى أن تحويل النص المصدر إلى اللغة المنقول إليها بالتصريف اللغوي يساهم وتحرفه غير أن نظرة كهذه لا تمت بصلة إلى المقولات الحديثة بخصوصيتها الخاصة منها اللسانية، التي ترى في اللغة قابلية اللغوية من حيث فعل الخلق والابتكار، على عكس ما تنهت النظره الميتافيزيقية في بلوغ مقصد اللغة، وهذا ما عبر عنه جاك دريدا Jacques Derrida الذي رأى أن الاختلاف مع الفكر الميتافيزيقي، وتسرب إلى مفهوم الترجمة من مفهوم الاختلاف، في الاختلاف في الترجمة هو جزء من احتلال الألف، كما تسرب الاختلاف إلى الأصل، لأنه يعتمد على الترجمة، سواء قبلها أم لم يقبلها<sup>(1)</sup>


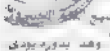
ويعد التحويل أحد التوابع الأساسية في الترجمة الإبداعية؛ إذ يضطلع المترجم على دور الكلمة في الموقف لتتأصل من السياق وكأنه يتقمص دور المؤلف، أو المفسر، في توليف الكلمة لمؤ العبارة المترجمة، في التقاء مفرداته، وبالأحرار، وفي مثل هذه الحالة غالباً ما يعمل المترجم في توليف هذه الكلمات أو العبارات إلى التعاطف منها في ضوء علاقة الفكرة بالسياق الذي يأمر المتلقي في أثناء لقاءه مع النص الهدف ويعتقد مؤيدو المبدأ التوليبي بأن التولية ممتدة لمبدأ الترجمة... فالترجمة يجب أن تكون تفسيراً، وهذا هو غاية أهداف التولية كما يطرحها خلدون؛ كل ترجمة بحقيقة ذاتها تفسير، وبالفعل مستلزم أن نقول لها تنويع للتفسير الذي وضعه المترجم للأصل الذي يواجهه<sup>(2)</sup>.

وتعد علاقة الترجمة بالإبداع علاقة ولاء بالكشف عن المعنوية الخفية، وهي علاقة تبادل من حيث كونها تشتمل للإبداع العديد من

1 - *Difference and Translation*, p. 242, *Les mots de l'écrit*, Grasset  
 Jacques Derrida  
 ونظر إلى عمر كوش: الترجمة بين شمولية الميتافيزيقيا ولا نهائية التحويل، مجلة الأدب  
 صوته ج 4/5، 1999، ص 36.

2 - ينظر: محمد شاهين: نظريات الترجمة (وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى  
 الإنجليزية والعكس) مكتبة الثقافة لكسر وتنويع الأرواح، ط1، 1998، ص 36.

لادوات ولسانج تجربيه التي يمكن ان تكون اساساً لتعمية الابداعية من خلال تاسير الادركي بعالم النص مصدر والاطلاع على معرفة نتائج آخره ومن في هذا اثر من يربط صفة الذات بالآخر مدحاً من نوعه تجري والاحتشاش التي ما هو قصير غير انشغال الى لسانج تجريه نهره هي سطوي على ديميكية الربط نقابة وندك عد كل مرجح واع هو من نوفر فيه لبحر الأدي واليه نقابة وعلى حد كبير من مكانيه ضريح فكره مبدع والانسك التي يسترك فيه  والأكاديمي وشقف من خلال لولاء حكمه شعبة ولاشهره ان ذلك ممكن الا من مرجح خوف مبدع يصوع روح  حلقه في منتج فني

ويمكن ان يراه في تلعب والاشغال والخاصة للمادة  فيصير فيكونت وعمرات في قارب يدرب خفة الحديد في مخرج  وروحي يمسح منعا يحمل روحا فيه يمكن بقاء<sup>(1)</sup> وهذا بدور يودي الى تحقيق غاية ترجمه بعض الآثار الذي تحدثه عمله نقره بر حري، ومما عده شلعي في سفره على حرسو اسجده في كيميه تكوين بعينه الإبداعية بعيد انشائريه وصيغته على بعث وما يمكن ان نتيجه تحقيق درامات حزن مشابهة او ذات علاقه ما يستوحيه العملية الإبداعية.

ويشترط في ترجمة ان يكون لها دور خاص في نص معرفة بحيث تكون مؤثرة بدرجه اعلى على شلعي في صوره درجات شذرات في عمليه التاثير وطلافا من ذلك من شأن الترجمة مستند معجم لغة تتكون فيها ونزاعاً منها ادلالية وريده مرونه حدودها وس يكون ذلك الا بحد من ترجمه موضعه سيد اموقف وسه في ترجمه على شاكته هنادي ما يعبر بحمايه في اللغة مرجح اليها ويمكنه ان يبدع ويبكر

١ - فاطمة مكيون ترجمة اسمير قبل مدح صحن كتاب الترجمة وقد غر نقابات - حلية بحدته مرجع سابق، ص 216

وبذلك يضيف إلى الترصيد الأدبي لقمة وبضيه<sup>(1)</sup>. ومن ثمة تسهم الترجمة الإبداعية في تعزيز ملامح المبادرة في نقل المعلومة للصحيحة، ونقل مدلولات الابتكارات العلمية والتصورات الفنية. ولذا كان الأمر كذلك فإنه إذا نقل النص للصغير يلقى القلة والبرارية الثقافية فسيكون مقدار دلالة النازل محل قلة. ودفع للمتصور للمضي في القلة لتقول إلهية، ذلك أن الانتقال من الترجمة إلى الإبداع ليس خياراً قريباً فحسبه وإنما هو ظاهرة تاريخية حتمية<sup>(2)</sup>. لا لشيء إلا لأنها الوجه القادر على إضافة هذه الثقة وما سجله من رؤيا؛ لأن طبيعة العلاقة بين الترجمة والنقطة المنقولة أو المنقول إليها يفترض أن تكون صادقة، لا تكلف ولا إسفاف فيها والتي من شأنها أن تكشف روح النص المصدر.

وحتى تضمن نقل الفارئ للنص الهدف وعدم دفعه إلى المتاهة، ينبغي للمترجم أن يضع عمله المقصود إلى طبيعة الروح الإبداعية، ومدى تبادل التأثير بينه وبين المتلقي وهذا ما يشكل جوهر العملية الإبداعية في الترجمة وتوسيع آفاق لغة التلقي. وهذا الشكل تكون هي بمثابة مواقف معينة لتقبل، بلحناً يبدأ مبرهنياً لا يفصل عن بعدها الإجمالي، أو يصعد النقدي. فالترجمة بما هي إنتاج معرفة متجددة بالأنس هي نقد بالضرورة إذ النقد هو السبيل إلى إنتاج المعرفة. وهكذا يكون الهدف المعبر عنه متملاً بنقطة تحسس الاختيار؛ لأنها تحق على مكونات النص من الأجنبية وعلى مرجعياتها، فتتمكن من الحكم على مدى قابلية هذه النصوص للإضافة منها، وتقييم حصيلةها في إثارة قضية التفاضل الإيجابي بين الأنا والآخر<sup>(3)</sup>.

1 - محمد أديباري، الترجمة والتواصل (دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم)، المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٥٤.

2 - أحمد بركاتي، الترجمة وعويدة الفلسفة، مجلة الآداب، بيروت، ج ٢/٤، ١٩٩٩، ص ٨٠-٨١.

3 - نوره، عهد، مجلة الترجمة في الثقافة العربية، مجلة الآداب، بيروت، ج ٢/٤، ١٩٩٩، ص ٥٤.



هذه كان الأمر كذلك، فإن للترجمة التي غالباً ما تعتمد على الاستمخاخ لا تؤدي دورها التام، ولكن من ذلك، تقلل أسيرة حرفية النص الأصلي الذي لا يختلف في نفسه للتقاليد من أي نص آخر مترجم إليه، على اعتبار أن كل لغة تحمل في مضامينها اتساقاً ثقافياً لدلالات أسلوبية متعددة بحسب نظام كل لغة، والسباق الذي ترد فيه، وتضرب لذلك هذا المثال الذي ورد في اللغة الفرنسية على النحو الآتي: *Il ment comme le resplendissant*. فإذا نحن حاولنا ترجمته إلى العربية فإن نظام السباق القوي لا يتحمل حرفياً، عندما مترجمه حرفياً على النحو الآتي: «يكذب كما يتلوه» ومعنى ذلك، في لكل لغة نظاماً خاصاً يتحرك فيه السباق الأسلوبى بطلاله الانزياحية المتعارف عليها ثقافياً واجتماعياً، وهذا ما يميز عبادة كل لغة بتراكيبها المختلفة، والتي غالباً ما تعتمد على التأنول، وهذا تكسر علاقة الترجمة بالتأنول - كما أوضحنا قبل قليل - والمترجم باعتباره مسؤولاً، لا يركب القصد، لما يصروح به النص، وإنما عليه أن يذهب إلى ما وراء النص، إلى الخطاب الذي شيدته الكتابة، بل الواقعة المبريقية التي أوجدها، عليه أن يبحث في الباطن، في المهدف الذي يشي به المذكور، عليه أن يكشف الغامض، لا المصريح والواضح من خلال الحوار والسؤال، لأن الكشف والكشف من مصانيف ودلالات السموس المقدمة للترجمة لا يكون إلا بالمعاملة والحوار المتفعل للهدف بين الماضي والحاضر، والسطح والعمل، الفردي والجماعي<sup>(1)</sup>.

ولقد أسهمت الترجمة الإبداعية في فتح الثقافة والمفاهيم المعرفية العربية، ثم إنها ما زالت تحاول أن تخلق ثياراً معرفياً متطوراً مع مستجدات الأجناس المعرفية المستحدثة، وإدخال مفاهيم جديدة مستوحاة من التبادلات الفكرية والفنية للعربية، فهو أن المطلوب من هذا التأثير هو الاستعداد على التشديد والتبعية، ومحاولة التأكيد على الثبات، وتوسيع آفاق المعرفة المحلية من أجل التعبير السيق عما يحتاجه مشاعرنا.

1 - برجمات عيسى: الترجمة والتأنول، مجلة للترجمة، تصدرها جامعة وهران، دار النشر 93، ص 1، 1997.

كما لا أحد يشك في أن الحركة الإبداعية قد انضمت من الانساق الثقافية المالية التي وظيفتها لها تراكمت المؤثرات الفورية؛ الأمر الذي أحدث نمواً نوعياً في واقعا للفكري في جميع مجالاته وما كل للترجمة أن تقوم بهذا الدور لو لم تجد الأرض الخصبة لاحتضان عملية التلاقح والانسجام، ترانسا مع استنساخ طائفة مكوناتها الثقافية والعرفية التي هي بحاجة إلى خلق جديد، بلغة جديدة ولا تصوي تمت التخلي والتجربة

### ثانياً - الترجمة الانتباهية

ظهرت هذه الترجمة التي فعلنا تسميتها بالانتباهية كرد فعل لتطرف ما وصف عند أصحاب الترجمة الإبداعية من انحرافات وانزياحات عن النص المصدر. في حين تتولى ظاهرة الترجمة الانتباهية في مظهر الارتباط بالآخر على النحو الذي جعلها - في نظر الكثيرين - مسافة وراء كل ما يصدر عن ثقافة هذا الآخر من خلال الإلحاق القسري وما له من انعكاسات مقلدة على جميع المؤسسات الوطنية.

وبحسب إمكانية التسلل هذا النوع من الترجمة فقد ارتأينا أن نطلق عليها من شقين: الشق الأول يتعلق بالتمية في بعدها الثقافي؛ أي التماثل الثقافي، بينما يتعلق الشق الثاني بالبعد التقني؛ أي التماثل المباشر، أو ما يطلق عليه بالترجمة الحرفية.

### 1- التمهية والتماثل الثقافي

إن المترجم حين يتعامل مع النص وفي نهج الالتزام بجوهره حدّ الضائل بطريقة كلية لا يعمل ذلك إلا لأنه يريد أن يترجم بفكرة المتألف، ولكذا في الوقت نفسه يريد احترام معاني الالتزامات اللفظية وفق منظور المعاني المتعامل به مع النص للهدف.

وليس المقصود بالتمية - بحسب ما يظن كثير من الدارسين - الارتباط بالآخر كما في الظاهر السلوكية، بل إن ما قصده بذلك هو

التبعية في نقل السياق المعرفي والمفاهيم الاصطلاحية المقترنة بالتواضع العلمي والاحتفاظ بمرجعيتها الأصل، وكأننا ننقل تلك دين رؤية أو تفكير، حتى أصبحت في حيرة من أمرنا فيما سhtar. كما أصبحنا نشعر وكأننا مشتبون، وهذا دليل على أن تجربتنا المعاصرة في الترجمة قاصرة، في حد ما - في نظر هؤلاء - خلافاً لترجمتنا القدامى الذين لمسوا شخصيتهم المعرفية على أساس من الحرص على تكوين حصارهم، وتمكين دولتهم، فصرفوا في الترجمة بناء على معالجة شخصيتهم، كما أخضعوا الترجمة إلى موازين قواهم بما يمثل قيمهم ومبادئهم، فابعدوا في نقل الدوائر المعرفية وفق دوافع المصلحة بما يخدم هويتهم، في حين نجد التبعية في عصرنا الحديث لازمة لنا بأزمتنا في منابع ثقافة الآخر، وصيرنا نضع هذه الثقافة، وهو ما جعل الترجمة بمبدأ عما في كثير من الأحيان؛ لأنها لا تعبر عما نمن بساحة إلهية، وكما نتمنى لو شغرت تجربتنا الحديثة بشيء من التبعية وللعقولية كما شغرت تجربتنا العباسية التي أنتجت الشيء الكثير. ولا شك أن الترجمة في هذه الأيام قد تخلتصت من أكثر الإرهاقات الأولية التي رافقت تجربتنا النهضوية، ونظن أن هذا سبب من الأسباب التي تجعلنا مثل أوروبا التي ظلت تدهور بالتبعية حتى عرفت نفسها، وإنشأت مناهجها، وحددت طريقتها<sup>(1)</sup>.

إن الأهمية الثقافية - التي نحن بصدد الحديث عنها - في العصر الراهن من شأنها أن تجعلهم في توفير الزاد الفكري لعملية التواضع، وإضافة خبرات من أجل إعداد بناء مقوماتنا وإنساننا المعرفية، وتشكيلها بما تلخصه متطلبات العصر. على اعتبار أن الثقافة، بغضاه عنها المعرفة، لا يمكن لها أن تتطور بالانفلاق على نفسها، ومنهم الحديود الإقليمية الضيقة، وس ثم لا بد لأي ثقافة أن تتفاعل مع غيرها حتى ولو

1 - هنا عيون، الترجمة والتبعية للثقافة، مجلة الأراب، ج 3/4، مرجع سابق، ص 79

اقتصادى الأمر أن يكون الارتباط والتواصل في مراحله الأولى قابعا في شكله التقليدي على أن يمثل نفسه بها عاقيما بهد.

وليس صحيحاً - لا نظرون - ما يشاع من أن التنمية الثقافية قهد الدائنة، وتوسع النجوة بين ما هو تليت وما هو متحرفه مهمل ما يسمى بالتأثير عبر الثقافات، مما قد ينجح أشراراً معتيرة بالثقافة الوطنية، غير أن لفني، يقتصر أن يسمهم في نمو ثقافتنا ضللاً هو إمكانية أن تقوم الوسائل الممرضة والمفاهيم الفكرية بدورها في تسهيل ثقافتنا الوطنية؛ لأن هذه الثقافة كما في غيرها من العالم الثالث، ليست مجموعة أحجار الزينة أو أبطال، أو فهم فولكلورية يتم عرضها على المسامحين، ولكن الثقافة القومية هي خلاصة لنوات الروحي للشخصية القومية، فهي تصمم كن القيم القومية والمجسدة التي تتميز بها هذه الشخصية.<sup>(1)</sup> ولي يتم هذا في نظريا إلا من خلال الدور الذي تقوم به الترجمة الاتباعية، بوصفها خطوة أولى في مجال الانفتاح على العالم الآخر، وإبراز الوسائل والإجراءات الإيجابية المخرقة على هذا الانفتاح، والذي من شأنه أن يغير أنماط التفكير ويضيف أنماطاً أخرى تتعلق بكيفية الإجراءات المتبعة في الدراسات النظرية والتطبيقية بما يحقق أهداف البحث والتقصي ومن ثم تمد التنمية في الترجمة - بحسب زعمنا - مكسباً علمياً لا تعطيلاً ثقافياً، ونعمه على المعارف القومية لا تنمية كما في السياسة والاقتصاد.

ولكن ما أهمية الإسهامات الفكرية التي يقدمها المترجم في مجال الترجمة الانهائية ذات البعد الثقافي في هذا السهاق نقيد انتجارب أن العالم العربي هو الآن في حالة صجر مطلق في ميدان البحث والدراسات الإبداعية المتطورة؛ الأمر الذي ملحد على تمرير سيطرة البحوث والدراسات القومية على قضيتنا الثقافية والأكاديمية وترسيخ التنمية

١ - عواطف عبد الرحمن: قضايا التنمية الإسلامية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ٧٥، ١٩٩٠، ص ٧١.

[الاستهلاكية] وسجاوز موقف اللغز عن الهوية الثقافية مع كل ذلك لا يعكس تكرار ما تقدمه الترجمة من الكماليات ومهارات وخبرات تساعد على نمو الثقافة الوطنية، وقيمة مضافة لتطوير البحث الأكاديمي. ومن هنا نتعطف سبيلاً - على ما يشاع - من أن الترجمة بخاصة منها التسمية هي عبارة عن «حصان طروادة الذي يتمثل العزو الثقافي عبره إلى روح الأمة»<sup>(1)</sup> وأن الترجمة الإبداعية غير ممكنة في الظروف الذي نمشه - في المنظور القريب - يحكم لنا نابسون للآخر في جميع المجالات، وأما منها زوياً ثقافياً، ومعرفياً وهو تقاس غير مثقوع، وبذلك يكون منتجاً من الترجمة خاصاً بالتسمية لا للإبداعية، حتى ولو كانت هذه الالهامات ذات منفعة معرفية، خاصة بعد الفجوة لتعريفية بيننا وبين الغرب. غير أن الذي يفترض أن نقر به هو أننا عندما نترجم شيئاً نرى فيه ذاتاً، فإن لا نضمن بالتسمية مثلاً نضمن بها عندما نترجم شيئاً جديداً كل الجدة حينها، التجارب المشتركة لا تضمننا بالتمية، وأما التجارب الجديدة فإن التفاعل معها يتطلب كل الاختلاف فهي تدخل البهجة فيها، وقد نلتحق معها نجدتها لا نصبتها، وكثيراً ما يكون الدهش أوقع في النفس من التألوف المعروف. وهنا تكمن مشكلة التسمية، فالشبه الدهش يخلق نوعاً من التهمة، ولكن ليس من الضرورة أن يكون هذا الدهش الجهد إضافة، بل قد يكون إلهاماً<sup>(2)</sup>.

صحيح أن فكرة التماثل للنص المصدر من شأنها أن تعطل أغلاد ذات الدلائل، والمجازاة، والاستعارات في جميع الدراسات والتصورات الإبداعية، وصحيح أيضاً أن هذا النوع من الترجمة في تيمونها للآخر هي مجرد موقف عابر فيما تنقله بطريقة غير دقيقة بوصفها تلمي التبعث عن السهولة باكتشاف ما في للنص المصدر من أسرار خفية، تعد وسيلة للكشف والبرهان، لكن الأصح من ذلك، في نظرينا أن كل أنواع تنكري هو في

1 - قرار المحامي قبله من وراء زجاج شفاف مجلة الفكر ع 7/8 ص 79.

2 - حنا عبود الترجمة والتسمية الثقافية، مجلة الأكاديمية ع 7/8 ص 99.

البدء خطوة أولى للإبداع، وإن للترجمة الاتباعية في مراحلها الأولى هي  
 تربية لذلك، وسيلة لتعمية القدرات العقلية في محاولة منها لثب فكرة  
 لتجاوز من خلال التناوب بين الأفكار والمعارف وتلاقي النصوص  
 والمفاهيم، وشخص اللغة الوطنية بقدرات وتقليدية من التعبير للمناسبة  
 تبدأ للاستمرار في تجربة الاجترار والمحاطة الفلورية في أعماق بصورها،  
 الأمر الذي يشكل إيقاعاً وتيقاً في حركتنا الإبداعية وهذا خلاف ما يطلبه  
 مباح الاستقارة الذي تستوجبه كل المعارف والتقاليد من حيث لا نقم  
 الاستقارة عند الوثيقة التثويرية للباطنية التي تقتضي التعرف على آخر ما  
 وجدت إليه الأقدم والتفكير والمعلوم في الخارج، التعمير على خبرات  
 الآخرين والإفادة منها، فلا تكون البداية دائماً الصفر، لو ما دوله بحجة  
 أننا غير الآخرين. ومن هنا يهيء دور الترجمة كمساهم جوهري في عملية  
 الاستقارة باعتبارها عملية رياضية تصيب إليها، ونضمن على يد ما جرى  
 حولنا حتى لا نتخلف عما يدور في العالم. إن الترجمة التثويرية تجعلنا لا  
 نرى أنفسنا فقط، لا نصف أمام مرآة صماء، إنما تجعلنا نرى أنفسنا  
 والعالم. أن نتصور برؤى أخرى تصبغ إليها ونفقا على معها<sup>(1)</sup>، من هذا  
 المنظور لا نرى ضيقاً في أن يكون للترجمة الاتباعية دور في بلورة اللغة  
 الحديثة وتسليمها إلى اللغة المعاصرة من أجل تلاحم تجارب اللغتين في تكوين  
 تجارب جديدة ولغة جديدة في بيئة جديدة. أضف إلى ذلك أن الأدوات  
 اللغوية والمبانيات الفكرية والحضارية التي تحملها الترجمة الاتباعية من  
 شأنها أن تلمس وظيفة التأثير والتأثير، كونها تحمل ثقافات متنوعة صير  
 وسيلة كنهيات هذا النوع من الترجمة والفرادة الفاعلة التي اعتبرها هانز  
 جورج غادمر نذل لغة وأفكاراً؛ لأن العملية التي يقوم بها المترجم نشئت في  
 جوهرها على كافة الأسرار التي يطوي عليها المهيم الأساسي لكل من  
 العالم والاتصال الاجتماعي على حد سواء<sup>(2)</sup>.

1 - هانز غادمر: الترجمة ضرورية عندنا، ضمن كتاب: الترجمة وثقافتها، طبع في  
 بيروت، ص 724-725.  
 2 - يورسي قنديل: دور الترجمة في عملية الاتصال بين الشعوب، ضمن كتاب: الترجمة  
 وثقافتها، طبع في بيروت، ص 218.

## 8- التطابق المباشر/ الترجمة الحرفية

تتفق جل الدراسات على أن الترجمة عبارة عن تجربة لغوية معقدة، يصعب على من يرغب في إتقانها بسهولة الإلمام بها، إلى لم يبدل للجهود الكاثلة بالتمرس عليها بطرق علمية مدروسة.

وكل مترجم لا يتعامل مع دلالات النص المترجم طوما يحمله من أفكار ومشاعر، وطوما يستويجه بناء على الكلمات، يكون مترجماً حرفياً، ومن لم يكن عاجزاً عن أن يكون أميناً، لا نقضي إلا لأنه يهمل للربط بين الدال والمؤول

ولعل الدور الذي يمكن أن تقوم به الترجمة الحرفية هو كينها ندعو القارئ إلى الوفاء للنص الأصلي من خلال المطابقة بحرض إلقاء القاموس اللغوي والأصطلاحي للمتقني، بفضل النظر عما تحمله هذه الكلمة أو تلك من إحساس، والتي مترجم يتعامل مع حرفية الترجمة في نقل المعلومة يصل بالنتيجة إلى الاتصاف دلائلاً، في توصيل هذه المعلومة بالقدر المتاح لصحة معاني اللغة، أو بما يسمح به النص من نقل المعلومة للمستوى من أجل الحفاظ على إيقاعه الخاص، وبما مثل هذه الحال تؤدي الترجمة على حد تعبير بول ديكوز «إلى توسيع أفق اللغة الخامسة، بل إلى اكتشاف تلك اللغة نفسها»<sup>(1)</sup> لأنها لا تحمل أي نظام فني لو أي زاد إبداعاً إبداعاً لفظة لمترجم إليها، ولا تزيد إلا بإضمار الحركة الإبداعية لهذه اللغة كونها غير طليعة وتماثلت على الشكل دون المضمون، وبقي على اللفظ واللفظ المعنى، وتحرص على اللغة على حساب الفكر. فالنص لا ينتقل لفظاً، ففهم معنى أي كاش حي في حين أن النص كلمة نص ميتة إنما النص ينقل معنى من انداخل وليس من الخارج، من المعنى وليس من اللفظ، من الفكر وليس من اللغة، من القلب وليس من الأسراف<sup>(2)</sup>.

1 - Le privilège de la traduction, p 149: Paul Berman

2 - حسن خشي: من النقل إلى الإبداع للجلد الأول - النقل / النص، دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص 94.

ونقل من العوامل التي تجعل الترجمة الموهبة تنتشر أكثر، أو تنمو أنواع الترجمات الأخرى هو رغبة المترجم في إحداث مفردات ومصطلحات جديدة في وسيد السياق اللغوي للنص الهدف وهو ما يؤثر سلباً على استمرارية اللغة الموهبة؛ لأنها دوماً في حالة اضطراب يعمل كل مرة الدخيل الهجين عليها، وبصورة متواصلة، ودون تخصص ولا تحقيق لهذا الدخيل

وسبب اختيار المترجم إلى الخيرة اللغوية - التي من شأنها أن تمكنه من فهم النص وترجمته باللغة السليمة - كثيراً ما يكون هذا المترجم أو ذلك إلى النقص غير الموفق دون المودة إلى أصول اللغة للرسومية الظاهرة النقص أو الاشتقاق أو التولد التي تفرضها طبيعة اللغة على نحو ما نجده في ترجمة أحدهم هذه العبارة: *you for two hours* إلى اللغة الهدف بـ [انتظرتك ساعتين] وهو خطأ لغوي على اعتبار أن اللاحق لا يدخل على المفعول والصواب هو [انتظرتك ساعتين] أو كما في عبارة اللغة المصدر: *the were be carry* *The were be words* وهي نفسها في اللغة الفرنسية: *plus il travaille plus il gagne* التي ترجمها صاحبها إلى: [كلما عمل كلما ربح] والصواب هو: كلما عمل ربح. كقول سباعه وتعالى: [كَلِمًا كُلًّا عَلَى رَأْسِ الْبُحْرَيْنِ وَقَدْ جِئْنَا بِهِمْ وَيَا ذَٰلِكَ مِنَ الْأَمْثَلِ الَّذِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَعْمَى] والتي تلمس فيها حسن التلميح واللمح.<sup>(1)</sup>

أما على المستوى الإبداعي فسنستشهد بمقطع من قصيدة [هزلية حزينة] من ديوانه [أهل الشوق للشاعر الفرنسي شاول بودنير لنرى تبايناً واضحاً بين ثلاثة مترجمين<sup>(2)</sup> بمشهم استمان بالترجمة للصرفية لبعض المفردات:

1 - صورة آل عمران من الآية 37

2 - محمد بلاسي: الترجمة ومشكلاتها. مجلة الثقافية جامعة الأردن من موقع:

[www.ja.edu.jo/publications/cultural%20magazine/translation.htm](http://www.ja.edu.jo/publications/cultural%20magazine/translation.htm)

3 - اقتبسنا هذا القالب من أحد هؤلاء المترجمين وهو محمد أحمد داني صاحب الدراسة اعتمد عليها في هذا الاقتباس.



## النص المصدر:

Je sais que ton cœur, qui regarde

De vieux amours éblouis

Flambe encore comme une torche

Et que tu sautes sous la gorge

Un peu de l'orgueil des damois

ترجمة النص الهدف ( الأول ) من مصطفى القصري:

أعلم أن قلبك العزّي

أحرقها بحب القديم

وهي تشتعل كبرت العندليب

وأنت تحتضن في صدرك

شعراً من كبرياء القنوطين

ترجمة النص الهدف (الثاني) من حبيب الخوري:

أعرف أن قلبك الذي يروحم

بطرايات قديمة مجتذبة الجذور

ما يثلك يتأرجح مثل كبر

وأنت تحتضن تحت ذكرك

بعضاً من كبرياء القنوطين

ترجمة النص الهدف ( الثالث ) من حميد لعمامني:

أعلم أن قلبك المطلق

يحب مجتذبة القديم

مازال متقدماً كصهيون

وأنت مازلت تحتضن

ببعض كبرياء العديين

وعلق حميد لعمداني صاحب هذه الترجمة الأخيرة على هذا القطع - في ترجمته - بقوله: هذا القطع يضع أمام المترجم مشاكل كثيرة بعضها متعلق بالمعجم، والبعض الآخر بالصياغة والتشبيه للوجود في المسطر الشعري الثالث في النص الأصلي وقد لجأ القصيري كعادته، إلى التصرف بحرية، وإن كان قد اختار للتشبيه صياغة بعيدة عن التأليف في الشعر العربي حين اختار عبارة «بهت الحفاد» كمقابل لكلمة «the forge» [الكور]، مع أنه لجأ إلى الصياغة العربية حين استبدل عبارة «القلب المطح» «quel royaume de mort» بعبارة «يموت كيموت العربي». وتصرف كثيراً بالتأويل، وفي عبارة «tu courras sous le gongre» حينما ترجمها بعبارة: وأنت، تعترضون في صدرك. ولا نقص أنهُ ألقى تماماً من حجابها كلمة «désobéissance» التي وصف بها بطلها الحب في المسطر الشعري الثاني (1).

وكما هو واضح من خلال هذا التفاوت في الترجمة في بعض السياقات والظواهر الإملائية والتراكيب النحوية، فإن الترجمة العربية طغت على الصنعة للمصنعة، حيث استعصى كل مترجم النص المصدر لتعود إلى نص حديق لاحق، بضرورة الاعتماد على البنية المعجمية والتراكيبية.

ومن هنا، تتطلب الترجمة بوجه عام الإلمام بعلوم اللغة والسياقات اللغوية المختلفة، والصياغات اللفظية، وبخاصة منها المنطقة ببنية الكلمات وتركيب الجمل أو ما يطلق عليه في علم اللغة بالمورفولوجي، دون إغفال الجانب النوبولوجي الذي يهتم بالصناعات الصوتية للغة.

وبغائب ما يميل المترجم إلى الترجمة الشعرية لعدم إلمامه بأحدى اللغتين، سواء اللغة المنقول عنها أو إليها، أو لا يكون مسلماً بالفسر الكتابي للفتن، مما ينعكس من معرفة الفوارق الثقافية؛ إذ لا يمكن للمترجم أن يكون مسلماً باللغتين فكل بل عليه أن يفهم الفوارق لكلا اللغتين.

1 - حميد لعمداني: الترجمة الأدبية ومدى حيوياتها - في ضوء البراءة اللغوية وبإدارة النظمي خمس كتاب، الترجمة والتأويل (بالاشتراك) عظمة فضالة - الممديفة الغربية 1996 ص 114-116

ولذا كانت بعض الآراء تزعم أن الاهتمام بالترجمة الحرفية المحض ضرورة تقصيرها الأمانة، فإننا نعتقد أن تجربة هذا النصف من الترجمة الموجهة إلى الالتزام بحرفية النقل وبالصورة التي تدعو إليها الأمانة العلمية، لا يمكن أن تثمر نتائج إيجابية. نظراً إلى ارتباطها بالصلة الوثيقة بين الحرفية في النقل والإخلاص لمعنى النص. في مظهر الأمانة التي يعتمد بها الاعتماد على التركيب اللغائي للمصنف وليس كما يعتقد منها الأمانة في توصيل المفظة في مجسميتها؛ إذ لا يكفي من لترجم أن يكون ملماً بزيادة من الأنماط، وإنما عليه أن يكون عالماً بدلالات هذه الأنماط: الأمر الذي يقتضي في نظره التقاطيع بين الدال والمداول في نقل النص، بما أن تكون الحرفية مصوغة في عملية نقل النص فهي غير ذات جدوى حتى الآن، بد صفة في تعديل ترجمة النص الأدبي أو الفكري ولا يتوقع تحسينها مستقبلاً، وأكثر من ذلك فهي ترجمة «عقيمة» لأنها تصجر غالباً عن بلوغ الروعة التي تلمظن معها اللغة الأصلية، تلك الروعة التي تشكل لكل لغة عبقريتها الخاصة. وفي البلاد العربية اليوم ترجمات تلبح حذاً بعيداً من السقم والمصطف؛ لأن المترجم نفسه يبدو فيها وكأنه غير متأكد ما يترجم»<sup>(1)</sup>.

ولذا كان الاعتماد في ترجمة النص الأدبي على المعاجم التي تفصل الكلمة عن معانيها، فإن ما ينتج من ذلك هو انحراف للمعنى؛ إذ «ليس السياق النقوي هنا إلا مادة خاماً لعملية الترجمة. فأي نص أدبي يشتمل على سياق آخر أكثر تعقيداً، وترجمة الأنماط دون الإشارة إلى السياق الاجتماعي والثقافي الذي ندر فيه، قد تُفهر من المعنى»<sup>(2)</sup> الكلي للنص، وتؤدي، في إخراجها من سياقها الأصلي إلى مبادئ متحول، لعدم استيعاب المعنى تكفي ضمن السياق الثقافي للكلمة، مما يجعل هذا النوع من ترجمة أقرب ما يكون إلى الترجمة الآلية منه إلى الترجمة الإبداعية.

1 - سهيل إدريس: فحمة الالتزام ومعضلة الأدب، عدد 3/7، 1999، ص 64 والنص مقتبس من دراسة المؤلف نفسه في المجلة نفسها، عدد 3 عام 1988 ص 2 وأحد ملامحه في العدد الجديد لدى صلاحية في الوقت الزمان والأصالة

2 - رمضان سلطانوسي، معجم: تقنيات الترجمة ونهوي، مجلة الأدب، ع 3/7، ص 100

وما للترجم في مثل هذه الحالة إلا محوكة للكلمات بين وجودها اللغوي والصوري والتركيبية من أجل الحفاظ على بناء النص الهدف وكأنه بذلك بقي بالمكانة القوية والتقدير التمييزية لمعالجة النص ومن ضمن العوامل التي توقع للترجم في التحررية المقررة:

- عدم مراعاة السياق.
- الالتزام للقواعد بالنص.
- الاعتماد عن التروي في قراءة النص للصغر.
- إهمال عملية انتقاء دلالة المفردات.
- عدم التمكن اللغوي من إحدى اللغتين أو منهما معاً.

وهو ما يؤدي إلى:

- الميل إلى الجمل الصورية.
- ركافة التمييز التي تقتصر إلى معايير التركيب الملمح.
- شمول الهدف.
- تجريد النص من روح طموح.

ولعل في الموقف على مثل هذه العوامل ما يلحق حرية التلقي والتمييز منها بحرية مطلق اللغة في التصرف وهو مطلب كل مترجم، يتمتع بقدر كبير من الحرية في التعامل مع النص الذي يترجمه، وهو، وإن كان يراعي الدقة في الترجمة، يستطيع التصرف في النص بطريقة ما، بهدف شيئاً هنا، ويضيف شيئاً هنالك، بل إنه يستطيع إعادة كتابة النص في صياغة جديدة دون أي تردد على ذلك أية آثار سلبية من الناحية العملية<sup>(1)</sup>.

1 - د. زاهد الطوسي: مجلة من وراء زجاج شغلته مجلة الكتاب، عدد 4/3، ص 76

## **الفصل الثالث**

### **الترجمة والتواصل**

**المبحث الأول: الاتصال والتلقي**

**المبحث الثاني: دور الترجمة في التطوير المعرفي .**

# المبحث الأول

## الاتصال والتلقي

### أولاً - الترجمة خطاب حضاري

تعد الترجمة أحد أهم أركان وسائل التواصل الحضاري<sup>(1)</sup>، وهي المنقضي ختبار ما يلائمه من معروض الفكر التواصل من الحضارات، والأمم، واللغات المختلفة على النحو الذي نهجه مفكرونا القديم في تأسيس الحضارة الإسلامية التي خضعت لامل الاختيار المدروس، فبذو حجر الإسلام - مثلاً - ومنع للمسلمون هذا النهج في التواصل الحضاري، حيث أخذوا من تجارب وقواعد وثقافات الحضارات الأخرى (بشكركم الإنساني العام) وأصافوه إلى (الخصوصيات الإسلامية) التي تميز بها منهاج الرسالة الإسلامية بالخاصة، فاختاروا (التواصل الحضاري) من موقع أرائد المستقبل، راضين بالنهضة، والتشبه، والتقليد، وكذلك العزلة، والانغلاق، صمموا ذلك عندما أحضروا عن القبول (تدوين المدونات) ولم يأخذوا من الهنود (الفلك والحساب) ثم يأخذوا طمعة الهند، امتلأنا به (الزهد) {نصفه الإسلام}.

1 - عبد الدارسون أليات التواصل الحضاري بين المجتمعات البشرية بلزمة وسائله، وهي (التجارة والحرب، والعمل، والتعرض والتعرض) ينظر، سمطلي سويش: التواصل الحضاري - حقيقته تاريخية - مجلة الهلال، ديسمبر 1996، ص 92  
 إن مفهوم التجارة والحرب والعمى والسمان بالي شك، أما مفهوم العمل فالتصوير به هو تحريك الأفكار بين الكيانات الحضارية، فمفهم مهم بعض منتجات حضارتهم (الأكاديمية والخبرة) إلى حيث يشعرون، ومن ثم رموز من داخل الحضارة التي زاروها، وقد جلبوا معهم منتجات طريفة يقدمونها إلى مستمعهم على نحو ما هو معروف عندما في الفيزياء يتغير الكثافة، فهنا المقصود من مفهوم التعرض والتعرض، الإشارة إلى فئة واسعة من نشاط أجهزة الإعلام في الدولة المسجلة، وكذلك الممارضة، والتأثيرات، والممارسات، ونشرت الفرق الفنية، والطب، والأدبييون، كما وتضمن هذا القوم لخدمة الترجمة بجميع أشكالها وستونها ينظر رجب أحمد: الحضارة الإنسانية بين التواصل والحرب، مجلة البناء، عدد 102، 2001، ص 60.

إن حسن الاختيار يكون بتعمية الفكر للمام والتضاجع، وتطوير الحس النقدي منه. الموازنة بعيداً عن أساليب الوصاية والقمع والإيجاز.

وعندئذ، نستطيع حصر المشكلة التي يمكن أن تواجهها في عملية التوصل الحضاري في طريقة هذا التواصل، وليست في مبدئه، وبالنسبة طان الجهود الأساسية يجب أن تنصب على اختيار الأسلوب الأنسب لتحقيق هذا التواصل دون أن نرفضه نهائياً<sup>(1)</sup> لأن الترجمة وحدها هي التي تمسكاً برابط التواصل الحضاري، وتميز ثقافة هذه الأمة عن تلك، وتطور هذه المعرفة عن الأخرى بفضل شروح الترجمة التواصلية.

وإذا كانت التكنولوجيا - خاصة - في ميدان المعرفة قد قربت عوامل البعد في جميع مراحله، الأدبية والعقوبة، والمكانية، والزمانية، فإنه لم يبق لنا أن نمتصّر إجراءات فعل الترجمة، ونفقد للآرام الموضوعي والعلمي في سهول تقريب الصلة بمعرفة الآخر، وتسهيل التفاهات بين ثقافتنا وثقافة الأمم الأخرى.

ولا أحد ينكر أن سهول تحقيق القوة، وتمكين الرقسي ناهيان من استيعاب الثقافة الآخر. ولعل خير مثال لتوضيح مكانة ربط التواصل الثقافي بين الأمم والثقافات هو ما ضمت به الثقافة العربية الإسلامية التي قبلت مبدأ التواصل مع الآخر في عهد نشأتها، من خلال ترجمة وشروح كتب اليونان، وخاصة الدور الذي قام به شهاب الدين ابن رشد بنقل الفكر الأرسطي، والفلسفي بوجه عام، وثروته في الثقافة العربية الإسلامية بما لا يدع مجالاً للشك في تأسيس هذا النقل، ولعل الدور نفسه قام به المرسيون - مؤخرأ - في نقلهم الفكر الأنثي، وفرويد، مثل ندر، وتأسيس أعمال نيتشه، وهيغل، وماركس، وفرويد، وهابيدجر، وغيرهم كثير.

1 - ينظر: رشت المصنف - التنوير الإنساني بين التواصل والمصراع سيرة انبا. عدد 187، ص 187.

ولعل تاريخنا العربي الإسلامي كمثل يمدّ الجسور بين الثقافات. بدأ من الموححات الإسلامية التي عززت الظروف المحاصرية للعجيدة برمتها الصلة مع ثقافة الآخرين مثل الثقافة للترسية، والأرومانية، والهندية، وغيرها، كل ذلك بفضل دور الترجمة التي كانت المحرك الأساس لتقريب الصلة بين الثقافة الفاتحة والثقافة المقبولة. وقد انعكس ذلك في تأسيس «بيت الحكمة» - المنطقة التي جسر للتصور - التي أصبحت مقراً للترجمة في عهد الخليفة المأمون. أضحت إلى ذلك ما وقع من تحريك لافت في عصر النهضة، ولا غنى عن فتح الصلة مع الغرب فيما كان من التعامل بين الثقافتين العربية والعربية، إلا أن وطناً علاقة قوية، رغبة في تقارب الثقافتين بين الحدود الثقافية. وقد كانت توكيداً الأولى في ظل العهد العثماني، ثم تلتها تجربة الترجمة في بداية القرن العشرين، حين بدأت إرهاب صانه الأولى بجنة التأليف والترجمة والنشر، التي تأسست بالقاهرة عام 1914، ومحاولة تشجيع الترجمة؛ من أجل ربط حركة التواصل الثقافي عبر آليات التحويلات المتبادل.

وتكمن قيمة التواصل في جلب ثقافة، أو تذيب، أو معرفة، خارج البيئة النقية، أو الثقافة المحلية، وتغريب بيئة أخرى إلى البيئة المنقول إليها، وفي مثل هذه الحال لا يمكن أن يتجاوز أي نمط مصري - بما في ذلك العمل الأدبي - حدوده إلا من خلال الترجمة التي يتشكل من خلالها من لغة الأصيلة لغة المصدر إلى لغة أجنبية (لغة الهدف). بما أن يفضي لمطامش إبداعه، لا يقل صعوبة وإشكالية عن المفاض الإبداعي الأول، ثم يجد العمل الأدبي - الذي هاجر من بيئته الأصلية إلى بيئة ثقافية واجتماعية عربية - نفسه في مواجهة مستقنين لم يكتب من أجلهم في الأصل. فهو ساطع الترجمة يختار العمل الأدبي حدوده اللغوية إلى لغات وثقافات أخرى وإلى مستقنين جدد. وكذلك يمكن القول: إنه المترجمين والنقاد هم منتج استقبال الآداب الأجنبية (1).

1 - عبيد محمد، هجرة الجسور - دراسة في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996، ص 93.



إن وسائل الاتصال التي تطلبت مطالها في الألفية الثالثة متعددة ومتنوعة، لعل أهمها ما يصل عن طريق النخبر، أو ما يظهر منها في المياد، أو ما يصل إليه للمقل بالاستدلال عن طريق التلار والتأثير، أو ما يكون عبر الوسائل التي تقوم بدورها على إثراء لية ثقافة وقد تكون الترجمة إحدى وسائل الاتصال التي تشمل كل هذه المالم كما تكون مركزاً من مركزات آلية التقني الحديث وعاملاً مهماً لدفع لإنتاج المعرفة إلى سبل للاعتاح على الآخر.

أضفه إلى ذلك، أن حرية التعبير تقتضي للرغبة في التعرف إلى الآخر من حيث كونه تجسداً لمالم ثقافي معين، يعكس رؤية محددة من هذا المالم الأمر الذي يمكن الذات من تخطيها تجربتها الثقافية للحصول على التواصل المكافئ ودعم الشخصية والثقافة المحلية، ومن ثم تتطور فكرة إعادة النشر في تعزيز مكانة الترجمة وإزهاطها بالحاجة المدسة لمعرفة الآخر وظروف تخطيط قدراته وإمكاناته قد تعكس تطبيق طموحاتنا من خلال:

- استنمار نكاح ما توصل إليه الآخر.
- ربعة التجربة العلمية المقولة بالحاجة إلى اكتساب كل ما تحده ووسائل الإنتاج المعرفي بوصفه الأساس العلمي، الجوهرية لتطور المجتمع في كل ما يسمى إلى تحقيقه.
- الاهتمام بكيفية التواصل الثقافي على أن يكون الفائر في النور والشكل، ونفسوي والتوجه، وأنكاس ذلك كله على الصلعة الموضوعية لثقافة الذات.

## ثانياً - الترجمة عبور بين الثقافات

نحظى الترجمة في الألفية الثالثة بكونة متميزة في حفل الدراسات المعرفية في بعدها التواصلية نظراً إلى الرغبة الملحة بين الأمم في تقارب الثقافات ولعل دعامة حوار الحضارات هي إحدى الممارسات

الهمة لتسهيل أشكال التواصل، وليس من الصعب تحقيق ذلك ما دامت الترجمة تُسهم في بناء الوعي المرعي ودلالاته المتنوعة، والتفاعيات في نفوس اللغتين لئلا كان نوعهم.

وإن هذا الأمر لم يعد فيه اختيار في ثقافة العصر، بل أصبح من الضرورة المنهجية الناعية إلى ثقافة الأفكار، ما دامت هذه الأفكار قد خلقت بدافع للتواصل، وكونها نظاماً من العلامات التواصلية، ولكن كيف يتحدد هذا التواصل بواسطة الترجمة؟ أو بالأحرى كيف يمكن للترجمة أن تكون مثلاً للتواصل؟ ثم كيف تكون بلاغة الألفاظ وسيلة للتواصل؟ وهل ترجمة نص من النصوص يمكنه أن يقوم بفعل التواصل مع الآخر؟ وأي نوع من التواصل تقوم به هذه اللغة فولقية؟ وما نتيجة الدور الذي تؤديه الترجمة رغبة منها في تحقيق التواصل؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الملحة على أهمية الترجمة في التنسيق المرعي والتلاقح على السواء.

لقد أخذت عملية الاتصال شكلاً مبهراً في الأنظمة الثلاثة، تقوم بالأساس على العلاقة الثبات والتصرة في تلاحق الأفكار والمعارف والتقاطات فيما بين الأمم، كل ذلك من أجل اكتساب المعرفة بوصفها عطياً يسهلها، ينبغي للبشرية كافة الإحاطة بها وإدراك كنهها، انطلاقاً من المكرة القائمة في الفلسفة من أن المعرفة هي عبارة عن العلم بحقائق الموجودات حسب العلاقة البشرية. ومن ثم فإن علاقة أي إنسان غير معبودة في القبل، المعرفة والوقوف على حدود وجودها ليسا كاسه، وبأية لغة كانت، ما دامت وسائل الاتصال ميسرة، ولا متناول أبسط إنسان في هذا العصر، وتتوزع هذه الوسائل عنده بحسب ما أوتي من طاقة وإمكانات.

إن من بين العوامل المشجعة على تحقيق هذا التواصل هي الرغبة في الانفتاح من الأجناس المعرفية لئلا كانت محاولة تلمس حقيقته بشئ اللغات، تبعاً للأسس التي تركز على خاصية تعزيز أي حوار إنساني قائم على نوعي الحضاري، والنعم يعظم مد الجسور من خلال وسائل صريحة، لعل من أهمها التواصل التجاري والسياسي والثقافي، عبر

الممارسته وما تؤديه من دور في تمكين الترجمة من ربح الملاحظات بين الثقافات، ولأن الترجمة كما يقول «جون روني كديميرال» عبور بين ثقافتين أو هو تواصل ثقافي، تلك أن الفلحة متضمنة مع سياق ثقافي يحتم رساغة الأطر الخارج لسانني إلى نظرية الترجمة، والترجمة إنأ ليست للغة ولكن للكلام<sup>(1)</sup>.

إنأ حين نطو إلى الترجمة بوصفها جسراً مهمأ في ربح التواصل بين ثقافات الأمم؛ فلأننا نعلمأ - أيضاً - للوسيلة التي تسهم في تطور المعارف وإعده تأهيلها، وتوجيهها ضمن إطار قاضي عملية التأثير والاعتراف بالآخر.

ويحاول المنظرين للممارسة الترجمة الاهتمام بالانجبال الثقافي ضمن إطاره الوظيفي في الحياة المعرفية، القائمة من التجارب الإنمائية، وأشكالها، وتطوراتها؛ الأمر الذي يجعل حركة قاضي التطور في الاتجاه العليم من خلال الملاحظات المتبادلة بين الثقافات التي قد هم المنهجية والأفكار، والتصورات المعرفية، في مجال قاضي الوعي المعرفي، ولأ كذا تعتبر الترجمة شروفاً فاعلاً في تطور التصو الذهني للبشرية ضمن الحركة الديناميكية المتبادلة بين الثقافات فلا ينبغي أن نقر بالارتباط الضرب بالآخر، وإنما صفة الهوية، مع تطابق مشوماتها بثقافة الآخر، تمدد مركزاً أساساً، يأخذ في الصمبال المعقدة من التأثير المطلق، لمباين مع ثقافة الذات، والإفادة من الثقافة المنقولة إلينا، بخاصة الثقافة ذات لحمس العليم التي من شأنها أن تنقل المعرفة الوظيفية بالمواضمة<sup>(2)</sup>؛ أي بالقبول الوصفي لواقعنا الاجتماعي، حتى تكون العلاقة قائمة على التبادل، وليس على التهمية والارتباط اللثقي.

1- Jean René Ladrière, traduire: thématique pour la traduction, Payot, Paris (1979) p.13.

ويستر أيضاً: جيل حدري، ثقافة الترجمة: لتعليم - الربط.

<https://doi.org/10.21203/rs.3.rs-1100000>

2 (مواضمة، هي الاتفاق بين جملة على تداول شيء ما أو لغة ما بوصفها لغة وظيفية ويستتج ذلك أصحاب التوظيف من كون التواصل على لغة ما يحتاج إلى الإبراء والإشادة والمؤنس).

وهكذا، تعد عملية التوصل/التلقي جسراً من خلال التفاعل بين لغة النص المنقول منه إلى لغة النص للقول إليه؛ أي بين النص الأصلي وتعدد قراءاته في لغات مختلفة؛ لذلك كان التطور لتسوية وهين التوصل الشاهد نظراً إلى أهمية الاستعمالات المختلفة للغات عبر مسار تطور المحركات، وإن يكرر ذلك كذلك إلا بتفعيل الترجمة التي يتم من خلالها نقل تساؤلات النص المصدر - إلى مراميهِ وإضافته - إلى الإفادة من هذه التساؤلات في لغة ولغة نص الهدف.

ومن هنا، تكمن أهمية التفاعل بين اللغتين أو الثقافتين، وهو ما أحاط عليه «ياوس» الجسم التأويلي بينما هو عند «هيرز» تفاعل الدماري مع النص، والفهمان معاً يفتتحان آفاقاً جديدة أمام نظرية الترجمة، ويجعلانها تصاير اكتشافات النظريات المعرفية الأخرى. وهكذا لم تعد الترجمة تعني مجرد نقل نص أصلي من لغة إلى لغة أخرى، بل يمكن للترجم أن يستفيد من استراتيجيات القراءة والتأويل التي يقرنها «ياوس» وإيزي، مثلاً، حيث يصبح للترجم مثل مثقفي «ياوس» وقارئ «أيزي» قارئاً دبلوماسياً، له دور إيجابي يأخذ بمبدأ الاعتبار للملاحظة بين اللغتين والعناصر أو بين النص الأصلي وقراءاته المتعددة ومكونات النص الثابتة والمتغيرة معبراً من مواقف من منظوره التاريخي الخاص. وإذا كان المفهوم التقليدي للترجمة هو معاكاة النص الأصلي أو نقله إلى لغة ثانية، فإن ذلك يوهي بنوع من الجسود وفي هذا السياق يقول جون جونستون (John Johnston) في مقاله «الترجمة مسورة زائلة»: «إن المفهوم التقليدي للترجمة بصفتها معاكاة لنص أصلي أو نقلاً له إلى لغة ثانية يبرهن ليس على أنه غير كاف في التطبيق فحسبه، بل أيضاً على أنه يقوم على نظرة جامدة ومغالطة للغة...»<sup>(1)</sup> لأن الترجمة لا تحد ذاتها هي عملية تواصلية بين اللغات

1 - الجليلاني، الكدية: الترجمة بين التأويل والتلقي ضمن كتاب الترجمة والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 1، 1996، ص 67. يكرر أيضاً John Johnston: «Translation as Shattering: In Shattering Translating», ed. by L. Venuti (London, London and N.Y., 1998), p. 42.

والآخر لتمكين مقاربة حوار الحضارات وكذلك حتى يستفيد متلقي النص  
الهدف من تجارب روح نص للنص، وكذا ما وصلت إليه ثقافة النص  
الأول. ومن ثم تكون عملية التواصل هذه بين الثقافتين هي عملية تفاعلية  
بين طرفين كل منهما يكمل الآخر.

إن فكرة التواصل هي بالدرجة الأولى وعي بالذات قبل أن تكون وعياً  
بالآخر، وعي بالاختلاف والفاصلة وعي بأخرية يستعصي على الذات أن  
تبلغ دون وساطة وهذا الوعي الآخر يتجسد - الذي يطلو على وعي  
مماثل بالذات - بأنه عاجزاً عن التعرف على الآخر، أو التعرف على الذات  
في الآخر، إلا عبر تلك الوساطة بين هذين الوعيين... وهي وساطة لا  
توجد لهما بينهما، بل تجعلهما قادرين على الدخول في تجربة مشتركة، أو  
على الانخراط في صيرورة من التفاعل الخلاق، دون أن يفقد أي منهما  
هويته الذاتية<sup>(1)</sup>.

والاتصال بالآخر هو اتصال تتميز مكانة الذات عبر واسطة الترجمة  
التواصلية التي من شأنها أن تقطع إلى معنى الاختلاف والفاصلة والدخول  
في تجربة احترام الرأي الآخر، وسواء بتشكيل التطور المبرمج من حيث إن  
الاستنتاج من التجربة يتوقف على مدى ارتباطك بالآخر وإلى ما وقف  
عليه من إجراءات وأحكام معرفية، فعندئذ تتأسس مطالب اليقينية والثقة  
في النفس في النص الهدف. وهذا شأن الترابط بين المعارف والتأثير فيما  
بينها؛ لتحقيق هذا التواصل الذي لم يمد مقتصرأ في نظر إدوارد هول  
Edward T. Hall بين مناطق ومناطق في حالة عادية، بل انتقل إلى  
توحيش بين الثقافتين أي بين منظومة من القيم والمفاهيم والسلوكية،  
والكيفية، والرمزية، بمنظومة أخرى تخضع لطروف وملازمات ثقافية  
أخرى. وهذا ما جعل لترجم الفروسي لكتاب «اللغة العنصرية» مخرج

1 - يوسف سلامة، ما الترجمة الترجمة وعن التنقل والتأويل مجلة الأدب، بيروت، العدد  
8/3، عام 1999، ص 42.

فائلاً، هؤلاء الكتاب لا يأخذون هذا مضمون الكتاب، ولكن يتناول أيضاً أحد التعارضات الكبرى للثقافات. فلا يقتصر الأمر على من يتكلم وإنما على ذلك العالم من السلوكيات التي لم تستكشف ولم تُدرس، وبالتالي ما زالت مجهولة<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً - التواصل واللغة الوظيفية

إن مهمة النظرية التواصلية تكمن في تعاملها مع اللغة بوصفها أداة للتواصل والتبليغ؛ أي تواصل بين ثقافة مرسلة وثقافة مستقبلة للمرسوع الذي تتمحور حوله الرسالة بحسب تعريف جاكوبسون للعملية التواصلية.

والحديث عن ظاهرة التواصل يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن فعل الترجمة، وكلاهما يؤدي غرض التكافؤ من خلال مدّ الجسور بين ثقافتين مختلفتين. ومن هنا، تكمن أهمية المترجم المتدرب بثقافة اللغة المصدر المراد نقلها، وللممكن من عقلية هذه اللغة، إضافة إلى تعامله معها، وفي هذا ما يعزز مكانة الأتباع الوثيقي بين التواصل والثقافة في فعل الترجمة. فلو لا إمكان التواصل بين المترجم والكاتب لما أمكن أن يكون ثقافتين بين أمتيهما، ولكن مسألة التواصل بطريق الترجمة مسألة معقدة، فهي تفرض دقة اختيار اللفظة من ناحية، كما تفرض حسن صياغة الجملة والتوفيق في سلسلة الجمل وفقاً للحالة التي يمر عليها الكاتب وهذا يعني أن اللفظة لا تحدث وحدها فواصلأً، وإن الجملة تسهم إسهاماً جزئياً في أحداث التواصل. وإن التواصل الحقيقي لا يكون إلا بنص كامل، ولكن يحدث فهو يتطلب من المترجم الكثير من الحرية في استخدام لغته القومية، نيسج في ترجمته جواً شبيهاً بالجو الذي أشاعه الكاتب في النص الأصلي<sup>(2)</sup>.

1 - Edward T. Hall: *La language et la culture*, page 12

2 - بطر، تفسير شيوخ الأثرية، فصول من حياتي - الوثائق والأفكار - سحر ويات الحاد  
لكتاب الحرب، 1997، ص 47.

ولكن هل المترجم قادر على توصيل جمالية النص إلى متلقي النص الهدف؟ وبأية كيفية؟ وهل هو قادر على ذلك - قطعاً - من خلال إعادة تركيب اللغتين اللغوي للنص الأول من أجل تحقيق غايته؟

إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة يقتضي ما معرفة علاقة اللغة بالتواصل، هذه اللغة الميتة على أساس الواضحة والاتفاق في الأساق أصب إلى ذلك أن العلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة تعاضدية، تضمينية، ولا يمكن اعتبارهما موضوعين منفصلين؛ الأمر الذي يشكل وجوداً علاقياً بين كافة الأبحاث ووسيلة تواصلها .

ولذا كان الأمر كذلك، كانت عملية التواصل في النص المنقول متوازنة مع لغة النص الهدف وغايته، مما يبرز الجانب الموضوعي للمترجم في نقل الفكرة بالصورة التي أدرك بها النص الأول بعبارات تجعل متلقي النص الهدف في حالة شبهة بحالة متلقي النص المصدر، وهو ما يحقق غاية التواصل بين الثقافتين، وبشدة هذا الطرح إلى مسألة أصول اللغات ومدى تقارب بعضها ببعض من حيث إلى التقارب لغة من أخرى يؤدي بالضرورة إلى تقارب نقل الأفكار في الثقافات بين الشعوب، وإن دقة النقل تختلف بحسب تقارب اللغة المنقول إليها من اللغة المنقول منها أو تباينها . فقد تكون اللغتان من أصول تموية واحدة مثل الفرنسية والإيطالية، فهما تشبهان بأصواتهما إلى اللاتينية، وقد تكونان من أصول عقارية، مثل الفرنسية والألمانية، فهما تشبهان تقريباً إلى اللاتينية والجرمانية الغربية، وهما لغتان هندية أوروبية، وقد تكونان من أصول مختلفة كل الاختلاف مثل الفرنسية والعربية، فهولاهما ذات أصول لاتينية، ولاتينيهما ذات أصول سامية إن تقارب اللغتين وتباينهما ينعكس المترجم أمام أوسع خاصة من السهولة والصعوبة، وهذا يؤكد من شأنهما أن يؤثر في قدرة المترجم على التعبير عن النص الأجنبي الذي يمكن من التواصل معه على نحو صحيح .<sup>(1)</sup>

ونتحقيق عملية التواصل بين النص المصدر والنص الهدف في المشور  
المؤوي، يمتدح أن تتوافر مكونات تضبطها اللغة في مهمتها الوظيفية، ومن  
هذه المكونات:

مكون الاستجابية الوظيفية والشعور الصلح في تجاه النص الهدف  
لتوصيل الرسالة إلى المتلقي.

1. مكون التأثير في المتلقي، وذلك باستخدام الوسائل التأثيرية  
ضمن إجراءات السياقات اللغوية التي تأخذ طابع الإيضاح، وفق مسق النمة  
لتقول إنها، تقادياً للفتور أو التزاحي في التفاعل مع النص وهذا ما أطلق  
عليه جاكوبسون بـ «الإرجاحة».

2. المكون الذوقي أو ما يطلق عليه بضميرية النص أو كما أطلق  
عليه بول فاليري: «ياضاعة لمر الفعل القصوي» في النص من خلال تذوي  
النص وفق الخواص والسنن العامة التي تنظم ولادة النص، وتحدد معايير  
الجمالية فيه.

3. مكون الموقفية، وتتعلق بمناخية النص الهدف للموقف من خلال  
الضمير من دلالة ما، والتميز من هدف ما.

ويخلص بيتر نيومارك - رائد تقسيم الترجمة إلى محتوى وثقافية -  
الفرق بين أسلوب الترجمة بقوله: إن الترجمة التواصلية تترك تأثيراً في  
قراء الترجمة قريباً من التأثير الذي يشعر به قراء النص الأصلي، أما  
الترجمة المنعوية فتحاول - بقدر ما تسمح به التركيب الدلالية والنحوية في  
اللغة المترجم إليها - أن تقلل المعنى السياقي الحقيقي للنص الأصلي<sup>(1)</sup>

إن أهمية نقل معرفة ما، أو أوب ما، من لغة إلى أخرى يقوم على  
توافر الموضوع المشترك في رحاب المعاني اللغوية، ولا حيل إلى ذلك إلا من

1 - عبد الله الحارثي: في ترجمة الاستشارة العربية، الرياض: www.abdullahharathi.com



خلال ارتقاء عملية التواصل التي تستمد قوتها من آلية الترجمة بوصفها عاملاً مسهماً في تطوير اللغة وفي تفعيل التفاعل بين هاتين الثقافتين، أو هذين الأديبين، وهذا ما واه [يوجين تيهدا] الذي اعتبر الترجمة من هذا المنظور عملية قوية تعتمد في ذلك على رموز *describing* النص الأصلي وإعادة تشفيرها *recreating*، فالترجم يتقضى الرسالة ويقوم بتحليل مكوناتها الأساسية ثم ينقلها إلى لغة الترجمة من خلال عملية إغدة بسا، في لغة الترجمة للتعايق مع النص الأصلي<sup>(1)</sup>؛ لأن أي أثر معرفي بحاجة إذا كان مكتوباً، يدرس أن يتخطى حدود لغته الإقليمية، رغبة في التمكن من الوصول إلى اللغة العالمية.

وفي هذا إشارة إلى أن الكاتب في اللغة الهدف يطمح إلى أن يصل نتاجه إلى أي قارئ ألس كان في محاولة لتجاوز المكان والزمان بالاستناد إلى أداة الترجمة لتوصيل هذه الرسالة، ولن يكون ذلك كذلك دون تحصيل هدف الكاتب العالمي الذي يرتفع بما يكتبه فوق ظروف حياته وحياة مجتمعه، ورواها من خلال القسم الإنسانية الرفيعة، فهذا تأس أحد المترجمين لرجمة ما كتبه، كان عليه أن يضع هذه القيم أمام عينيه، حينما يلقاها إلى قراء آخرين في مجتمع آخر في سبيل أن يروها ويروا من خلاها أنفسهم ومجتمعهم.

وبذلك يلتقي قراء البلاد المختلفة على صعيد القيم الإنسانية المشتركة، فتتكاثر وجهات نظرهم، ويصبحون أقرب إلى بعضهم في حل مشاكلهم<sup>(2)</sup>.

وبما لذلك، تكس أهمية عملية الاتصال/التقسي في زرع مبادرة توليد الأفكار الجديدة في ثقافة الآخر وتشجيعه على الابتكار بحكم تقاسيمها

1 ينظر: بشر الحسوي، الترجمة إلى العربية - قضايا وآراء - دار الفكر العربي، القاهرة ط 2، 2001، ص 77  
2 تيسر جمع الأثر، فصول من حياتي، الطبعة والأفكار، ص 86.

(المدخل الأخير) لوجود الحياة في زمان معين انطلاقاً مما قرره غلامير  
 Gendamer Hans-Georg من أن «التوصليل يكون مكافئاً للترجمة»<sup>(1)</sup>  
 معقياً للرؤية المشتركة في تطوير المسار المعرفي الذي من شأنه أن يمضي  
 إلى التقدم الحضاري من منظور أن الترجمة هي ممارسة فمادق فيها  
 الدات الأخر وتمتدشرف معايرته؛ لأن المهمة القائمة - أصلاً - على  
 التلاحم والتواصل سواء ما تعلق منها بالمظاهر المرتبطة بالكون، بخاصة  
 المادية منها، أو ما كان متعلقاً بمظاهر الحياة الإنسانية التي تتمرس لها  
 الأعراف والعمادات، وتدرسها المعارف والعلوم في جميع مجالات الوقائع  
 التواصلية الشخصية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكل  
 المخطومات المرتبطة بالإنسان في علاقته مع الآخر أيها كان نوعه، مادياً  
 أو معنوياً.

1 - غلامير، تجلي الجمال، ترجمة: محمد رفيع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997  
 ص 90

## المبحث الثاني

### دور الترجمة في التطور المعرفي

#### أولاً - الترجمة وتأسيس الخطاب التواصلي

##### 1- في الثقافة العربية

لا أحد ينكر ما للترجمة من دور بوصفها ضرورة معرفية على جميع اللغات، منذ تاريخ البشرية؛ ذلك أن أهمية الترجمة في الحضارات الإنمائية لها تاريخ تليد، وسجد أعمال. وقد كان لهذه الأهمية في الثقافة العربية الإسلامية دور حضاري منذ أول مترجم في بداية عهد الإسلام، زيد بن ثابت الأنصاري الخروجي، الذي نظيره النظرة التاريخية، بحسب رأي البغدادي، أنه كان يكتب إلى الملوك ويحجب بعصرة النبي ﷺ. وكان يترجم لقبى ﷺ من الفارسية، والرومية، والنبطية، والحبشية، تطم ذلك بالمدينة من أهل هذه الألسنة<sup>(1)</sup>؛ الأمر الذي مهد لأول حركة ترجمة في عهد الدولة الأموية، هتم بنقل المعارف ونقل الدواوين وتدريبها من الفارسية والرومية. كما تذكر الدراسات التاريخية أن أول من أعطى أهمية لدور الترجمة - في عهد المصمر - هو خالد بن برمك بن معاوية الذي كان يُطلق عليه دحهم ابن مرونه والذي قال عنه ابن النديم أنه كان «فارساً في نفسه، وله همة ومهبة للمعلوم، حفر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفرغ إلى بالعروبة، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطني إلى العربية. وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»<sup>(2)</sup>.

1 - البغدادي: التكملة والإشراق طبعة دار مكتبة الهلال، بيروت، 1983، ص 208.

2 - ابن النديم: الفهرست، طبعة دار المعرفة، بيروت، ص 225.

لقد تقبلت شعائراً إلى أهمية وظيفة الترجمة وما يمكن أن تؤول إليه من دور في تفعيل النشاط للمرجع وإعادة إنتاجه بما يتناسب مع شخصيتهم الفكرية، وخاصة في عهد حكم المأمون<sup>(1)</sup> الذي أعطى كل المصالحات المطلقة لتنفيذ مشروع الترجمة في شتى السبل المعرفية مع مراعاة اللغة والسوية في اختيار موضوعات الترجمة، حتى لا تكون مجرد نقل لمكر عوام، بل أنهم كانوا مدعين في حملهم للعلوم السابقة، وقد حظوا لنا بالعلوم التي درسوها، كما وسعوا من رقعتها<sup>(2)</sup>.

وأيضاً غريباً أن تنشط حركة الترجمة في بداية الفتح الإسلامي، وما كان لها من أثر على الممارف في عهد القصور الثاني خلفاء بني العباس<sup>(3)</sup> الذي أعطى عناية خاصة لهذا الدور<sup>(4)</sup> الحضاري في نقل المعارف ورغبة في الإسهام في الانفتاح على الآخر من أجل تكوين الذات، وهو ما أشار إليه ابن خلدون، ثم جاء الله بالاسلام وكان لأجله الظهور الذي لا كفاء له، وابتزوا الروم ملكهم فهما ابتزوه للأمم، وإنشأ أمرهم بالسباجة والمطلة من المصنوعي، حتى إذا أصبح من المظطاني والدولة وأخذ الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم ونقصوا في المصنوع والعلوم، تشوهوا في الاضلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الأساطفة والأفسة المأهدين بعض ذكر منها، وما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها، هبتم أبو

1 - دروي، الدراسات التاريخية أن المأمون كان يدفع لمن كل كتاب مترجم في هذا المستوى لعله ذهب على الرغم مما قد يبدو كالتأني في الخبر من مخالفة إلا أن المؤرخ الدال على ذلك هو مدى اهتمام القوامي بتكوين ثقافة تواكب ما كانوا يقومون به من تأسيس لحضارة عريقة، تكون في مستوى خبراتهم التي سبغوها في مسكن ما لا شك به الحضارات الإنسانية فليعلم، إن لم تتقدم في يد الرسالة الإسلامية..

2 - واهب، مؤلفه، وقد أثار الإسلام في أوروبا القرون الوسطى، ترجمة، أعلامه، عهد المصالح حافظ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، الدوحة للثقافة السموية، 1999، ص 71

3 - روى ابن أبي أصيبعة في الطبقات الأطباء أن اهتمام المأمون بالترجمة كان يعود إلى اختيار علي بن سرف ومطلق بن طهفة. فقد أمرهم بالتميز بمرجع في مدونه، فخصه استاذهم بالخدمة، جرجيس، أبي بن توفيق (ويعرفه التاريخ ابن بن توفيق) المسيحي المسيحي، ونفس الأطباء، جرجيس، المصنف، المصنف، فصفه، فاستخدمه في بناءه واستمره أبانور. حركة بنسطة في تأليف الكتب الطبية وترجمتها، يظهر جرجيس، بنسطة الترجمة عند العرب، الرباط: www.asharaka.org

جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه يكتب إليهم مترجمة هبت إليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلموا على ما فيها وترجموها حرمياً على الفلستريما بقي منها - وجاء للأمايون بعد ذلك وكنت له في العلم رغبة بما كان ينتظمه فأتبعته لهذه العلوم حرمياً، ولوقد الرسل على ملوك الروم في استعراج علوم اليونانيين وإتساعها بالعلم العربي، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليه الأنظار من أهل الإسلام وحققوا في شوقها، وانتهت إلى النهاية أنظارهم فيها،<sup>(1)</sup> وبهذا إضاءة من هذا العلامة الذي لا ينكح في صحبة ما يرد له هذه الترجمة أصبحت بشكل ولطف في تزويد المعرفة العربية الإسلامية بمكونات الفكر اليوناني في جميع مراحله العقلانية أضف إلى ذلك أن للمؤرخين العرب أسهموا في توسيع كل ما نقلوه من الحضارتين اليونانية والإغريقية، واستفادوا من العهد الذهبي، وخصوصاً من طب جالينوس، وفلكية بطليموس، وجغرافيته، في القرن الثاني للهجري فتابروا في صدوره ذلك كله في استنباط التراث الإغريقي والعمل على تبيينه وإثرائه<sup>(2)</sup>.

والأمثلة<sup>(3)</sup> على الإفادة من الترجمة في تراثها الأدبي كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر آثار الجاحق في كتابه البيان والتهذيب من

1 - ابن خلدون: المقدمة، طبعة دار الجليل، بيروت، ص 881.

2 - ينظر: بساط حميش، الترجمة والتفسير، عبد إلهام الحيران: الترجمة والتفسير الثاني في ترجمته السنة الأولى ج 1، فبراير 2006، ص 112.

3 - وحاول بعض الباحثين تقسيم المترجمين في الفترة التي أعقبها ابن النديم إلى أربع فئات: طلبة طلبة 1: الطبقة الأولى: وهم الذين مارسوا الترجمة واكتفوا في مختلف صنوف الأدب والعلوم، ويطلق عليهم عبد الله بن المقفع الذي قيل له: وكأني في كل ساعة من ساعات الحياة الفكرية، لا أترجم عن الفارسية في أكثر من علم وهو الطبقة الثانية: وهم المترجمون الذين خطوا بنقل الكتب عن الفجور والروايات، ولم تعرف لهم ترجمة في غيرها، وهؤلاء هم آل بوحيث، وبنو خالد (موسى ويزيد)، وبنو زياد القيسية، والعمس بن سبل، والطرفة الثالثة: وهم أولئك الذين اعتدوا بنقل الكتب الفارسية من نوع القصاص البطولية والأدب الأخلاقي وعلمهم، والآخرى: وجهة برسان، الطبقة الرابعة: وهم الذين لا تعرف لهم ترجمة إلا في مجال التاريخ والتخصص التاريخية وهؤلاء هم: إسحاق بن يزيد، ومحمد بن الجهم البرمكي، وعشام بن القاسم، وموسى بن موسى الكسيري، ورواحه بن شاهويه الأصفهاني، ومحمد بن يونس بن مطاوع الأسفهانى، وهرام بن مردانكاه.

مطلق اليونان حين اعتبر اليونان نوعاً من الدلالة، حيث لا يكاد المرء يشك في أنه أخذ الفكرة من قول أرسطو في أول كتاب *الميتافيزيقا*. ولو قورس كلام الجاحظ في اليونان والفرس بمعاني أرسطو في كتاب *المنظوم* لردُّ جلّه إليها، كما أشار إلى ذلك محمد شكري عواد حين اعتبر أن كتاب قدامة بن جعفر *منتهى النور* يعمل تقارباً قوية من للفكر اليوناني كما تأثر ابن المبرِّك في كتاب *الإيضاح* بشيء من خطبة أرسطو، وكان لكتاب *إفن الشعر* أثر في فلسفة عبد القاهر الجرجاني البلاغية وأثر في *منهاج البلغاء* وسراج الألباء. نمازيم النورطاجني اقترأ عميقاً قبله للمعق، ولا كل هذا، وغيره كثير يبرز على مدى معمول الترجمة في تراثنا العربي ومقدار انفتاح القدامى من فكر الآخر<sup>(1)</sup>، دون أن يخفض اللغة العربية أو الأدب العربي بل عزز أصالتهما، وكان من الأسباب التي جعلت اللغة العربية لغة عالمية، وجعلت الأدب العربي لهمهم بلا ملهمة أدب العالم على امتداد المصطفى الواسطي<sup>(2)</sup>.

لقد بذل قدامائنا مساهمهم وجهودهم الحثيثة في ضبط تصوراتهم نحو دور الترجمة وتوضيف مضامينها، والإفادة من اللغة المصدر التي نزلت منها، فأبدعوا في كل ما جادت به قريحتهم الفكرية والإبداعية، وأجادوا ببيان خالق، خالي من التلوه، وحافظوا على مكانتهم وشخصيتهم العلمية، فأتحقوا ذخائر المعارف بهذا الأثر البالغ الأهمية كالقاهر لا يرفض أن يعيش إلا على القمم، فأنكبوا على نقل ذخائر ثقافة المصدر من الآخر لأنهم رأوا أنه لا مناص لهم من استنساخه حتى يمكنهم، بعد ذلك، أن ينتجوا ما هو جديد يضاف إلى ما وصل إليه ذلك الفكر، ولم يقتصر هذا الاهتمام على أصحاب العلوم البحتة وإنما شمل أيضاً أهل اللغة، فعلى سبيل المثال استوحى سيدييه دكانته في *النحو* من منطق أرسطو، ولولا الفكر اليوناني لما وجدت ثقافة علمية عند العرب والمسلمين في

1 - ينظر محمد الجديعاري، *معمول الترجمة في شاعريتنا*، نشره كتاب الترجمة وفقاً للقاءات مرجع سابق، ص 87.  
2 - ينظر *نور العربي*، ج 1، ص 74، *نور*، ص 74-80.

القرنين الستة الأولى من الإسلام<sup>(1)</sup>. وإذا كان القدامى قد عَنَوْا بأهمية دور الترجمة فلأنها - في نظرهم - وسيلة للتطوير للمعرفة وللتقنية، وانكاس ذلك على الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية والفكرية والعلمية. ومن هنا، كانت الحاجة إلى التفاعل مع دور الترجمة حاجة ملحة.

لقد كان قدامائنا أحرص ما يكونون إلى من يمارون على قوميتهم ورسالة ثقافتهم، والتأكد على أهمية الترجمة وأدائها، ولذا كان حدودها ودورها، والموعي بأطرها وقضايلها. وبين هذا وذلك كانوا يصيرون في معياد، مدافع عن الحضارة للمعرفة الإسلامية، حيث كان هدفهم الأساسي والوسيلة التي بها يستكشفون الشيء إن كان حقاً أو باطلاً، مفيداً أو ضاراً. فلا غرو إذاً إلى كانت الترجمة، ودورها الفاعل، الحجر الأساس لتطويع قيمة المعرفة المتصفة بالإنسانية، وتجهيز الثقافة للراكدة من المتطورة، فإذا كان الأمر كذلك فإن الترجمة هي المصير، ويدهي أن يكون دور الترجمة ضرورية من ضرورات تطوير الثقافة للتقوى إليها شتى أنواع الممارف. ولعل هذا ما أخذته على عاتقهم قدامائنا حين تروءوا بثقافة غيرهم، وبها جندوا فكرهم ونشاطهم العلمي، وبها أبعثوا ثمة المؤلفات الرصين المستمد من هذا التأثير المحض الذي نتج عنه ذلك الإنتاج المحض.

بهذا يكون تراثنا قد قدم لنا قاعدة فكرية - في بداية الحضارة العربية الإسلامية - قد بمثابة المثال النموذج، الذي يُقتدى به في كيفية تعامل، وتوسيع الممارف من طريق الترجمة. وقد كانت الترجمة بالنسبة إليهم رسالة شاقية وأبست استسلاماً لكل ما هو أبت. أضف إلى ذلك، أن الترجمة تم تكن عندهم قوة مؤثرة فحسب وقدر ما كانت قوة هائلة، وخطة منهجية، تركز على التمسك الهدف المنيتم من التمسك المصدر. ومن ثم، يكون القدامى في نواصير الحضاري بهذا الشكل قد نهجوا طريقاً للإبداع متبادل

1 - ينظر عبد الرحمن بدوي: دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص 28-38. وتظهر أيضاً: محمد الديباني: مضمون الترجمة في ثقافة الحضارات، ضمن كتاب الترجمة وتفاعل الحضارات، مرجع سابق، ص 670.

الاتباع من موقع القمتن الحرص على هويته المستقلة بالخصوصية الإسلامية. ومن هنا كان الاختيار قائما على إخضاع الفكر العام وتطوير الحس النقدي عندهم .

ومن الجيد أن الحضارة العربية قد لصطت الكثير؛ لأنها تلقت الكثير من الحضارات الأخرى كاليونانية والفارسية والهندية. تلقت هذا كله ثم أساعته، وساعت منه ثقافة عربية، ثم استعرجت منه حلاصتها، ثم أهدتها إلى العرب قبل القرن الخامس عشر بوقت طويل.

### 3- في الثقافة العربية

يولي كثير من الباحثين المعندين العناية القصوى بأهمية دور الترجمة في الأدبيات المتداولة، في ساحتها المعرفية، كما ركروا في جهودهم على نظرية الترجمة التي جعلوا منها عنصراً فاعلاً في تلقس المعرفة، وفي تطور مناهج البحث العلمي.

وإن أي تطور لا يمكن أن يحصل في مجال البحث العلمي - أيأ كان منشؤه - دون إعادة النظر في كيفية التعامل مع هذه المعرفة، والاهتمام بها بمعنى العناية بوظيفة نقل وترجمة المستجلبات، ورواد صلة المناهج المعرفية الحديثة والثلفة المحلية من شأنه أن يمد الأفكار المجردة ويقترب من استيعاب واستثمار ما توصل إليه العقل للبشري في محاربه المتباينة، وتمكين عملية التواصل والتلاقي مع هذا العقل عن طريق وساطة الترجمة الوظيفية في إجراءاتها العملية المنتجة، وهذا ما يمشي الأهمية البالغة لمسألة التوسع العربي، وما يترتب عليه من نتائج فكرية وتشجيع الطوائف الفاعلة في جميع المجالات الإبداعية، وقد لاحظ د. إيمان إيمان زوهارة<sup>(1)</sup> أنه رغم أن الترجمة تقوم بدور رئيس في تطور الثقافات الوطنية، فهذه

1 - موزان باسوت، من الأدب القانون إلى دراسات الترجمة، ترجمة: د. هادي عبد الحادي، مجلة الآداب الأجنبية، محرق العدد، 128، 2005، ص 47.



الحقيقة سم على الأغلب تجاهلها من قبل مؤرخي الثقافة ولم يكن هناك صديقاً يبحث البنية حول وظيفة الأدب المترجم ضمن نظام أدبي وتم فهم عصر النهضة مثلاً بأنه عصر نشاط ترجمي مكثف ومع ذلك لم يحدث أن جرى أي تحليل منسق لما تُرجم ولماذا. ومنه وكيف، وفي مقالة نُشرت عام 1978، يناقش إيفان زوها أن ظروفًا معينة تحدد النشاط الترجمي ومكانته الثقافية لا ثقافة ما. وسُعد هذا في ثلاث حالات رئيسة عندما يكون أدب ما في مرحلة مُبكرة من التطور، وعندما يُدرسه أدب ما بعده بأنه هامشي، أو ضعيف، أو كلاهما. وعندما يكون هناك نقاد مجهول أو أزمات، أو فراغات أدبية. وقد تَبَيَّنَت أعمال لاحقة هذه الأفكار وتطوراتها من خلال دراسة حالات معينة<sup>(1)</sup>، كما سيأتي الحديث عنها تالياً.

ولقد بذل الغرب في المصور الوسطى كل ما في وسعه لنقل حضارة الشرق إلى أوروبا؛ إذ كانت الأندلس - بوجه عام - الجسر الممتد لربط الصلة بين عملاء الشرق وتأثر الغرب من معظم المعارف حين كان المجتمع الغربي - حينذاك - يزرع تحت جنح الظلام، وقد أشار الطاهر أحمد سكي<sup>(2)</sup> إلى الدور الحضاري في انتشار أوروبا من بحار النخيل إلى أنوار العلم والتجربة والمعرفة، كما سيطر الأندلس بقوة على المراكز الإشعاعية الثقافية في الشرق الإسلامي التي كانت مزارع هندية للأحرار الغربي في عملية النقل والترجمة والاستيراد الثقافية<sup>(3)</sup>. وتشير معظم الدراسات التاريخية إلى أن الغرب في القرنين الوسطى مدين للثقافة العربية الإسلامية بتعرف الغرب بمؤلفات أرسطو من خلال ترجماتهم وشروحهم القسمة المبدعة، حيث كانت لطرف والمعلوم تزدهر وتتقدم باستمرار الأمر الذي شجع الأوروبيين على الاهتمام بالحضارة العربية الإسلامية عند

1 - سيزان بسلنت: من الأدب المتعاون إلى دراسات الترجمة توجية، ص: 49.

2 - في كتابه: أبعاد عربية وإسلامية في الفكر الأوروبي الحديث، ص: 87.

3 - بنظر، صلاح حسن وشهد: الثقافات الإسلامية في الفكر الأوروبي الحديث، الرابط:

www.elpensil.com

احتكاكهم بالأندلسيين. وفي القرن العاشر الميلادي حث علماء النصارى على ترجمة علوم العرب وفنونهم، وتحمسوا كثيراً لهذه الترجمة، خاصة حين علموا أن العرب قد ترجموا أغلب مؤلفات اليوناني وفتبسوا من مناهل فكرهم. ولقيت هذه الترجمات ترحيباً كبيراً لدى ملوك النصارى، وانتشرت في كامل أرجاء أوروبا رغم تعقيد بعض الكسبيين، وتواجد طلبة العلم على المدن الأندلسية من كل أنحاء أوروبا، ولا سيما شمال إسبانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، ولذا تلقى العلوم والفنون العربية الأندلسية<sup>(1)</sup>. ولطه يفضل هذا التعلل النوعية في اكتساب العرب معارف العرب فتمتص من دور الترجمة تشهده الدراسات والبحوث لتحدث تحولاً شاملاً في مسار الفكر العربي، وظلت ترجمات الكتب العربية، ولا سيما الكتب العلمية معتدلاً للتدريس في جامعات أوروبا أكثر من خمسة قرون، أما الكتب الطبية العربية فظلت تُدرّس في أوروبا، وعلى الخصوص في جامعة مونبلييه إلى وقت قريب من عصرنا، ومن جهة أخرى، فإن ترجمة كتب العقائد والحضائل والتداوي بالأعشاب من العربية إلى اللاتينية في العصر الروماني هي التي أدت إلى تطور علم الصيدلة وصناعة الأدوية في أوروبا<sup>(2)</sup>.

ومنذ النهضة الأوروبية راجعت المآزف وأهمل بها العلماء وألب حثون اهتماماً بالعلم. وفي هذا الوقت خصت الترجمة بقسط وافر من الكمب لتوقوف على حقيقة العلوم التي كانت وكان لا تشاهرها في حقل الدراسات دور مؤثر في تطور الأجناس للمعرفة الأخرى.

ولذا كان هناك من دور قامت به الترجمة هو التسمية التي فرضتها العلوم والمعارف العربية على الغرب، ولا نمل على ذلك من أن (أوجبر بيكون)

1 - محمد حمادة، ترجمة المعارف العربية والفرما في الحضارة العربية، مطبعة الأناج، ج 5/2، بيروت 1999، ص 33.  
2 - (الرجوع ص 36).

عندما ماكلية بالانجورية العلمية والتطبيق العملي بعيداً عن الغيبيات، أنهم بأهه مصاص مع انه كان من الاربهان للمؤمنين... وكان [إقرارك] يؤنس مواظنته على اعتقادهم بأنهم لا يستطيعون اللحاق بالعرب. وبالفعل فبرز أوروبا العربية كفتة تقتصر إلى التراث اليوناني الفلسفي ولولا العرب لكان للأوروبيين وضع آخر ولا أن للترجمات عن العربية شمسهم بظافة جديدة ما زال مفكروهم حتى اليوم يذكرون فضلوها<sup>(1)</sup>. وبذلك يعود الفضل إلى التأليف العلمي إلى دور الترجمة من العربية إلى الثقافة الغربية، والأمتية في تشرب شعبيات علمية أوروبية من معين الثقافة العربية كثيرة يذكر منهم فيكرت، والفديس، توما الأكويني، والغلي، وغيرهم كثير ممن ذاكروا بشكل أو بآخر بالفكر العربي.

وإنذاك فضولى للعرب في القرن التاسع عشر لمرحلة ثقافة الشرق، وخاصة في أثناء حملاتهم الاستعمارية المصمومة بالأنابا المفرضة عبر جسر التجارة والتبشير، وتحسين الإدارة والاستبلاء العسكري على التورات، كل ذلك تحت مسمى الاستغراق العلمي. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر انقسم الفكر الأوروبي تجاه الإسلام إلى قسمين: أولهما، وأوسهما انتشاراً، فيه شحن عاطفي وتأجوج للمطاهر من مسخر الشر الذي فيه الأمور الطريفة والمادرك بينهما، يستند إلى المنهج التجريبي وتحليل الوثائق والمطويات<sup>(2)</sup>.

وبعد مرحلة ازدهار الفكر الغربي وتقدم العلوم والمعارف فبقي موضوع الترجمة رواجاً أوسع، وهذا يتضح للتأثير الصيني لأهمية دور الترجمة في نقل المعرفة من خلال بروز دارمين ومنظريين للفكر بوجه عام ممن أولوا هدية عظيمة لدور الترجمة بقرص الوصول إلى تميز ممارتهم، فاندردت

1 - هنا جهود الترجمة والتمية الثقافية، مجلة الأديب، ع 14، ص 71.

2 - بشار، محمد. صالحي، علي. الإسلام والمسيحية من التناقض والتصادم إلى الحوار والتسامح. الكويت: 2007.

بذلك الثقافة الغربية بفتح المجال لحرية التعبير التي استغلت منها الترجمة في خوض معركة الانتزاع على الأخرى إلى جانب ثم المصنوع «العاسقة»<sup>(8)</sup> بوصفها تدعم الصادر للتأجيل.

ويالنتظر إلى ذلك تكون الترجمة قد تطورت استجابة لتهضة الفكر المعاصر، ورغبة في تحقيق مطلب فهم النص، كيما كان، وإنما لا تردهر إلا في ظل تحرر المعرفة، لأنها تُسهِم في زيادة وتقوية الرأي الآخر.

لقد أسهمت الترجمة في مسيرة الفكر الغربي الحديث في دور مهم للنصوص من وإلى جميع اللغات لما تشهده هذه اللغة من مكاسب حظيت بها نعات أخرى لتعوض ما نقص في اللغة الأولى، وهو موضوع لن يعمده إلا اللغة الوسيطة في فعل الترجمة، وهي مهمة شاقة، ومع ذلك ازدهر رواجها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على يد دارسين أفاضل، ومترجمين في حقل الدراسات الترجمانية من ضمنهم - فيما سراء أهد - لدراساتنا - جورج شتاينر في كتابه الشهير «Albert Camus» (بمد بابل) وفيه يتحدث عن أهمية الترجمة في ظل التمرد اللغوي، وكذلك الفيلسوف الألماني إريك هورنر الذي هو من مكانة الترجمة في المعاصرين والمؤسسات حين «يفكر بإعادة تنظيم الجامعة الألمانية، فيرى الفلسفة والأدب والطب والفن، بل الدولة نفسها، خائفة جميعاً على الترجمة، تُترجم وتُترجم، لتكونها تسهم في تنوير المعرفة الأصلية التي هي واحدة، والتي يشارك فيها كل واحد من أجناس المعرفة ملكاً يعمل كل عضو من أعضائها كلية حية أو منتعشة»<sup>(9)</sup> وبلا دراسة أخرى متميزة (إفلاتر بنيامين) في تدخل في باب الترجمة «بمهمة المترجم، يركز فيها على فعل الترجمة بوصفها تكللاً، وأداءً

1 - يرى الفيلسوف الضربيني (ديكارت): أن الفلسفة وحدها هي التي تُعزِّزنا عن الأوهام، وأن حضارة الأمة وثقافتها أيضاً تتأسس بمشاكل ما يشرح فيها التفكير الضربيني؛ كذلك فإن أصل مصداق يسم الله بها على بلد من البلاد هي أن يضعه فلاسفة حقيقيين.

2 - Jacques Derrida: Les Langues et les institutions de la philosophie, texte

(8) n° 4, Toronto, 1985, p. 39.

توسيع. وتعلم كل هذه الدراسات يقف [جاءه دريدا] مطورا وتليفتها الدالة في دراساته المتعددة من منظور ويطها بملافة الذات مع الآخر، ولعله بالميلسوف الذي ذهب أبعد من سواء في بلورة فيتومينولوجيا الترجمة المستورة عمده (1).

ويكتب هيلير بيلوك *Hilary Belloc* في محاضراته التاليفية التي ألقاها عام 1931 يختصر فيها الموقف الذي ما يزال يدعو للأدب كلاً وبهكس تميزه جديداً في بعض البلدان: إن فن الترجمة هو فن شاعري وطبعي، ولهذا السبب لن يسهل لهذا الصرام العمل الأصلي. وقد هانني كثيراً من إطلاق المحكم العام على الأديب. وأصبح هذا التقليل الطبيعي من قيمته له تأثير عملي سبى لنى إلى تدني المستوى المطلوب، وفي بعض الفترات التاريخية غالباً ما دُمر هذا الفن كلاً. وأضاف سوء الفهم بطبيعة الترجمة إلى المحط من شأنها: إذ لم يكن هناك فهم لأصالتها ولا حتى لصورتها (2).

في حين حصر أنطوان بومان *Bourman* في كل دراساته الأدبية بخاصة منها، الترجمة ومكاتبها *La Traduction et ses débouchés* للبرهنة على الصالح الإيجابي للترجمة ومدى إمكانية، والتحديات التي تلها منها، والتأمل الذي ينجلي في ذاتها، وانكاس ذلك على التجربة

كما ركز الباحث الأمريكي د. أوجون غود د. في الخمسينيات على عملية التأثير الذي تحدثه الترجمة في القارئ المصدر كما في القارئ الهدف. وقد كان لنظرية دوداء الأثر البالغ على بث المسوغات التأويلية لمتلقي في فهم النص المنقول إليه بما يتسجم مع ذوقه، دبل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك عندما روى معايير الترجمة وتبنيها بدرجة تلتها من طرف

1 - كاظم جهاد - نمو فلسفة الترجمة - دراسات شرقية وغربية - ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات - مجلة بحثية - ص 231.  
2 - سوزان باسنته من الأدب اللاتين إلى دراسات الترجمة - ص 68.

القراء، وجعل شروط الترجمة الناجمة تعادل ودور همل شارون الأسفل وقارئ الترجمة أي إنه ليرتقى بمرتبة القارئ الذي ظل يطالع للتمهيش في لبيبات الترجمة إلى درجة لتضمر الاستراتيجيات في عملية التواصل<sup>(1)</sup>

ثم تولدت الترجمات التي أعطت أهمية بالغة الدور المتوسط بها، من أمثال جورج مونان الذي أطلق شكواه في حق تجاهل نظرية اللغة للترجمة باعتبارها عملية لغوية.

وكذلك من أمثال *André Follereau* الذي ركز في الأخير على أهمية دور الترجمة في النظام الأول بوصفها عملية لغوية. ثم جاء في أعقاب ذلك ما يمكننا اعتباره بالثقل الفكري بشأن التدبير والتعامل في مهمة الترجمة، ثلثها مجموعة من الباحثين في السيميائيات نهر من خلال تقديم منظور مختلف لدراسة الترجمة. وفاد هذه المجموعة في البداية (إيتاسار) بيهان زوهان<sup>(2)</sup> عندما اقترحت المجموعة تصريف هدف دراسات الترجمة.

وبما بصمت عنوانه نظرية الترجمة اليوم، بدأ بيهان زوهان باختصار الأفكار المسائدة في حقل الترجمة. وقبل متابعة اقتراح طريقة نظامية، عدها أن نمر عبر خلط كبير من الأفكار المهمة حول عملية الترجمة<sup>(3)</sup>

وبعد هذه الثقل النوعية التي انضمت إليها هذا العرض المختضب، جدير بنا أن نتوقف - مرة أخرى - عند جاك دوبوا الذي ركز في دراساته على أوجه متعددة. نمل الوجه الأول منها بدور على أكثر الترجمة في بقية الأجناس النحوية الأخرى والوجه الثاني يقوم على التقاطع بين الثقافات من خلال الترجمة، بينما يقوم الوجه الثالث على دور الترجمة بوصفها عملية تحويلية بإحياء النص من لغة إلى أخرى، ومنتميات هذه الفرضية في

1 - بيهان.

*Engest Mils. Toward a system of translation. Leiden, E-J. Brill, 1994, p 162.*

وانظر أيضاً - حسن بصراوي الترجمة وثقافة مجلة: ترجمات ع 1، ص 43-70

2 - سوزان باستوت: من الأدب للثقافة إلى دراسات الترجمة ترجمة د. هادي عبد المطلب ص 46

نميرس إحياء الحياة ومجددما التي تهتم بها المعارف في شتى النواحي،  
وتقارب بعضها ببعض من خلال دور الترجمة.

لذلك كان لعماد دورها وفلاسفة المعاصرين الآخرين هو دليل آخر  
على الأهمية المتنامية للترجمة وعلى توليد الدراسات اللسانية في مجال  
دراسات الترجمة.

ومع توليد أعداد الدراسات حول جوانب الترجمة التي تقوم بها  
للمجتمعات، وموضوع الأدب والثقافة وعلماء اللغويات الاجتماعية، ومنظرو  
الأدب، فإن المصطلحات الصعبة التي كانت صالحة في مناقشات الترجمة  
بدأت أخيراً في الاختفاء.

وهناك طوق هائلة بين الشكوى القديمة الطراز عن حامل الفقدان  
في الترجمة، وبين الفكرة الحديثة عن الترجمة في أنها تعطي حياة جديدة  
لنص اللغة المصدر. وإضافة إلى ذلك، فهناك اكتشاف مؤرخو الترجمة  
أنهم حول سلسلة مسبب الترجمة، فإن نقل النص من لغة إلى أخرى يبدو  
بطريقة متزايدة عنصراً حيوياً في التطور الثقافي<sup>(1)</sup>.

وفي ضوء ما تقدم، يتبرز دور الترجمة بما تقوم به من مكانة في  
تواصل الثقافات على أساس البحث في أبعاد التفكير، الفهم منها وإليها،  
ويضاف إلى ذلك دورها المنوط بها في إمكانية نشر التكامل بين هذه اللغات  
والحفاظ على التراث العالمي من خلال الثقافات الواحدة؛ لتصبح هذه  
الثقافات جزءاً من تراث الإنسانية.

وهذا ما يمضي مشروعية الاهتمام بدور الترجمة في مجال تطور  
العلوم والمعارف والمعاملة في تلبية التطلعات الإبداعية، والكشف عن  
بعض جوانبها، من منظور رؤية معرفية سليمة، ولذا مستداهة  
ابستمولوجياً

1 - ارجع السابق، ص 62.

## ثانياً الترجمة بين التطور والتطوير<sup>1</sup>

### 1- مفتاح النمو

تؤدي وظيفة الترجمة دوراً أساسياً في تفعيل المسار المرمز إلى البحث والتجسيد، بوصفها قسماً حواري بين الأجناس المعرفية وتجهيز التبادل بين مختلف اللغات، وبقدرة ما تزدهر الترجمة في لغة ما بقدر ما ينمو إنتاج المعرفة في الثقافة المحلية، فيتميز الانفتاح والتواصل ويكون فيها المجتمع المنفتح على العالم الآخر، قادراً على تطوير قواه المعطية في مجال الطاقة الإبداعية، وليس أدل على ذلك مما قامت به من دور للإسهام في بلورة صياغة الفكر العربي الحديث وفي إعادة صياغة الأدب العربي الحديث، ويكمن من جديد في منتصف الثاني من القرن العشرين بفضل اللغة المنقول منها، وبقية وسائل التطور والنمو.

كما لا ننسى أن هناك ظروفاً معينة أسهمت بشكل واضح في إعطاء مكانة خاصة للترجمة ودورها في الثقافة العربية، وذلك من خلال إضفاء بعض الأسماء الأوطسسية على المعارف والطوم العربية بعد عصر الطوطاوي، ومحمد عبده وفتح أنطون. صامو هضنتا، وربما كان أساساً أن يكون للترجمة دور في هذه المرحلة التي أولت عناية خاصة للنقل من الغرب مع الضربة ونتيجة للثمول في النطق الثقافي الذي ساد العالم العربي، والانتقال من الكلاسيكية الرثية إلى الانبساط والتجديد في التركيبة المعرفية التي بدأت بالثورة على القصيدة الممورية، وثمنى الشعر الحر بوصفه نموذجاً أساسياً لتعطية لغة الآخر، ولحظة تحويلية ريفية.

1. محمد بالتطور، التثوير والتثوير من حال إلى حال وهو سؤال تروبي قد يأخذ مبرار في الاتجاه السطحي، كما في الاتجاه التصاعدي، نظراً إلى قبولات محدث في سوتها. أما التطوير فإنه ينمو -دوماً- في الاتجاه التصاعدي، الإيجابي من حيث تعديل الشيء وبسببه إلى ما هو أفضل.



وقد جاء هذا التحول في التمرد على كل ما هو مألوف نتيجة ارتباط الجيل الجديد والثقافة القرية، والتأثر بها، فعمل هذا الجيل على عاتقه امتثاله في تقييده وإنظافته من الآخر، وهو تأملنا في آداب الأمم لوجدنا أن أكثرها اعتماداً على الذات وقولها هي تلك الآداب التي لم تكن مدروسة عن غيرها، وكان للترجمة دور مرموق في حياتها الثقافية<sup>(1)</sup> ومن شأن ذلك - بحسب المتطور التاريخي - أن يكون هذا التحول قد استغنى تأثيره من طوائف وطبقات وعناصر بناء الفكر الآخر، التقدم من الخارج، هذا المواق الذي نشأه ويؤج له كل من تشبع بثقافة الغرب سواء عن طريق اللغة، المصدر أو عن طريق اللغة الهدف وهذا يعني أن النص المصدر عندما يتدخل مع النص الهدف في نقل المعنى يحدث نوع من التداخل بين مصور في مرج ثقافتين. ولعل مكن من ذلك هذا الارتباط - أيضاً - تابع من التحول الذي ساد الحقل العربي، بخصوص تغير طريقة التفكير في المنهج الإجرائي المتعلق بالمنطق الشكلية والكيفية التي يودع بها، إلى جانب التغير والتحول في الاتجاه الأيديولوجي، وهكذا نرى أن الترجمة بمقدار ما تكون تقيلاً لمنهج أو نص، من لغة إلى لغة، فهي تكون أيضاً، وفي الوقت نفسه، اختياراً منهجياً للملم في تشكيل مفاهيمه من طريق إعادة صياغتها بلغة أخرى، كمن تكون الخيال في لغة التي تقول نفسها من خلالها، فتطويعها وتطويعها حياة وأنية<sup>(2)</sup>.

ولعل هذا ما قامت به الترجمة من دور في نمو الثقافة العربية في بداية عصر النهضة. وهو ما يتفق مع فرضيات (يفان زوبار Ewan Zohar) الذي يرى أن نشاط الترجمة يكون حالياً عندما تكون الآداب في مرحلة مبكرة من التطور<sup>(3)</sup>. وقد ينطبق هذا تماماً على أدبنا التي ما زالت - منذ عصر الانحطاط وإلى يومنا هذا، نسبياً هامشية.

1 - مرجع السابق، ص 39.

2 - منذ عواصم، الترجمة لغة مستمدت ضمن كتلة الترجمة والتمثيل الثقافية - مجلة بحثية - ص 188.

3 - موران باستيت، ص 113، المثلون إلى دولست الترجمة ترجمة وتجاوز عين القلم، ص 46.

وبعد مثل هذه الحال يصبح من الضروري الاعتماد على الترجمة لتعليم الثقافة الوطنية والآداب المحلية لأن «حق المعرفة يتوقف على معرفة الآخر؛ فلا يُستطاع تقويم الأدب القومي حق التقويم، ولا توجيهه حيز توجيهه، إلا بالنظر إليه في نسبته إلى التراث الأدبي الإنساني حملاً، كي يتاح له أن يقوم بوظيفته الإنسانية من شأيا قولابه الفنية، ولن يؤكد الفهم الحضارية بتأديته لرسائله القومية والوطنية»<sup>(1)</sup>.

أضرب إلى ذلك أن الأنظمة الأدبية (الهامشيان) بحسب سوزان باسنت - توكي للترجمة اهتماماً كبيراً. على عكس الأنظمة الأدبية التي تعتبر نفسها أنظمة كبرى، وهذا ما يكشفه واقع حال الثقافة العربية منذ حملة نابليون على مصر، هذا الواقع الذي اتسم بتفاح الحضارتين الغربية والعربية، وما تلا هذا التنازع من الإفادة من ثقافة الغرب، وإعطاء الترجمة دورها في نقل هذه الثقافة.

ولا ننسى أن التنازع المثقفي - رغبة في تعديل طموحاته - من مضمون النص المنقول إليه يسهل عليه عملية الفهم والاستجابة للدور، كأقول، ومعنى ذلك لا بد من أن يكون هناك تماثل وتوافق بين رغبة المثقفي في اللغة المنقول إليها وفكرة النص من اللغة المترجم عنها، وإذا وصلت الترجمة إلى هذا المستوى تكون قد أدت دورها في تطوير التقبل بين النص المصدر والنص الهدف وتكيف القارئ مع محتولهما معاً، تأميك من التماس مع تقناتهما من خلال مهار الاستعمال المثقفي إلى الفهم، ولعل في هذا المقام شرطاً أساسياً لتذوية الترجمة بوصفها وسيلة تقريب وتواصل بين الثقافات والمذاهب ووسيلة لإبعاد المواجهات الزمانية والمكانية، رغبة في تجسيد وما تستطيع من بنية الفكر المنشئ أولاً، ولأن تفهم في توسيع بنية اللغة التي إليها التوجه أحياناً... فإن ما نحن بحاجة إليه ليس حشر كل شيء في

1 - محمد خنسي هلال: الأدب للتراث، دار البوذية ودار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية.

نسبة القائمة... بل توسيع بقية اللغة القائمة وتمديدھا، بحيث تصبح أكثر غنى ومرونة وطاقات<sup>(1)</sup> فاعلة. بالنظر إلى ما توصل إليه الآخر في مجال تطور السياق المصري بالفناهج الحديثة أو ما توصلت إليه المعارف من اكتشافات علمية وحديثة.

ومن ثم، فإن تطور كل لغة موهون بما تواصلت فيه مع اللغة الثانية ولا تقتصر على الفلتات العلمية للتعاونة، بل خاصة منها الإنجليزية، لغة للمصر، والمهيمنة على مجمل النتاج الفكري الغربي والألماني بوجه عام.

لقد، أصبحت المعرفة وثيقة الصلة بتكنولوجيا المعلومات التي تعطي مجمل مفاهيم المعرفة العلمية، كما أصبحت أكثر قرباً من المنطقي، وأكثر بعداً في تعميمها، نتيجة للتطور التقني الذي تؤديه عملية الترجمة من حيث كونها تسهم في إعطاء حق الإقامة والذوطين للنصوص المنقول منها إلى اللغة الهدف، وتوسيع ترجمة الفكر المصري ولا مثل هذه الحال لتوسع الترجمة من الفنى معرفتها، وتسمح سمكيات لغتها وتطور، ويضم للفتح ثقافتها، وبهذا القدرة على متابعة التطور الحضاري وبالتالي تضمنها في دائرة مزايا العالم لأن مهمة الترجمة - على حسب رأي عبد السلام بنهد العالي - هي بالأساس توليد للقرابة، واستعداد للقرابة في الآخر الذي يعد مواد للذات واختياراً لها ومتياساً وجوئياً لاستمرارها<sup>(2)</sup>، وبذلك يمكن لتقبل الفروسي أن يخوض تجربة ممارسة غمار العلم بالمسبل التي تدعو إليها روح المبادرة، ولحبة في إلقاء الشبه من خلال فهم المفاهيم المعرفية وإعادة صياغتها أو تركيبها بحسب واقعنا، وهذا ما يضمن اقترابنا من التكامل المعرفي الذي يتم به العالم الفروسي.

1 - من إبراهيم الفوسي، حدود التطور، ضمن كتاب الترجمة والتفاعل الثقافي، ملحة بحلة - ص ١٤٤.

2 - بطر، إبراهيم الحارث: الترجمة والتفاعل الثقافي، مجلة ترجميات، ص 111

موضح في مطلع القرن الحادي والعشرين نرى أن الوقت بالتأكيد قد  
 حان لكي ندرك أن حقبة تاريخية قد انتهت. إن الكتابة لا تحدث في فراغ،  
 بل داخل سياق، كما وإن عملية ترجمة نصوص من نظام ثقافي معين إلى  
 نظام آخر ليس عملاً حيوياً، أو بديعاً، أو خفياً، إن الترجمة نشاط مشهور  
 بقوله وعمل انتهاكي، كما في سياسات الترجمة تستحق اهتماماً أكبر مما  
 حظيت به في الماضي. فقد طغت الترجمة بدور أساسي في التمييز الثقافي،  
 ونحن ندرس العمليات الثنائية لممارسة الترجمة يمكننا أن نتعلم الكثير عن  
 وضع الثقافات المستقبلية في علاقتها بثقافات نصوص المصدر<sup>(1)</sup>

ويعتطلب من وظيفة الترجمة - ليدفع مفتاح النمو - الإلمام بالثقافات  
 وبلمعرفة الحديثة، وبالتفكير المستمر للإسهام في عملية تنمية الدوافع  
 المؤدية إلى الخلق والابتكار، حيث لا تطور، ولا نماء ولا بشارة للمعرفة دون  
 نقل وترجمة، فكل شيء موشياً على شكل فكرة مجردة في عقل الإنسان،  
 التطور يتأخذ شكلها في التعبير اللغوي كمرحلة مبدئية في التمييز المادي  
 وتواصل الأفكار يتم من طريق نقلها إلى الآخر الذي يستوعبها بعد ينطق  
 مع عقله، وما يتوأم مع تخطيطه الثقافية والعمليات، ونتمكس بذلك على  
 مستوى الجماعات الإنسانية ذات الثقافات المتباينة والمهاجرة معاً  
 ونفياً، ومن هنا يحدث التواصل والتلاقي من طريق وسيط يمتلئ كلنا  
 الثقافتين والتفكير<sup>(2)</sup>.

وإذا ما جردنا النظر في أهمية هذا المصير اعتباراً للترجمة أهم عناصر، أو  
 وسيط للتطوير والنمو لأية ثقافة، ومن ثم لا تكون المعارف والنتائج  
 الوطنية ممكنة إلا بفضل التفاعل مع الثقافات الأخرى والإفادة بها هو في  
 الخراج، ونخضع ما هو محلي بحكم التواصل بين الفئات والأفراد في بين

1 - سوزان باستيت: من الأدب للقرن إلى دراسات الترجمة، ص 80.

2 - بشار، مجلة أبو زيد: دور اللغة العربية في تنمية المعرفة الربط:

المتحدة والاكتمال، وهو التواصل المشترك، بالتقسيم المشترك بينهما في تقصير ما هو متشاع في المعرفة.

وعلى هذا النحو يمكن أن تضطلع الترجمة بدور التجميع - والإسهام في النمو - لأن الاحتكاك والتقارب بصفة الثقافة للمستور، يؤدي إلى إعادة صياغة التركيب، وبصفة المصمم أي تجميد لغة الاستقبال غير تلك المصنوع ومما هو ومصطلحات جديدة بل لغة متجددة<sup>(1)</sup>.

وبهذا بلغت درجة الكمال في معرفة ما، فإنها تظل بحاجة إلى تعويض الانقراض، والترجمة مؤهلة لتدأرك هذا النقص، وهي ضرورية لربط العلاقة بين اللغة للفقلة واللغة للتفصيل إليها، وهي سنة الكون في خلقه بتلويح اللغات منذ (المسطورة بالمرآة)<sup>(2)</sup> في الجبر اللغات.

#### ١ - بلقيس

Fayza El Qasbi «Traduire le culturel en contexte postcolonial l'Égypte: le cas de l'Égypte la traduction entre Culture et Traduction» actes du Symposium international organisé par l'École Supérieure Bel Hadid de Traduction, Tanger, mars 2006, p. 116.

ينظر أيضاً: رشيد بومرو، الترجمة وتعليم اللغات، مجلة توبسيات، ص 88

٢ - ويوم حين هذه الفلسفة إلى أن أولاد سام بن موح مزقوا بيد الطيراني لربما بين النهرين فذاقوا بها عذبة يربها بروج حاله أوتوا أن يرفع صا اليسا، حتى يظفوا إليه على أسبها، فطوبوا بأن لمجد، الإله أمكاهم ورفق شطيم، ولهم طوبى لمصمم حتى استعوا لا يبركوني مقاصدهم طبع يديم ومن ثم صارت قصته بابل، في القرات اليهودي والمسيحي ثم إلى لحدالة القصار ولا يمشيه أن يكون لأصل في استئصال الجبل العربي (بابل) الذي يقيد مصر (الربيع في لا مسطرات) ويملأوا الأكمة منطوما والآراء والأمتعة فربما ينظر، الكتب الكسبي، صفر التكرير، النسل المبادي صفر ونظر طه صيد فرحص، هذه الفلسفة - الفلسفة والترجمة - المركز الثاني العربي ج ١، ٢٠٠٠، ص ٤١-٥٢، زكري الفيلسوف جاك دويلا، ما الله قد شعر بالمفهوم المبرر من صوب البربر هذا البرج الذي كانا يرمون إنشاء بحيث يطاول في ارتقاعه التمام، أسر بابي وكى اسمه (اسم الأب) موقوا أي مترجماً في تصديده من القادة. هذا الترتيب شرع الله بتكليف البرج وتكليف القاصد الشوقية، ولهم الاتجار الملائم تصمم وحدة المسألة البرم بالترجمة ونمنا في أي صا ينظر.

Jacques Juvénat Des notes de Michel Juvénat: Introduction de Fouad. Paris: vol (1), Gallimard: 1987, pp. 304-604.

ينظر أيضاً: كليم جواد، دور الفلسفة للترجمة - لتكثيف إشراقية وفروية - ضمن كتيبة الترجمة وتواصل اللغات، مجلة مطالعة، ص ٢٢٥-٢٢٦

## 2- مفتاح الاستيلاء

إذا كان من مهمة الترجمة البحث عن السبيل لفتح المجال أمام ربح الصلات عبر آلية الحوار الثقافي - يشق الطرق - ولتح قيادة الترويج في التعصبل المفرد من خلال إدراك مكانة النص بلغة المصدر في اللغة المستقبل إليها، من منظور تصميم الفاتحة كقوة مبتكرة، إذا كان الأمر كذلك، فإن للترجمة أيضاً، دوراً آخر يظهرها كقوة مدبرة في المساعدة على المهمة التي تمارس على بعض اللغات من خلال ما تقرضه من سلطة ضد هذه اللغات، وحده كل من لا يَضَعُ لُفَّةَ المصدر، ولا يُسَلِّمُ بها .

وبذلك تكون الترجمة - في جزء من دورها السلبي - أنها ساعدت كثيراً، المستعمر في حصوله على غايته وتمكنه من احتواء ثقافة اللغتين الوطنية. ومن ثم فإن الجوهر الذي يحكم هذه الرقبة للمهمة يدخل ضمن مفاصلة اللغة الهدف وقاصداً التسويق من اللغة المصدر ويتعلق هذا مع وظيفة الترجمة - في نظري المستعمر - بوصفها أداة للتثوير، مؤهلة للاستخدام الاستعماري، حين نُفِطَتْ جنباً إلى جنب مع جاني وسائل التدمير والاحتلال، ولذلك ربح بعض الأدونيسون نشاط الترجمة بالحاجة التثويرية، حتى إن مصطلح الترجمة والترجمان بالعربية بالمرحان إلى معنى الانتكاس والتعريف الذي يمكنه التلصق الفرنسي للترجم *traduction*، لارتباط الترجمة بالأشخاص الأيديولوجية التي تنحرف إلى التلاعب بمفاهيم اللغة المدبرة<sup>(1)</sup>.

لقد انحلت الإرماليات الأجنبية من خلال البعثات التثويرية، وكانت تعتمد بالأساس على وسائل عديدة من ضمنها للوسائل التعليمية التي ركزت على الترجمة بوصفها هتفاً لُصِيَّ للتجهيز بسرعة احتواء الدات المحلية، ثم في السعي إلى تشجيع استبدال الثقافة المحلية بالثقافة

1 ينظر،

George Steiner: *Agosto Babel, une poétique du dire et de la traduction*, P. 31

وانظر أيضاً، جمال حنري: *الغول السرية للقب*، ص 2

الوطنية. أضف إلى ذلك أن الترجمة كانت متداً قوياً إلى الركن الآخر المادي لها وهو الجانب الإعلامي إلى غير ذلك من الوسائل التي تسهت بشكل أو بآخر في اهتمامات قدرات القاص.

من هذا المنظور لا مغالي إذا قلنا إن الترجمة تمثل «في جانب منها» عاية للتقارب الذي يتطابق مع التبشير. ويتقضي هذا في مهلها عن الصواب إلى الترجمة التصورية والنسبة إلى الاستيلاء على قدرات الذات الوطنية. ومن ثم تعد الترجمة في نظرنا رسالة إيجابية للعواطف الثقافية فقط بل وهما اقترانها في تبني الترجمة التبشيرية لوقتها في الحيز المسيحي لوظيفتها، وأدخليها في موقع الحوارية مع الذات بالمساهمة في الاستيلاء على انشورات الوطنية. وفي المقدمة التي كتبها جان لجانجيهماست بوركين Jan Evangelista Purkyně - وهو الكاتب التشيكي الذي أصبح بعد ذلك عالماً فيزيولوجياً ذا شهرة عالمية - حول ترجمات «لشهر» حول تفسير الترجمة بأنها رد فعل مباشر ضد التأثير المدمر للثقافات الأجنبية، وكعمل انتقائي فعلي لكل ما عانى منه العالم السلافي من تدمير في الماضي؛ «لذا كان الأناشي والإيطاليون والمجريون (لكي يوضحوا انفسهم بالسلافيين) قد حاولوا سلب الشمو القومي من أكتامنا الماديون وميثاقنا العليا، فقمضهم نحن وسهلة أكثر ميلاً في الرد. وذلك عن طريق استيلاء كل ما هو متميز كانوا قد أبدعوه في عالم الفكر»<sup>(1)</sup>.

لقد قامت الترجمة - في نظرنا - في مثل هذه الحال بالإسهام في التمسك ومواجهة حور واقع الثقافة الوطنية عبر جسر التواصل «المفرد» بين الذات والآخر؛ لذلك ونحن الاستثمار كثيراً على الترجمة ومكانتها بالقدر نفسه الذي كان يراهن فيه على بقية الوسائل الأخرى ومن ضمنها

1 - فلاديمير ماكورا: «الثقافة كترجمة في كنفية الترجمة: التاريخ والاشارة» تصدره موريس باسنيوت والتدريه لوفيمير، لندن، ميتر، 1998، ص 70-80. ويظهر أيضاً، سورجان باسنيوت: عن الأدب المقارن إلى دراسات الترجمة، ص 64.

الجيش، وفي هذا الشأن يقول المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوبلر **Ch. Aubertin**، إن الترجمة الفرنسية للجزائر إلى استعمارها كانوا يعملون رتباً عسكرية، وكانوا يعملون بالتمايم مع الإدارات التابعة للجيش الفرنسي.<sup>(1)</sup> وهذا يتعارض مع إقليمية العس - أي المرجعية الاجتماعية - والحفاظ على خصوصية للذات الوطنية دون الاطلاع عليها من الأمر، الأمر الذي يجسد عرقية النص المصدر، وعصرية الثقافة الدخيلة، ومع ربط العلاقات الثقافية للتبادلية طوعية، وهذا ما جعل، أيضاً، الترجمة في ظل هذا الوضع تُستَخدم لضمان توجه تشكيل الهوية نحو التمايم مع هذا المنطق، فالطرف المهيم يستعظم الترجمة من باب الإدماج والاستيعاب، والطرف المظلوم يستخدمها من باب الحفاظ على الوجود، ولذلك لا يستقيم بحال أن تكون إستراتيجية الطرفين متعاقبة في استخدام الألية الترجمة، ولذلك لا يُستغرب أن تظهر من جديد ترجمة الشروح والتعليقات من جهة، والترجمة الصحافية من جهة أخرى، ولكن هل في ومع الطرف المظلوم باعتباره الأنا أن يتكرر لو جعل الألية الأنسب لمواجهة الطرف وبالتالي يعمل على إستراتيجية الهوية وأنها الترجمة<sup>(2)</sup>.

وهذا المنطق لتحمس اللمة الهدف كمصدر للهوية نتيجة للأهداف السلطوية من الآخر على المستوى الثقافي بالدرجة الأولى، فهناك الصراع بين الذات والآخر نتيجة للثبات بين الثقافتين، ومطلب كل منهما، فبينما تهتلي الثقافة الوطنية من الترجمة الاكتساب للمرجعية والتزويد بمعايير ثقافة الآخر، بل عرض دفع حركة النمو والتطور، فتمتد ثقافة الآخر أنها جاءت إلى هذه المعالم - الجديد، المرفق - لإثبات هويته، وإجبار ذويه على اكتساب ثقافته حتى لو كان ذلك كراهية وقسراً على الثقافي أو الاندماج.

1 - شارل أندري جوبلر: إحيائها الشمالية تسمى القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ترجمة: المصطفى صنهاج، وأخرون، مراجعة: فريد السويدي، دار التوسمية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978، ص 99.  
2 - جمال حسني: الحالة التشريعية للثقافة، الرباط: [www.ashraf.com](http://www.ashraf.com)



ولذلك - أيضاً - عمل الاستثمار كل ما في وسعه من الوسائل  
 الميكولوجية والاجتماعية والثقافية لاحتواء لغة المستثمر في جميع  
 المجالات حتى الجانب الاقتصادي على نحو ما يشهده الاستثمار الحديث  
 في توظيف الترجمة كونها وسيلة تساعد على خلق سوق للصادع الغربية  
 وقد اظهرت الباحثة الهندية تيراجانا في كتابها [موقع الترجمة 1998]  
 المسافة التي يأتى تفصل الدراسات الإنجليزية عن ذلك الإحصاء التقنيدي  
 للمصانع المثالي على الأدب الإنجليزي الذي كان قد طُوِّر جزئياً كناية  
 للإمبراطورية؛ وذلك حين اتسم الهند بطابع الديويل في المنافسة  
 الإنجليزية، حتى أنهم أصبحوا إنجليزاً أكثر منهم هنوداً. هذه العملية التي  
 تقوم الإنجليزية من خلالها بطبع الهند «بطابع جديد» كما يتجلى عبر  
 الترجمة، أي عبر سلسلة من الترجمات الإنجليزية للقوانين الهندية والأدب  
 الهندي، وأكثر من ذلك تساعد الترجمة على إضفاء طابع مثالي على ما  
 يعاينونه في الهند من الصف. هكذا تقود الترجمة الضياء التي يمتد على  
 عبرها القاموس الهندي بوصفه قديماً، ومطلماً، وتقليدياً، وبذلك يلقي  
 بثقله على ظهور الهند، وفي الوقت ذاته يصير حديثاً وإنجليزياً وعالمياً  
 فهي الترجمة لتحول النصوص القاموسية والأدبية الهندية على صورة  
 الهندسة الكونية الهائلة، ويُجفل لمجهرية. وذلك في الوقت الذي تقدم على  
 أنها لا تزال هندية في جوهرها، بحيث تشكل الطريقة المثلى لفتح أمام  
 الهولوك كما يكيوا «هولوك» خطأ به المحافظة على التراث القومي وثأونه  
 بدلية. <sup>(1)</sup> هكذا تحولت الترجمة من الانفتاح والتشاقض إلى الانقراض  
 والضمع الدال على ما يؤصل إلى المطلوب ومن الفائدة والتسوير إلى الاحتواء  
 والضمح للضموب المستثمر وحذف في التواصل، بدعوى حاجة هذه  
 الضموب إلى وجود الآخر رعية في تجميل ثقافتهم. ويبقى بعد كل هذا،  
 كيف تقوم لغة الذات لغة الأخرى ثم كيف تصبح الترجمة داهماً لنشوة  
 المتكررة بدلاً من كونها قوة مدمرة ومفتاحاً للانفتاح بدلاً من كونها مفتاحاً

1 - ينظر، سوزان بلستيد من الأدب لقانون إلى دوليت الترجمة، ص 88-89.

للاستقلال، لعل هذه الأسس وتعاليم وآلات أخرى كثيرة قد لجاب عنها الجاحظ منذ زمن بعيد، وكلفتنا به في إجابته هذه يعيش بين ظهرانيها حين قال عن الترجمان: «ولا بد للترجمان من أن يكون يلائمه في الترجمة نفسها، في وزن علمه في المعرفة نفسها، ويتفهي أن يكون أعلم الناس باللغة، بقوله والمتقول ليلها، حتى يكون قههما سواءً وقاية، ومتى وجعتاه أيضاً قد تكلم بسلامين، علمنا أنه قد أدخل الضمير عليهما، لأن كل واحدة من الضمتين تجذب الأخرى ولا تترك منها، وتعرض عليهما»<sup>(1)</sup> أي بما دخلت - في نظره - لغة على لغة أخرى إلا ولحالت علويها الضمير عندما تكون الترجمة في جره منها سليمة، وعندما تكون - أيضاً - سبباً في إصعاف الكتابة القومية بوصفها مصدرأ للحرية. عدا ذلك فإن الترجمة مصدر إشعاع، ومصدر للتواصل الحضاري بين الثقافات بحسب ما تشهده الوظيفة العلمية في عصرها الانتقائي، وانطلاقاً من رسالة الإنسانيّة القائمة على التواصل.

وبناء على ذلك، فهي ضرورة حتمية لكل ثقافة كي تتحضر وتزدهر. كما تقوم على إرادة التأهيل، كونه «إضافة إضافية» على حد تعبير جدامير<sup>(2)</sup> E. Gadamir باعتبارها تمييزاً حينما تضفي على النص بعد تحولته إلى اللغة المستقلة، إضافات جديدة.

ومن هذه الوجهة، ومن منظور مرحلة ما بعد الاستعمار القديم بأنواعه، تميز الترجمة مصعب كل تطور، والمصدر الفكري لبلاء مجتمع انمصر، مجتمع المعلوماتية، ضمن سياق تكنولوجيا الاتصالات، والدافع بسبل ظروف التقدم العلمي. ومن ثمة فإنه إذا كان للنص المصدر أن يتحول إلى نص فاعل في الثقافات والمعارف الأخرى عليه أن يعيا في ترجمة أخرى بوصفها استثماراً لثقافة الأخرى، وتعزيزاً لثقافة الذات.

1 - الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد عارون، دار الكتاب العربي، بيروت - حلب، 1997، ص 76.

2 - ينظر

Eam Gung Gadamir: *Vital et Météorite*, ed. La Sout. 1996, p. 96.

## ثالثاً - آخرها في إنتاج المعرفة

إن إسهام الترجمة في إنتاج المعرفة جزء لا يتجزأ من الإسهامات العلمية الأخرى والاشتراك فيها في الموضوع المتناول، والزيادة من شمولية لمعرفة العلمية العالمية، فكيف يمكن طرح العلاقة بين الترجمة والمبررات المعرفية للحاجة؟ ثم كيف يؤثر الترجمة في سمات النص الهدف؟ وكيف تسهم في تجديد فكر الذات؟

نقد الإجابة الكلاسيكية الشافعية، عن هذه الأسئلة تكمن في رسم الهدف بوصفه أحد أبعاد الخصائص والخصروط الضرورية للإسهام الفعلي في تطور معرفة الذات ويستدعي هذا انتقاء في عملية اختيار النص المصدر وفق طموحات المترجم النبيلة التي تعكس بدورها على ثقافته بالإيجاب، وليس من منظور إجراءات استتساخ النص المصدر حرفياً بلغة نص الهدف.

ولعل في إعادة إنتاج النص الهدف من النص المصدر ما يمكن قدرته المترجم على استنهاض الفكرة المراد توصيلها إلى المتلقي التي تضاهي الفكرة التي انتقلت منها النص المصدر، وهذا ما يجعل الترجمة في معنى الإنعاش، والبناء، والتجديد. وذلك بفضل نقل العلوم التي من شأنها أن تسهم في ربح الثقة في المترجم، وبك روح المبادرة في اتخاذ موقف ما، بتلازم وطائفته الثقافية المحلية لدفع حركة الإبداع؛ ولذا فإن المطلوب هو دعمال الجهد في عمل يساهم في نهضة العلوم جميعاً، فإن الذي سراه هذا الضموم، هو أن الترجمة مشروع متكامل أولاً، وحسنة عمل ثانياً، وتزامن مع إنتاج العلم والمعرفة ثالثاً، ولتفتح على الآخر وتفاعله معه روحاً وثقافة رابحاً وأنها إن لم تكن كذلك فلن تؤدي الفروض المطلوب منها حتى الآراء<sup>(1)</sup> ومن هذا المنطلق أيضاً، فإن الترجمة لا تعني قيام نظرية

1 - صدر منشور: الترجمة لغة متعددة ضمن كتاب الترجمة وتفاعل الثقافات، حقة بحثية، ص 2000

معربية تكون بنيلة لجميع المعارف ولأنها يعني الإقلادة من ولقح دراسات النظريات المعرفية، وما وصلت إليه في مجال التميز والإضافة لتأكيد صلاحية المعرفة المقدمة.

إن حرصنا الشديد على تبني إسهام الترجمة في بناء المعرفة، وفق سياق تطور المعرفة العلمية وما يورثها بها، يستمد على القدرة المتينة في الرغبة في احتواء الموسوعية العلمية. وقد يكون من البواعث المحفزة على ربط الصلة الوثيمة بين مباحث الترجمة ومباحث المعرفة هو بناء صرح واقعية للمعرفة الفكرية الكسبية من الآخر، والتي تعتبر إضافة ضرورية لنتاج الذات، بفضل إسهام الترجمة في إضاءة وتمييز ما نقص، ويتضح هذا من أن الترجمة ليست مجرد نشاط لغوي بل هي فعل ثقافي يقوم على إعادة تكوين الثقافة الإنسانية وإعادة إنتاجها على نحو واعي. إنها ليست حرفة إدارية طعسية، وإنما هي موقف مصري للعقل يدمجها ببدأ معرفياً لا ينفصل عن بعدها الإجمالي، أو بعدها النقدي، فالترجمة بما هي إنتاج معرفة متعددة النسخ، هي نقد بالضرورة إذ النقد هو المهيكل إلى إنتاج المعرفة، وهكذا يكون الهمد الممرط متصلاً بثقافة تضمن الاختيار، لأنها تلتف على مكونات النصوص الأجنبية وعلى مرجعياتها، فنتمكن من الحكم على قابلية هذه النصوص للإفادة منها، وتقييم مصيبتها في إقامة فرضية التفاعل الإيجابي بين الأنا والآخر (3).

ولقد طرحت الترجمة، وبصورة أكثر جديّة، مساندتها إلى نمو المعرفة، ورأى ضوابط التفكير السليم للتطبيقات القومية. ومن ثم أصبحت مورد استمداد واعتقاد. ولذلك تلقى الترجمة في لفترة الأخيرة وواجباً أوسع، حتى أنه، تكاد تكون الاتجاه الغالب، ومتطلباً، جنهياً لتقدم استدلالات تافهتها من حيث كونها قيمة في نمو العلوم، وعظمة لها، وبهذا يتضح الأثر المهيمن في السمات المعرفية.

1 - 5 أرواح: نسخة الترجمة في الثقافة الموهبة، مجلة الآداب، 6/8، ص 87

ومن نافلة القول إن طبيعة الترجمة لا وطبيعتها أصبحت عكس جيداً أن كل عمل مترجم هو مجرد جهد إضافات جديدة على ما فيه *Extra Pound* عندما دافع عن ترجمة *Homage to Sextus Propertius* فقال: المصير مهمتي في إحياء رجل ميت أي في تقديم شخصية ميت وذلك من خلال تشبيهه (عادة إنسان ميت مرة أخرى إلى الحياة) وفي هذا تركيز على النص الهدف الذي يحدد بقراءة من لغة أخرى لنص لشاعر مثلاً - ميت في لغة النص المصدر، وفي هذا يتوافق رأي «باوند» *Pound* حول مهمة المترجم مع وجهة نظر [والتر بنجامين] *Walter Benjamin* الذي يستخدم أحياناً تشبيه المترجم بالحياة بعد الموت، وذلك في مقدمته الشهيرة لترجمة الألمانية لكتاب بودلير [صور في حياة البارون سيبيس 1928]. ولقد اكتشف من جديد منظور الترجمة في اللسانيات مثال بنجامين وأصبح واحداً من أهم النصوص عن نظرية ترجمة ما بعد الحداثة (2).

والى مثل هذا الأسلوب تكون السعة البارزة للترجمة في دفع المعرفة إلى الأمام، هي إظهار النص المصدر وإحياءه بحيث يولد منه موجود آخر في لغة النص الهدف ويؤثر في دوافع الثقافة القومية، ويحدد خصائصها، وغالباً ما يكون المترجم وسيلة مهمة توظف لتؤدي دور إحياء نص ما في لغة الهدف إلى لغة المصدر، من منظور قصدي معين ينطلق بالمترجم، أو بالمؤسسة الثقافية أو العلمية التي تنسب إلى مصلحة المترجم، سواء أكان هذا التعبير نابهاً من إرادة النص/الأصل عندما يتكلم المترجم في انتقاله، وتكون فيه ميزة التأثير نابعة لإرادة المترجم، أو أن يكون التعبير نابهاً من الترجمة منطبعة/المنجذبة والتي تتحقق بأشكال مختلفة، وتكون مصارفة لحاجة الثقافة القومية، ويصحب مقتضى طبيعتها ومطابقتها للواقع البشري، وفي كلتا الحالتين المترجم بالتصدد، والمترجم بالخصاء في تأني الترجمة مصفوفة للهيومن هذه الثقافة القومية، ولتجلب من خلالها

2 ينظر: موراي جاسنيتا من الأدب لقانون إلى دوليت الترجمة ص 80.

معيّرات فكلّية المعرفة بما تتلائم مع المناهج لأن حاجة هذه الفئات متنوّعة  
 باحتياجاتها وسنّال أنمو بالنتيجة المطلوبة من الاتصال بالآخر، ونرى يكون  
 ذلك إلا عبر حصر الترجمة التي تشكّل المورد الداعم لتطور العلوم والمعارف  
 في الثقافة الوطنية

وهكذا كلما كانت النتيجة للحصيلة من النصّ المصنوع، وكلما عمت  
 لتأدية، وكلما كان هذا الحصول ناجزاً، وتاماً، كلما اقت للترجمة أسمى ما  
 يتّهدف من خصائص وظرفية، وإذا كانت الترجمة جزءاً من العمل العلمي  
 لأنها وسيلته بين العلوم، وجزءاً من المشروع الحضاري لأنها وسيلته بين  
 حضاراته، فمن التديهي أن نقول إن الترجمة لا تزدهر إلا من خلال عمل  
 علمي يقوم من ورائه مشروع حضاري<sup>(1)</sup> ولربما يظنّ عالمنا العربي من  
 أكثر دول العالم شعماً في مجال تمويل الترجمة هذا المنظور؛ الأمر الذي  
 أبعد البحث العلمي في الجامعات العربية عن الإنجاز والإبداع، ومواقفة  
 العلوم، لصعوبة المسألة في العالم المتطور، وعلى هذا التعمق يفترض أن  
 تكون للثقافة القومية - المستهدفة - أكثر حرصاً على الإفادة من اللغات  
 العالمية حتى نهمل منها أكثر تقليداً، وانفتاحاً، ومرونة، وفي مستوى ما  
 تروجه من سمات متعلّقة من الآخر.

وهذا، إذا أردنا أن نتكلّم من أول المواقف التي تطف سداً منها أمام  
 الترجمة [إلا ثقافتنا] فيمكننا أن نقول: إن الأمة التي دمّرت مكوّناتها  
 الحضارية لا تستطيع أن تتجزّ علمياً، ولا ترجمة تكوين وسيطاً بين العلوم  
 والحضارات، وإنه ليقال أيضاً: إن الإحصائيات بالدولية يعود للأمم التي  
 تتخلّف عن ركب الحضارة، وإن هذا الإحساس لهم حتى يصيب خطتها لها  
 وإذا ذلك تصاب الأمة بالإحباط وتجهّض مشاريعها العلمية<sup>(2)</sup>.

1 - صدر كتاب: الترجمة لغة متعلّقة ضمن كتاب الترجمة وتفاعل الثقافات، حلة  
 بحلب، ص 1001.  
 2 - المرجع السابق، ص 1000.

يى توسل لتبدأ القومية باللغة المصدر لا يمكن أن يتم من دون تحطيم حاجز الاعتزاز بالذات لأن ظاهرة الاعتزاز بالذات تؤدي إلى إقصاء الآخر وتضييقه، وبذلك تقييد لنقل التجارب المتنوعة المستمدة من تشييد جهاز الترجمة في إجراءاتها الوظيفية والتي من شأنها أن تصبغ إلى الأمة القومية لغة مما توصلت إليه اللغة المنقول منها بصورة انتقائية، وبما يخدم مصالح الذات في جميع مراميها الفكرية والثقافية لاخرق حواجز التقطيع العرقية، والترجمة هنا للمنى وسيلة لوعي الفارق بين الثقافات والإثاء التفاضل. فهي تعني التماثل الإحصائي المتبادل بين الثقافات والاعتراف باختلافها، يقضي الإثاء إلى الاستعلاء والفرقة المركبة،<sup>(1)</sup>

وليس بالضرورة أن تكون الترجمة «هو أنا» أو «لنا أنت»، أو بتحويل الآخر بوصفه في صورة الذات أو ليس الذات لئلا الآخر، ولما الترجمة التي نقصدنا، والمناقشة مع طموحات ربحاها، هي تلك العلاقة التي تجمع بين هذين الضميرين في مستوى تفصيل التبادل في الممارس، والتي نجعلها علاقة دياكتيكية، تكون فيها صورة التكامل القومي ممكنة، وبذلك مثل هذه الحال تؤدي الترجمة في نظر إدوار ريكور إلى توسيع أفق اللغة الخاصة، بل إلى اكتشاف تلك اللغة نفسها، لأن للمعلومات الواردة عبر جسر الترجمة غالباً ما تأخذ طابع الصور والإدابة في نتاج المعرفة المحلية، لذلك من الصعب الأساس للمترجم إكسا يرى بنهاية من هو أن يحافظ على الوضع الذي يجد عليه لغة بدلاً من أن يسمح للغة أن تتأثر بشدة باللغة الأجنبية، فهذه هي عليه أن يوسع يعمق لغة على طريق اللغة للأجنبية،<sup>(2)</sup> لذا علينا ألا ننظر إلى الترجمة على أنها مسألة لكافة مؤثرات القوي، بل أن نكسر إليها بوصفها مهمة في عملية الكشف والإبداع والنمو

1 - رشيد برهون، درجة القوي في الترجمة، ص 33.

2 - منى إبراهيم، الخفي شديد الظهور - قراءة ما بعد كولوزوا في الترجمة (كمال أبو ميهب) لا مستشرق إدوارد سعيد، الترجمة وتفاعل الثقافات - مجلة بشرة - ص 2002

وكما لفتى توليّا شفاقة الآخر من خلال بلورة هذا التراث في التمايق الذي يحتاج إليه الفريه والإقلدة منه بصورة تسمى قدراتهم الإبداعية. كذلك الشأن بالتعبية إلى تقاعنا - اليوم - مع لغات الآخر التي من شأنها أن تدعم حركتنا الفكرية من خلال إتقان مهارة الترجمة، وتسخيرها بما ينماشى وعلومنا الوطنية.

وأمام الإسهام الوطني لدور الترجمة في التطور العلمي وإنتاج المعرفة تكمن المروجة الخلافة لنطق حركة الإبداع من المنظور العقلاني. ويتماثل تأثيرها عندما تستجيب طواعية لمستجدات التغيرات الحاصلة في تكنولوجيا الاتصالات التي من شأنها أن تدعم:

- الرقبة الاستقرائية.
- الرقبة للاستنتاجية / الاستقراطية.
- القدرة على التحليل.
- تعزيز المهول للمرفقة.
- الرغبة في الاطلاع على الوائي الآخر، واستثمار قدراته بندايع تكوين الذات، وتحديد عال الفآخر.
- الحاجة إلى تطوير مآرب واللغة الهدف، والدفع بمسبل إمكان التقدم العلمي.

ومن البين أن في مثل هذا الأسلوب وعلى هذا النحو، تضيف الترجمة إلى لغات الوطنية مكتسبات منهجية، وعلومنا، فسطرا بمس البدلات، والتحولت، على وظيفة هذه اللغة بما ينسجم مع متطلبات العصر. وهذا دأب كل لغة تسعى إلى أن تولكب التطور الحضاري. وفي صوء الاعتراف بدور الترجمة في تطور النظريات للمرفقة الحديثة القومية، أو الوطنية، فإنه يتمين علينا أن نتدارك الوضع وإعطاء الأهمية لكافة لترجمة في واقعنا، فقد أمكن الآن طرح جميع أنواع الأسئلة التي



كانت تبدو مبادئ غير ذات أهمية: لماذا تقوم بعض الثقافات بالترجمة أكثر وببعضها أقل؟ وما نوع النصوص التي تُترجم؟ وما هي مكائده تلك النصوص في نظام لغة الهدف؟ وكيف تُدارن مكانة النصوص في نظام لغة المصدر؟ وماذا يعرف عن تقليد الترجمة ومبادئها في لقطات معينة؟ وكيف تقوم لترجمة كقوة مبرمجة؟ وما هي العلاقات في التاريخ الأدبي بين نشاط الترجمة المكثف وإنتاج النصوص التي تُعد جزءاً من الأدب المعرفه به؟ وما هو تصور المترجمين لأعمالهم؟ وكيف يتم التعبير عن تلك الأمور مجازاً؟ إن هذه الأسئلة وتساؤلات أخرى لا تُعصى تشهد بتدماً عظيماً في فهم الترجمة [كقوله] أكثر من نشاط ثانوي ومماشي بل استطاعت الترجمة أن تصبح قوة أولوية مؤثرة ضمن التاريخ الأدبي<sup>(1)</sup>.

والواقع أن ما تمكسه هذه الأسئلة بشكل المقوم الأساس لفعل الترجمة في جبرائها التواصلية والذي يقتض من فعل التلقي موضوعاً مستهد، له للبحث وتكشفه بخاصة ونحن في عصر كُنُفَتْ فيه الترجمة من خدائل التواصل (الرؤي) أن الناس يجهلون بعضهم، وأن التواصل الثقافي المعرفي يكاد ينحصر في الأعمال المكتوبة، والحسابات معينة، ولظروف معينة، وهو ما يعارض مع طموح شمولية هذه المعرفة.

والترجمة وحدها هي التي تمدنا بربط التواصل الحضاري، وتعمل ثقافة هذه الأمة عن تلك وتطور هذه المعرفة عن الأنسوية كل ذلك بفضل شيوخ الترجمة التواصلية، كونه شوطاً أساساً، وهذا مما عُدَّ لكل إبداع، أو فعلاً مما عُدَّ لكل من يقوم شروبه التعميل المعرفي للميز عن الفكر التعملي في تكوينه الحضاري.

ومن هذا المنظور لا يمكن تصور الشطوط مبدعاً، لو ضلنا على الإبداع، إلا بعد الفهم بما توصل إليه البحث العلمي، والنتيجة التي سهر ما توصل إليه العقل البشري في مجال تخصصه، وتعميد مسئلة المظهر، والغاية التي وصل إليها، كل ذلك يفرض انتشخهم والانطلاق من حيث انتهى الآخر، لتأكيد النتائج.

1 - سوزني، ياسين، من الأدب القارئ إلى دراسات الترجمة، ص 82.

## **الفصل الرابع**

### **أوجه التقى في ترجمة ألف ليلة وليلة**

المبحث الأول، مصادر ألف ليلة وليلة .

المبحث الثاني، الاستجابة وجدانية الاحتواء / الوقوع في دائرة النص

المبحث الثالث، المكان والكلمة في ترجمة ألف ليلة وليلة .

## المبحث الأول

### مصادر ألف ليلة وليلة

#### أولاً - آراء العرب

لا أحد ينكر أن للقرآن أهميّة متعديّة يومئذ نتاجاً حضارياً شاملاً، يمثل أمة ما، وتفاعلها مع الأمم الأخرى. وليس بمقدور أمة حضارة أن تدع لمفاهيمها المتطورة مصيصة محببة لمعطياتها الثقافية. بل على العكس من ذلك فإن العمل على تحقيق الذات لا يمنع إلا من خلال تفاعلها مع الآخر، والإبداع يستمد رعاته من تفاعلته مع الآخر، وهكذا تكون العلاقات المتغيرة والحضارة متوالية بين الأخد والمعطاء. وبالمقابل فإن التركيز على الذات من شأنه أن يُضعف ثقافتها، ويقلل من قدرة الخلط والابتكار. اعتقاداً منا أن الحضارة إجراء تراصلي بين الأمم، والابتعاد عن ظاهرة هذا التواصل الحضاري يجعل من الثقافة المحلّة حبسة الاجترار. ومن هنا فلا بد من أن تتطور أمة حضارة إلا بالانفتاح مع غيرها، والإفادة منها، بما لا يبعد الثقافة الهدف من مبادئها وأصولها.

ولذا كان للعمل الإجمالي جزءاً مهماً من ثراث هذه الحضارة أو تلك! فلأن هذا الإبداع - على مرّ المصنوع، وتنامي العمل الحضاري - يمثل يدراك الدت في كتابها، وإبراز هويتها بما ترفق به تميّزها، ولعل هذا ما يظهر حيناً بأن عصر ازدهار ثقافتنا العربية الإسلامية التي كانت على اطلاع واسع بثقافة الآخر، وأنها تمكنت من القفزة والتصنع بما جعلها تستجيب لثقافة الآخر دون التقليل من شأن إدراك مبررات الذات؛ لذلك أدت لحضارة العربية الإسلامية في فهم الآخر، وجعلت في احتواء الفعل الحضاري من ثقافة الأمم خاصة ما كان يمثل الجانب الفكري والأدبي.

ضمن هذا التناول، تبرز علاقة الشعوب بثرائها، وخاصة الأسطوري والفلكتوري، وكل ما يمت بصلة إلى الأدب الشعبي الذي يمثل معرفة الأمم

يتقاربهما ومعتقداتها الحضارية تتناقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى آخر خاصة إذا كان يحكمُ النقول من هذه الأمم البحار العمودي الشموي الذي عرفته جميع الشعوب والحضارات بناء على استجابات معينة امتدعتها حاجاتهم الاجتماعية ومن ثم فلا عجب أن تمثل الثقافة الشعبية دوماً حليماً في تعلمي اللغات، المادية والاجتماعية بين الأمم والشعوب التي عرّزت مكانة الأدب الشعبي في ثقافتها، وهذا ما تؤكدُه الحضارات القديمة مثل: الحضارة البابلية، والهندية، والمارسية، وحضارة ولدي الرافدين (المراقي) ولدي النيل، إلى غير ذلك من الحضارات التي حرصت على استمرارية ثقافتها الشعبية ولمقت على تدوينها بين الناس، بقصد أن تدرس في نفوس الأجيال اللاحقة حتى لا تصبح عرضة لمراحل التفسير المختلفة؛ لذلك فإن ما «وصفنا من التراث الفلكلوري والأسطوري» لم يكن نهواً، ولا كان وليد خيال عابث، بل كان ضرورة من الضرورات البشرية، ولا تقتصر ضرورة فرضها الخيال، بل ضرورة حتمها الواقع. فالفلكلور والأسطورة واقع بشري، بعكس مواقف وتجاهل بشرية بشرية خاصة<sup>(1)</sup>.

ولقد كان للأدب الميثولوجي والتخويفي، لو ما يطلق عليه في الدراسات الغربية ديانا، استلهامه عالمه المصري، يمدخل المثقفي في عالم الأكوام المتعددة والمعيش في الماورائيات، والتراث المصري نصيب من هذا الجنس الذي يضرب بجذوره إلى عمق حضارتنا، كما كانت الأسطورة أولى تجليات الإنسان على الأرض، وهي التي مهتت لتطوره ورفي إحساسه بالحياة، فالتجسس المن، والتبثت الرغبات مغيرة من تماس الكاش الكون غير بصور لغة.

ولا شك في أن تراثنا يحمل من التعميم ما يجعل الخيال المصري أدر على احتراق المؤلف على عكس ما صرح به لويس رينان حين ربط

1 - ح. ج. ج. - الشعبية والجسد، اتحاد الكتاب العرب، 1968، ص 222.

الذهنية الصامية بالتدخل، بكل ما هو حملي مباشر، مدعياً قصور عقل الصاميين، ومتهم العربيه كما ضلَّ سمُّه كل من تبعه في ذلك، على نحو زلة أبي القاسم الشابي في سقطته التي زاع بها عن طريق الصواب في وصفه الخيال للشعري عند العربيه بالقاصر. ومن الإجتهاد أن سهم التراث العربي، تحديداً، بمغالب تتضمن قصوره الخيالي، وعباب الحمى القصصي ليكره. ولعل أقل ما يقال عن مثل هذه المواقف أنها تُجِنُّ على التراث الذي تظهر ملائحته وتمثُّته على تلول المسود التاريخي، سواء ما تعلّق منه بسرد الواقع التاريخي، أو المورد المخرق حطوط للمقول، كما جاء - مثلاً - في رسالة النضران، وكقوله وجعته، وألف ليلة وليلة، أو ما جاء في تصوير الواقع والتعاضد بالأسطوري كما ورد في «طبقات الأديباء» لابن الخلقين<sup>(1)</sup>، أو «طبقات الخواص» للخرجي الزبيدي<sup>(2)</sup> أو «هجرة الأسرار» ومعدن الأنوار للشتوني<sup>(3)</sup>، أو «جامع كرامات الأديباء» للنبهاني<sup>(4)</sup>، أو «دعشة الأديب» ونخبة الإصحاب لأبي حامد المرصطي الفيسمي الأندلسي<sup>(5)</sup>.

وبإثاق العربي زاخر بفن المجازي والخوارفي، وبعد عجزنا ثقافياً لنسألهم منه فوهة التفكير، ونطلع فيه على ثمد مصادر؛ مما يجعل هذا التراث مفتوحاً على المدهد من الأمثلة الكونية نظراً إلى دمج الواقع بالخيال / الكوارز بالمحتمل / الحقيقي بالفرائني / الخرابي بالأسطوري.

- 1 - ابن الخطير سراج الدين أبو حمص حمير بن علي بن أحمد المصري [توفي 804 هـ]، طبقات الأولى، مكتبة الخزانجي القاهرة، 1393 هـ.
- 2 - أحمد بن محمد بن عبد القوف الخرجي الزبيدي [توفي 499 هـ / 1106]؛ طبقات الخواص (أهل الصدق والإخلاص)، مطبعة الكلياتي.
- 3 - نور الدين أبو الحسن علي بن يوسف الششتوني [توفي عام 613 هـ / 1216م]؛ هجرة الأسرار ومعدن الأنوار، تحقيق محمد حسين مصطفى، دار الفلم العربي، بيروت، 2009.
- 4 - القاضي الشيخ يوسف إسماعيل القزويني [توفي 1399 هـ]؛ جامع كرامات الأديباء، ضبطه وصنعه الشرح عبد الوهاب محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 5 - أبو حامد الفيسمي [توفي 395 هـ - 1280]؛ دعشة الأديب، ونخبة الإصحاب، مطبع مطهر قاسم رحمه المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

إضافة إلى صيغ السرد في منعتها اللغوية. في مثل السرد من صورها المعنوية إلى صورة لغوية سواء على مستوى الأشكال والتقنيات أو على مستوى عمق الرقيا من حيث التضامين والتأويلات. أضف إلى ذلك أن الإنسان في مرحلته البدائية يغطي دائماً تصورات للكون بحسب معتقداته الخرافية، واستجابة لحاجتها المرهقة الطمعية، وإجابة عن أسئلة الكون التي تدورده باستمرار، ومن ثم لم يجد ما يشفي غليله فهلجأ إلى قواه المبدية عنها تخفف عن هولجسه وواعده اللهي من هنا كان لابد أن يشبع هذا السقم في تصورات الخرافة بوضع مثل هذا التصور العراني المعنوي ولكل ما هو مذهبي.

ولا شك في أن ألف ليلة وليلة كانت إحدى صور ذلك الانجساس فهي تعد من أخصب الفنون الأدبية التي حفظت لنا تاريخاً كاملاً من الدراسات المعنوية التي تمكس وجوداً استثنائياً من تنوع العلاقات الاجتماعية والسلوكيات الفردية. وقد أضفت إلى الوجود الرمزي للإنسان بعداً مهيئاً في جمالية العلم والعمل بوصفها مخزن الذاكرة الأبدية. وتجمع الدراسات المتكاملة بألف ليلة وليلة أن لها مكانة خاصة في الآداب العالمية، وبخاصة الفنانين الذين جادت قريحتهم بمناجها في أعمالهم التي أعجب بها الملقون. وأن قصصهما المبهمة من روائع هذه الآداب لم يفلأ أبداً، من كون هذا المنجز الخرافي استطاع أن يحظى بالخلود، حيث تناقلته الأجيال من عصر إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل حتى أصبح من ألقاب العلماء والأدباء والمصورين من الفنانين التشكيليين والموسيقين، كل يستقي ويمرر منها بطريقته، وما أمكنه استجابه لجاذبيتها، وسحرها الفياض.

وما زالت ألف ليلة وليلة إلى يومنا هذا تشغل بال الباحثين والفنانين والمفكرين. وقد احتفلت مؤخراً باريس في 25/05/2004، ومدة أسبوع بمرور ثلاثمائة [300] سنة على ترجمة هذه القالي إلى الفرنسية التي قدم بها المستشرق أنطوان غالان.

ومع كل ذلك، ليس غريباً أن يشير هذا التراث السوردي في غزالييه،  
مؤثر الانتماء والتأليف بوصفه تراثاً شفهياً منقولاً بشكل في جوهره  
سبجاً متنوعاً، ومنجماً من التصورات والمواقف والقيم.

في هذا الشأن، فإن لفهم المصادر التاريخية للمعرفة تتقدم إلى  
لتعرف إلى هذا التراث بموضوعية، هو ما رواه ابن التميمي في «المهرست»  
قائلاً: «أول من صنف الخرافات وجعل لها كتاباً، وأودعها الخزائن، وجعل  
يجمع ذلك على أسس اليهودية القروس الأولى، ثم أغرق في ذلك ملوك  
الإغصانية، وهم الملوك الثلاثة من ملوك العرب، ثم زاد ذلك وقصص في أهم  
ملوك السامانية، ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحى،  
والبلقاء، فهدبوه ونقصوه، وصنفوا في معناه ما يشبهه، فأول كتاب هم في  
هذا المعنى، كتاب هزلي لفسانه، وعنه ألف خرافة، وكان السبب في ذلك أن  
ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة ويات منها ليلة ظلمها من القدر، فتزوج  
بجارية من أولاد الملوك، فمن لها عطل ودرابة، يقال لها شهرزاد، فلما  
حملت منه ابتدأت تخبره، وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحصل  
ذلك على استيفائها، وبما لها في الليلة الثانية عن تمام الحديث، إلى أن  
أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يملؤها، إلى أن رزقت منه ولداً أظهرته،  
وأولفته على حملها عليه فاستمطها ومال إليها واستبقاها»<sup>(1)</sup> يشير هذا  
النص إلى أسبقية القروس في تدوين هذا النوع القصصي، ويظهر العرب  
بفنون الصنعة في معناه ما يشبهه التي تتجاوز مجرد النقل، وإنما يرى  
المصنف في مروج الذهب أن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة،  
نظمها من تقرب للملوك بروايتها، ومال على أمل عصره بخلقها  
والذاكرة لها، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من  
الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزلي  
الفسافة وتفسير ذلك من التاريخية إلى العربية ألفه خرافة، والخرافة

1 - ابن التميمي: «المهرست» دار الفسطة - لبنان - 1978، ص 222.

بالفارسية يقال لها الضائقة. والناس يسمون هذا الكتاب مالف كيلة وليلة وهو حبر الملك والوزير وليلته وجارياتها وهما شيرازد وديتازد، ومثل كتاب البرزة وسبحاس وما شبه من أخبار ملوك الهند والوزراء ومثل كتاب المسدبات وغيرها من الكتب في هذا المعنى<sup>(1)</sup>.

إن معنى المسمودي يؤكد حقيقة واحدة وهي: أن الحضارات تتورث دحيلة، تتألفها العرب عن الهنود والفرس والروم.

والواقع أن المسمودي وبين التعميم يملح إلى فكرة تقدم العرب في النقل والترجمة بوصفهما حركتين مكممتين من الثقافة العربية، كذلك تتضمن هذه الفكرة شطف العرب بالتدقيق عن طريق إشباع الخيال.

وليس غريباً - في مثل هذه الحال - أن يربط القدامى نص البالي بالحكايات الخرافية على النحو الذي فعله المسمودي بوصفها أخباراً موضوعة، وأبو حيان التوحيدي الذي اعتبرها خسرأً دمن ضروب الخرافات<sup>(2)</sup>، وكذا ابن القيم.

وإذا كان هذا موقف ناحية من مصادر التراث الثقافي فإن مصدر التراث الديني لم ينج من استعباده من عدم إكترائهم، وقله اهتمامهم بالتصوُّص السردية بوجه عام كما هو الشأن عند ابن القيم الجوزي، والخرائفي، الذين صنفاً مثل هذه التصوُّص في خاتمة الحكايات الخرافية لأنها تتعارض مع الضمور الديني والحصن الروحي لذلك اعتبرها الفقهاء والمواعظ بأنها عتيان، أي أنها تسهم في الاضطراب العقلي، بالإضافة إلى كونها غريبة بديهة وفي حجب - مثل - هذه المواقف كل نص ألف ليلة وليلة مصناً هامشياً - في نظر القدامى بقامة - يستند على التسلية ليس إلا، وبصلاً غير مرغوب فيه من قبل الخاصة، عكبة للثقافة وخوار الفكر.

1 - المسمودي: مرجع الذهب ومطالع الجواهر، دار الأندلس، بيروت، 1979، الجزء 2، ص 261.  
2 - الترمذي: الإمتاع والمؤانسة، شرح السيد أحمد وسعد الدين، بيروت، ج 1، ص 25.



أما السبقية التأليف فمسألة يلحقها التوضيح، فلذا استثنيتنا [مروج الذهب والنفوس] فلما نجد طرْحاً مغايراً في موسوعة الفولكلور يتطلع إلى تصور مختلف لألف ليلة وليلة من حيث كونها تراثاً شيعياً أسهم العرب في إبداعه وترويضه، هناك فيلة وفيلة ذاتها، ماهي سوى مجموعة نهائية للحكايات العربية في الجزيرة العربية ولذا مصر، والشام، والرافدين، بالإضافة إلى أن معظم المستشرقين الذين تعرضوا بالنقل والترجمة لألف ليلة وغيرها، قد استعانوا برواة الحكايات العربية ذاتهم وعظمت مصونها، حتى جلال بن عبد الله كان يجمع حكاياته من راوي مصري - مصري - بعض حكايات الماروني، وضمتها لخطوطه الرابع المتخذ من نص الديبالي الذي اعتمد عليه، ويرجع لروايته إلى القرن الرابع عشر الميلادي، أي منذ خمسة قرون<sup>(1)</sup>.

ورغم الإشارات الكثيرة التي نرجع نسبها إلى الحضارة الفارسية، إلا أنها تشر تراثاً عربياً تجمعت فيه ثقافات متقاربة منذ العصر العباسي الأول الذي شهد ازدهاراً فاضحاً تجلت فيه ثقافة الأمم الأخرى في مرآة الثقافة العربية.

ويذكر ابن النديم أن الوزير العباسي عبد الله بن عبدوس النهشيري صاحب كتاب الجزاء والكتابة هو من باهر بتسجيل ألف ليلة وأيلة من طريق الرواية الشفوية من السمار والرواة، إلا أنه لم يستطع أن يجمع أكثر من 440 ليلة فقط، ولعل في هذا دلالة على أنها من وضع مؤلف عربي على عكس ما نورد في الترمذ.

ولجميع آراء الدارسين العرب على أن ألف ليلة وليلة مجموعة قصص واحدة، تجمعت في نص عربي تكون له ذرات أصلها بين فارس، والهند، وبلاد، ومصر، ولذا كانت خامسة الأدب العالمي تكس في انتماؤه إلى حياة

1 - شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، دار المعرفة بيروت، 1402  
1982 ص 21

الشرائع الاجتماعية الشعبية في معاييرها الإثنولوجية Ethnologic وإذا كان الأمر كذلك فإنه من الصعوبة يمكن، إن لم يكن من المستحيل، معرفة مؤلف النهائي، ولا متى هيئت بالتحديد. ومن ثم فإن دراسة الباحثين في استعمال الوسائل المرضية المتطورة كغاية بتحقيق هذا المسمى لاحقاً، وفي انتظار ذلك تبقى الاجتهادات قائمة على التخمينات الافتراضية لا غير. وإضافة إلى ذلك تبقى صلة النهائي مرتبطة بالحضارة العربية الإسلامية، وأنها كانت متداولة في دولة الخلافة منذ المعمر الميمامي الأول، وهو ما ذكره المسمودي، ولهم التذم.

وإذا كان الأمر كذلك فإننا نرجح - شأن كثير من الباحثين - أن تكون الف ليلة وليلة من صمم مغيلة الشعوب الشرقية/الآسيوية [هندية، فارسية، عربية] في محتواها بعد أن تظهر جذوراً في طريقة سرد هذا المحتوى حين تداوله الذوق العربي بحسه المرضي وجموعها هي شغوف بنسجها الشعبي، وأساليبها الهندية القريبة بأسلوب الفؤاد، ثم راح الحكاؤون من بعد هذا الموضع يضيفون إليها حين أسربت ظواهرهم، حتى أصبحت نصاً من جمع المؤلفين بمبادئ سردها، وهو ما يصعب على أي قارئ وضع ناسج لها تحديداً. هذا أن يكون من مضللات الشعوب الشرقية/الآسيوية، تالفتها الأجيال المتعاقبة، بعد أن سبكت بأحسن صياغة في قالبها العربي النهائي في العهد الميمامي.

وأمل ما يبرهن على وضع الف ليلة وليلة النهائي في القالب العربي وسبب تأليفها المكتمل من المغيلة العربية، بعد استشار ما جاء في لافل أخبار الشعوب الأخرى، هو أن طريقة سردها تختلف عن طريقة سرد حكايات الهند مثلاً، كما في بقية الشعوب الأخرى. فإذا كان السرد في النهائي يسير على هذا النهج:

• فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

• فقالت لها أختها: يا أختي ما أحلى حديثك وأعذبه وقطربه وأدم.

• فقلت: وأين هذا مما أحتكم به الليلة للقبلة إن عشت وأجتاني لذلك.

• فقال الملك: «لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيب».

ثم باتوا تلك الليلة إلى الصياح، فلما أقبل الليل

• قالت دنيا زاد: «يا أختي اتقي لنا حديثك».

• فلالت حياً وكرامة... ثم تنضح في سرد الحكاية البعيدة..

هكذا كان السرد كذلك في الليالي، حين طرأ السرد الهندي تهيج  
لهجاً مقدبراً، يعتمد الحوار المتبادل بين الشخصيات على هذا النحو مثلاً

• يجدر بك أن تعمل كذا حتى لا تقع طرماً وقع فيه فلان...

• وملا، وقع له...

• قيل إنه تصرف...

• وكيف السبيل إذا..

• عليك أن...

ثم يتدخل الذي يقوم بنقل الحكاية بفرض الكشف عن عالم حكايته.

فهنا يكون السرد هذا موضوعاً من قبل المصادر الذي من شأنه أن  
يكون مطلقاً على كل شيء في الحكاية الهندية، يكرن السرد في الليالي ذاتها  
تعدد رفاته من قبل المتلقي.

أنت إلى ذلك أن الفرق بين الحوار في الليالي والحوار في القصص  
المعشائية الأخرى هو أن حوار الليالي حوار ممتد، قائم على الإجابة من  
تفصيلاً، ترويضاً، وما مجيء حوار الشخصيات التامية إلا نكاً، وزيادة  
للمس الأساس. وهنا في الحكايات الأخرى قلتم على تبادل الآراء.

ولذا، أضفنا إلى ذلك أن السرد في ألف ليلة وليلة يهول إلى الترسيع  
في مرض الفعل القصصي بالحكايات المحملة بالقوليات، فإن القصص



السحر، والرقية، والتعش، والفلسفة، والحب... وتناول أحبار اللاس والجن، والطير والحيوانات، واليطار والبرور، كما تناولت عجائب الكور المرصودة، وغرائب المخلوقات الفريدة، في عالم سحري تختلف فيه كل الأشكال والألوان لتأليف منها ولتفريب. كما تناولت النهائي هذا العالم في منسبه، مليه بالمتناقضات في جميع مراسيه الخارقة، ومجمل الموضوعات التي تملكت العقول واستهوت القلوب. ويقدر ما تشير بعض الانطباعات إلى: نهاية الكتاب الذي اشترك في صنع سروره الأخيرة عدة من شعوب الأرض، يدل على الخصوصية العربية في بناء القصص، والحكاية الخرافية بالتحديد. وتنتهي لنا هذه الخصوصية أولاً في حسن صيغة ما ينسب إلى الشعوب الأخرى من خرافات، حتى لتصبح عندهم كما لو كانت من إبداعهم، كما تقول: - ثانياً - في دقة تصوير حياتهم الخاصة في القصور والحصان، وفي مجالس العلم، ومجالس اللهو، وبين الملوك والديها، ومع انفرسان والخطار، منه تحدث عنها السعودي وإلى عصر هاتان ولين وهتمان، وأخيراً تتجلى في إحكام الصلة بين أساليب التفكير والعلم<sup>(1)</sup>.

إن المهم في تراث موغل في القدم لا ينتهي، - حقاً - إلى نتائج نهائية ومؤكدة بل قد تكون غير مرصية ولا مطمئنة في أغلب الأحيان، بخاصة إذا تعلق الأمر بألف سنة وبنية التي تافتها الأجيال، فطقها من الشروخ والصدعات ما يجعل من انتمائها إلى ثقافة بمنها أمراً بالغ الصعوبة، فمن جهة يناديها على المجهول تطرح فرضيات متعددة لم يتوصل أحد إلى إثبات إحداها على مر الأزمنة، ومن جهة توجبها إلى لغات مختلفة، فمن المحتمل أنها فقدت كثيراً من ملامحها، ولتكتسبت ملامح أخرى من ثقافة تلك اللغات، وبالتالي فإن ألف ليلة ويلة مجموعة قصص شعبية، اشترك في نسجها أكثر من حاكم، وأكثر من زوا، على سر زس لا يمكن تحديده بدقة. وهذا يعني أن هذا الأثر قد نما على توالي الحقب، وحسب

1 - أحمد كمال وكبي من لغة ليلة وليلة، مجلة فيصل، ج 5، ص 12، سنة 1994، ص 74

لعمية تحويل وإضافات ليبلغ الثانية التي جعلها له اسم، ويستقر في الأخير على صورته النهائية للمروحة<sup>(1)</sup>. وهكذا فإن معضلة الانتماء والتأليف تطرح أكثر من إشكال. إما على مستوى هوية النص الثقافية، أو على صعيد أتمتته المؤلف بعينه. ورغم ذلك فإنه يوحى بقرابة لا يمكن نكرانها أو الطمس في شأنها، ولتتمتلة في انتسابه إلى بيئة عربية سواء بحكم الموضوعات [أس أسرجة، وسفوكيات وتطلعات وتلماتل] أو بحكم [الجغرافية، والأعلام] أو من حيث [الفنية الذهبية والطيبة المطرية للشخصيات] إلى غير ذلك من الملامح التي أدت ببعض الباحثين إلى اعتبار ألف ليلة وليلة ثمرة من ثمرات الحضارة العربية الإسلامية، وتاجاً من تاجها. فهي ذات روح عربي صميم، وهي ذات سر عربي فُحّ، لم هي ذات أماكن جغرافية خالصة، فإن ذكرت أماكن أخرى فإنما تُذكر في معرض التلموس والأمطوق كالجزر المسحورة وما يدني لها، مثل جبل قاف الذي يهدده الظهال العربي الخصيب<sup>(2)</sup>.

لقد طورت الدراسات الحديثة مناهج تطبيقية رائدة في مجال تحليل مختلف البنى السردية وخاصة الثقافية، غير أن استطلاع الباحث حول جذور القصص الحكائي لا يعتمد إلا على تحليلات ذات مستوى من المقاربة الموسيقية أو القانونية. ولا تدم إلا ببعض التنظيمات وما تزال ألف ليلة وليلة بوصفها التراث الحكائي الذي شغل العالم، وبأحسن كظهور من السرديات العالمة - ما تزال - مجهولة الانتماء المحدد لهذه القصص كانت أولاً وأخيراً حكايات شعبية استمر نشاطها بالرواية الشفهية عن طريق الحكواتية الذين كانوا يرددون عليها ويوسعون في حكاياتها، ويرفرون من لدنهم بنوادر وأشعار تنم عن أدولتهم للشخصية. وإنما أصبحت القصص

1 - عبد الواحد شريفي: ألف ليلة وليلة: الأسرار والتطور، مجلة للمروحة (سوريا)، ع 441، سنة 2000، ص 173.

2 - يفرح عبد الملك مرادش: ألف ليلة وليلة، تحليل سمياتي تنكيكي، تكملة محفل بندق، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص 6.

منعاصرة بشكل واضح، وذلك صريح مختلفة تمكس اختلافه خصائص  
الأمكة التي روت فيها<sup>(1)</sup>.

ولمة مكية خاصة في الف ليلة وليلة ومنعها أكثر من خصوصية، مها  
ما يتعلق بمجهرولة التأليف وتعدد النسب التاريخي وتعدد العلاقة الجدلية  
لمجتمع بنهض منطقة وجناتية، رصيدها رمزية خيال لا يحسب ظل يرمخ  
لوجود الذات العربية جمالياً، وعقائدياً. ولعلنا نشير في هذا المسد إلى  
أحداث مقفورة - سوسيو - سرورية - ترى أنه يحق لتلفها أن يتباهى بامتلاكه  
الما لولة وليلة، ذرة القمصن الشعبي العربي ويحق للدياني العربية - كما  
نسب لها - أن تترج على عرش الحكيم المالكي أصيرة متوجة بغير صانع،  
حتى شل إلى أمة تدع لك لولة وليلة فهي أمة رولية بالقطرة<sup>(2)</sup>.

ولقد يكون من المجهف أن ننظر إلى الدياني بالذهبية فسمها التي  
أبدتها، فمجهولة التأليف ربما تكون مقصورة لذاتها، وعيها بحلول البعض  
، اعتبارها مما يلى عليه من أسرار العامة وتعرفاتهم، أو على حد ما جاء  
لدى ابن التديم من أنه كتاب عت يارز المحدث<sup>(3)</sup>، هبالإضافة إلى كونها  
مدوية تاريخية تمكس بعض المظاهر الاجتماعية وتكشف عن الوعي  
الفردى في مواجهة المصير، فإن تلك الحكايات لم تكن بعيدة عن التجدد  
الدائر في فضائها المرفقة والفقه، لكنها لم تكن تلجأ إلى وجهة نظر منعازة،  
فالحكامات بصفتها القصصية أو في ضوء متونها الأخذة بالتسامي  
والإسراع، والإضافة والهدف طيلة خمسة شرون خسرت على احتواء ما كان  
داكراً بتوصه واختلافه، وجدته وهرزته<sup>(4)</sup> فهل يتكس هذا الاحتواء ورأي  
ابن التديم؟

1 - رنا طرافي، استعير أوروبا في الشرق، ترجمة سبازي تراقي، دار طلاس، ط1، 1998، ص 47.  
2 - محمد رجب النوراني: التراث القمصني في الأدب السوري، مطبوعات ذات السلاسل  
الكويته، ط 1، 1998، ص 5.

3 - ابن التديم: القهرية، ص 483.

4 - مضمن جامع لسوري: مطبوعات المصن العربي الإسلامي، الوسيلة، المركز الثقافي  
الأمري، بيروت، ط1، 1997، ص 188.

ولم تختلف آراء القدماء والحديث حول جذور التيامي وانتمائها، فإنها لم تكن على وفاق تام بين المحققين أنفسهم ليمسح جدل الناقل والمتلقي، فهي حين يعتبرها بعض الباحثين العرب من صميم التراث القصصي ويذهب البعض الآخر إلى نسبتها إلى أصول عذبة وإن بصورها المكتوبة كانت متغيرة ومختلفة ليمسح بقدر تباين واختلاف رواياتها الشعبية. إذ لا يمكن ثمة نص بعينه لقصص ألف ليلة وليلة، بل نصوص متعددة لتلك الروايات الشفوية التي جاءت من أصول وأزمان مختلفة وكانت تنكس خصائص اللبلا التي تباينت فيها<sup>(1)</sup>.

إن أية محاولة لسلب ألف ليلة وليلة أصالتها في الانتماء العربي سوف لن يحقق الاتجاه المرجو، فهي من ناحية لا تملك الأسباب المقنعة لنفي النسابة، كما أنها لا تجردها كلياً من الحسن والخيال العربيين تكون قد جثت عليها، فألقدها صلب وعاصتها التي تمثل سر جذبيتها، وسحر طليانها، ولعلنا ندري سبباً متطعناً واحداً في استبعادهم أن تكون ألف ليلة وليلة جزءاً من التراث القصصي العربي، هذا كونها امتوت موضوعات الغربة والجنس مما جعلهم يتعاملون على هذا الثوروث بدهوى شعاع بالقيم الأخلاقية، فهي تفسر المشردين نالت ألف ليلة وليلة نصيباً من الانتقاد المبني على أسس أخلاقية فقد وجهت إليها إقلاق عمر الأدبي - في تقريرهم شامل صدر عام 1974 في دمشق بعنوان «نظرة في أدبنا الشعبي» - نقداً لازماً لأنها تتجاوز كل الحدود في بعض قصصها في تصوير الخلو والفسق والانحلال<sup>(2)</sup>، وطبعي أن تتأخر الفل المربية مع هذا السلوك غير أنه لا ينبغي لهذه الانتقادات أن تشتت إلى مواقف تتلخز إلى التاريخ العربي على أنه تاريخ القسوة، والتمف الجسدي، وضد أنخلق كما لا يجب أن تشكل هذه الأحكام حاجزاً للبحث عن الجذور والبهديات التي لا يمكن فصلها عن التكوين الجيني لتوالي التيامي.

1 - دنا طياني، أساطير أوروبا من الشرق، ص 46.

2 - د. فهد يونس، مدخل إلى ألف ليلة وليلة، مجلة فضول، ج 4، ص 12، 1996، ص 31.



ويوضح أن اختلاف الآراء العربية كان لاعتبارات بعضها اخلاقي، أما معظمها فإنه يميل إلى تشييع انتمائنا إلى هذا القربى، بينما تبنت سهر القلماوي موقفاً من ذلك إلى ضرورة الاهتمام بموضوع التلياني بمسره، فهي ترى أن البحث عن أصل التلياني قد سقطت مسروراً إلى الناحية المولكورية الحديثة، والبحث عن تاريخ التطور قد قاد إلى مقدرات عجيبة إلى المروص والخصوبة كل هذا لأننا بدلاً من السليم من أعلى درجاته والبحث عن أصل الشيء وتاريخه خطوة لا بد أن تسبق بدراس الشيء نفسه. ودراسة الموضوع نفسه يجب أن تستأثر بأسبق اليهود ولوهده،<sup>(1)</sup>

ويتمسك التامل في اختلاف الآراء العربية بعدم اتفاق مساهمة الجانب المكمل لفرصة الانتماء العربي لا تلبث تهيئة لو عدمه، ويتمتع أن المستشرقين كان لهم القصب الأوفر في هذه القضية، فما هو موقفهم؟ وهل يكفي لأجل صوغ معضلة نهائية لتلك الفرضية معرفة المواضع ومقارنتها؟

ورغم الاهتمام المتزايد من القرب بألف ليلة وليلة، إلا أن هذه التلياني لم تحظ في الدراسات العربية بالاهتمام الكافي كمن أدبي، وإلى وقت قريب لم تدرج ضمن الشايع التعليمية والدراسات العربية؛ الأمر الذي جعل هذا النص السري بكل مفاهيم السرييات يظل خارج النص المركزي لهبسي في ظل النص الهامشي من منطلق المنطور الفقهي الذي أوحى بشكل أو بآخر إلى تهييب هذا النص بوصفه - في نظريهم - نجساً مسلياً، ويعتقد إلى القيمة الأدبية، ولا يرضى إلى مكانة النص المركزي وهو النص الأدبي المتكرف في الثقافة العربية

ولا مريد أن نذهب في آراء كثير من العربيين العرب للضميمة بناء على التلياني بناء غير متمسكة بهدأ من موقف ليس التقديم الذي وصفه بالفت. ولكن حسينا في ذلك أن تقول إن قسماً جاً - ومن لم أعوم من

1 - سهر القلماوي، ألف ليلة وليلة، دار الطريفة 1998، ص 54.

المحدثين - تنطلقوا في تقويمهم لنفس العالم من معطى ذوقي تابع من الحس البشري، أو من التواضع الطبعي، أو من الموقف الميمامي، بدعوى بث هذا النص في ثقافة التماس لإلهاء الحاكم عن الفساد الذي عم سدة حكمه

### ثانياً - آراء القريب

لقد كان القريب على مرّ العصور يرى نفسه في الشرق بكل ما يملك من إرث حضاري، كما أصبح موطنه الاقتصادية التي تمكّن حاجته لوجوده في صورة الشرق - الأديب منه على وجه الخصوص - الأمر الذي شجع على الانتعاش في الأقاليم على خيرات للشرق الثقافية والاقتصادية، وأصبح اهتمام الغربيين بالشعوب الشرقية عقولياً، حتى بات بشكل ظاهرة متروصلة على مرّ الأزمنة لتلبية رغباتهم، سواء عن طريق التأثير الإيجابي، أو عن طريق التأثير السلبي حين استغلال الدروس من تراجع حضارة الشرق، وصدي إضارهم من أخطاء هذه الحضارة، رغبة في تصادي إمكانية إحقاقهم.

ولا مراء في أن الحضارة العربية الإسلامية قد أثرت في الحضارة الغربية تأثيراً عميقاً، وأضادت الغرب في جميع نواحي الحياة، بخدعة في الحضارات المعروفة، فانههر علماء الغرب من هذا الميت المر في الذي فاض عليهم. كما أنه لا جدال في مدى إسهام الغرب في النهضة الأوروبية، بعد مرحلة العصور المظلمة التي مرّ بها الغرب، وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، وهي مرحلة هزتها الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة حين كانت مشاغل هذه الحضارة تغير السبيل، وتبديد ظلمات الجهل، وإطلال بأشواقها على الغرب عبر جسر قرطبة، ممازرة العلم، وتواصلها مع عقلية بفعل حركة الترجمة على غرار ما كان يقوم به الجمعية التبليغي المؤمن حين أنشأ داراً خاصة بالترجمة، وما كان يعطى المترجمين آنذاك من جود ومكافأة وقد يحصل الأمر إلى إعطاء المترجم مقال ورن الكتاب، المترجم ذهباً - لأهميته ولتمكّنه من ردوده على الحضارة للعربية الإسلامية. فما كان من شأن ذلك إلا أن تمّ نقل ثراث

المحصلة للشرقية إلى الحضارة الغربية، التي استلزت بمد ظلمها،  
وبعدها كان يحتمر فيها مفهوم الحضارة على النقيض سرعان ما تحول  
لمفهوم إلى حضارة الشعوب نتيجة لأثرهم بحضارة الشرق.

وبفضل للمتح الإسلامي أصبحت أوروبا مركزاً للعلوم، والموسيقى،  
والصناعة، ولشهرت بالتقدم في جميع فروع العلوم المختلفة، فمثل العرب  
من مناهل الحضارة العربية، وبعثت في عصر النهضة أكبر حركة فكرية  
لترجمة عدد العرب على غرار ما كانت عليه قريظة ومبغية، فترجم  
العرب أهم كتب العلوم والفنون التي أثرت معارفهم وبهضت بها، واعتبر  
العرب الترجمة - من العربية إلى لغتهم - أحد أهم اهتماماتهم ومعاييرهم.  
وفي هذا الشأن يقول *James L. Ryan* [إرنهال]: لقد وصل إليها الأدب  
الإغريقي من خلال الرومان، أي أنه وصل إليها باللغة اللاتينية، إلا أن  
الجذب الأكبر من المعارف الإغريقية التي تضمنت العلم والفلسفة، وصلنا  
عن طريق الفيزيائيين من خلال الترجمة العربية عن الإغريقية، وقد نمر  
العرب هذه المعارف وانتقلت عنهم في المصور الوسطى إلى اللغة اللاتينية،  
لقد كانت إسهاماتها وصلها جسرهم للمشروعات الضخمة للترجمة في  
القرن الثاني عشر التي انتقلت عبرها المعارف الطبية من العرب إلى غرب  
أوروبا التي كانت آنذاك في مرحلة بدائية<sup>(1)</sup>.

وليس غريباً أن تمت الحضارة الغربية العرب في هذا النوع من  
المعارف والفنون مادام امتزاج الثقافة العربية بثقافة الآخر متجذرة في  
عمق التاريخ عبر رحلاتهم التجارية، والعربية، والثقافية، ولدت. ولعل  
عقائد العرب بنسبه هذا التأثير كما يستخرج نابعاً - يبرهن على ما  
ورثه من العرب نتيجة لانتشار الحضارة العربية الباهر في القرن السابع

1 - يوسف عز الدين: الثقافة الأندلسية بين العربية والإنجليزية، التي هذا البحث في العجلة  
القائمة من حضرات مؤسس المجمع في دورته الثامنة والعشرين يوم الأحد 17 من المحرم سنة  
1425هـ الموافق 21 من مارس (آذار) سنة 2004م. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد  
196، 2002، ص 484-497

وذلك حين فرض عليهم ثقافة جديدة أثرت مكتباتهم من جميع الممارف  
ولدينا نموذج فذ لقصص التجار العرب، الليجورية التي وريت في المخطوط  
المتنصص قصص التجار سليمان، وقد نشر بعضها الدكتور حمص فوزي  
في كتابه «حديث السعيد القديم» نقلاً عن أصل المخطوط المخطوط  
بمكتبة باريس، وذكر بعضها المؤرخ المسمودي في كتابه «مروج الذهب  
ومعاصير المصهور» وهي قصص ولعبة فتية تفتى بالصوير للمجالي  
للبحر، والإنسان، والحيوان، والطواهر البحرية، وتمزج الواقع بالأسطورة  
والخيال، وتحتصص للكثير من المعلومات البحرية التي سبق بها العرب  
العرب عن عالم البحار والحيوانات البحرية والكوز البحرية<sup>(1)</sup>.

بي المصهور بمسؤولية معرفة الآخر من مهام المكونات الحضارية، وهذا  
ما وقع - فعلاً - في نخبة أوروبا التي آلت بثقافة الحضارة العربية  
الإسلامية، واعتمدت معلوماتها الإنسانية، وقادها شعراً ونثراً، ومصداق ذلك  
ما مر بنا في مقولة [ رانيل ] Rannil [ رانيل ] وغيره كثير ممن اشتهروا  
بالفضل لعرب في مهدي كثير، لعل لونها جنس المسرد القصص الذي  
الحس الرواية العربية برواه جعلت منها رائدة في هذا المجال بعد أن طغى  
العرب أبعاصهم، وصرفوا النظر عن ما أصبح فجزائهم الإبداعية مثل ألف  
لهة وليلة، رغم القيان بين شكل العمل الروائي قديماً وحديثاً، إلا أن ذلك  
لم يمنع الغرب من الاعتراف بإبداعهم من التراث القصص العربي الذي  
زودهم بآليات المسرد ومضامينه، «ولدينا ألف لهة وليلة كنموذج فذ  
لتأثير القصة العربية في الرواية الغربية وثقافة الغربية، فقد نالت ألف  
لهة وليلة من اهتمام الغرب علماء وكاتباً، وفنانين، وهواة، فكثر مما  
لافت في الشرق العربي، وجنبت اهتمام المستشرقين والرحالة والأدباء،  
والدارسين، ولتجاءر في الغرب مع الشرق، ولأثرت في الأدب الغربي  
والرسم، والموسيقى، والمسرح من قصص الأطفال لدى (هانز كريستيان)

من (روبنسون كروزو) ورحلات جيفر وروليات (الرسائل الفارسية) لومسكيو، والجلي عبر التحفة ليعرو وكافيد، لقوليت ورحلات جول فيري، وكذب هـ جـ ويلز. حتى امتد تأثيره لطف ليلة وليلة، إلى الرواية الأمريكية<sup>(1)</sup>، وهاهي اتجاه العالم.

وقبل الحوض في التطرق إلى مدى تأثير القلوب المباشر بالأدب الحديث العربي يفترض من الباحث في كل مرة أن يحاول فيه تمييز مؤلفه، أو إثبات قومية، أو دحض رأي، ألا يستبعد مواقف الآخر. فقد كانت حركة الاستشراق - مثلاً - عتية ولتة في التهمة للبرية سوء بها أضاعته إلى الجانب القساة أم بها عملت على إضائه في الجانب الحضاريه ففقت من الأكار وضعت كثيراً من المنون، وكانت ألف ليلة وليلة أعظم تراث قصصي ينبعث من رماد المخطوطات إلى نور المكتبات، يحتجمر بها القراء، ويصطبغ بها القراء، بتقبل تلك الجهود المتعددة لإظهارها للوجود.

ولا ريب في أن تلك الجهود لم تكن على قدر مشترك من الدوايح والنوايا، فانهيار القرب بالف ليلة وليلة جعلهم يحسرون اهتمامهم الأكبر بموضرائها في عصر عراقي طغت فيه الكلاسيكية، واستند فيه العقل ومع ذلك فقد كرسوا جهوداً ماثلة لمرقة أصول هذا التراث الذي رعرع كبائهم، وأحدث انقلاباً في أدواهم، حتى قال عنه غوستاف لويون: تعد ألف ليلة وثقة من أكثر الكتب التي وضعت الإنسان امتاعاً مع ما فيها من نواهي وأصحة جداً، وأضعت إلى ما فيها من متعة ما في قراءتها من فائدة. فيها يقال الفاني موارف صريحة عن طبائع العرب ومساخرهم، روجه تمكنهم في بعض الأدوار<sup>(2)</sup>.

1 - المرجع السابق.

2 - غوستاف لويون، حضارة العرب، كله إلى العربية طبع زهران دار إحياء الكتب العربية. مطبعة جوس الياي السليبي، الدار البيضاء، طعة 1396، ص 400.

وكل التفسيرات تدل على أن نشأة الرواية العربية مستمدة من بذرة القصة المصري للعربي القرائي يبدأ من الرواية العربية الإسلامية الشهيرة - ونسفة ضمن الأعمال المالية التي أصدرها حقيقيل دو سبرطاس<sup>(1)</sup> **Miguel de Cervantes** بعنوان: «**Don Quixote de La Mancha**» بإجماع الدارسين والمؤرخين الجدين صنفوها من الروايات الأولى التي تؤمن لنشأة الرواية العربية متأثرة بقوة القصة المجاثبي المصري المتداول فيها.

ويتضمن نفس دهن كهشوت كثير من نموص نشأة للرواية العربية انثرونولوجية الانتماء العربي لأنف ليلة وليلة بوجهة الإبداع والمصري فهي ليست حديثاً غداً وبارداً، وإنما هي رصمد شامل للطبائع والمذاهب والأفكار. وليس غريباً أن يذهب غوستاف لوبون «**Gustave Le Bon**» إلى أبعد من هذا لويؤكد صراحة هذا الانتماء من خلال قوله: «تعد رواية ألف ليلة وليلة الباصرة أكثر التخصيص شهرة لا ريب، واختلف كثيرون في مصدرها، ويظهر من التابث اليوم أنها مجموعة قطع وضمت في أزمنة مختلفة جداً، وأن بعضها وضع قبل القرن العاشر من الميلاد لتذكر في سروج الذهب في ذلك الزمن، وتجد في هذه الرواية قصصاً من أصل هنديوسي، وفاروسي لكن أكثرها قصة عرب مصر فيما بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس عشر من الميلاد»<sup>(2)</sup>. كذلك نجد موقفاً مطابقاً لأندري ميغال خير أنه لا يحرص بدقة على الانتماء المصري لتالي، فهو وإن كان يذكر الأصول العربية لأنف ليلة وليلة إلا أنه لا يترك ذلك صراحة،

1 - الجزائر بسبب في هذه الرواية من التشاك حيث سجن **Miguel de Cervantes** في الجزائر عام 1592م لمدة خمس سنوات - ويزوي اقتباس في جزأها الأول الذي ظهر عام 1606 قصة سجنه في الجزائر، بينما صدر الجزء الثاني عام 1615 فبين وقاته وفي القسم الثاني من الرواية كتب **Miguel de Cervantes** أسماء الخمس اسمه أوسو فوناند ردي بيلاند **Aben Fernandez de Avellaneda**

الذي دعم أنه من ألف هذه الرواية

2 - المرجع السابق: ص 419.

ومن هنا جاء قولته: «وعلى كل فإن القصص الخالصة التي تقال مجرد لغة السماع وللإمتاع، هي التي تكون لأغف تولد وتيلة هيكلها الأساسي، إنها ذات أصول وتواريخ مختلفة القرون II - XIV آتية من بلاد الهند، وفارس، وبابل، ومصر. إنها تتشكل بالشكل للوعظة والقصص القرآنية، والقصص التكميلية، وإبيكارسكية. الكل قد صيغ من جديد في فوالب المعاصرة الإسلامية. في تلك المصو<sup>(1)</sup>». وفي حين يعتمد البعض على الأسبقية التعبوية التي تتميز ميال مجتمع حضاري معين لمعرفة الأصول الحقيقية لألف ليلة وليلة، نجد البعض الآخر يشرع مبدأ البداية في تأكيد موقف كهذا. فقد ذكر استاذ اللغات الشرقية في هامبورغ مسيو قبل في مقدمة الطبعة الألمانية لرواية ألف ليلة وليلة، وفي النص الشرقي أنه لا يجوز الشك في أن أكثر القصص فيها عربية، وأن ما فيها من أصل عربي يختلف كثيراً عما فيها من أصل هندوسي وفارسي بارز في المجموعة المعروفة بذلك الاسم أيضاً في القرون الأولى من الإسلام<sup>(2)</sup>.

لقد حفلت دراسات المستشرقين بما يؤيد صراحة الأصول العربية لألف ليلة وليلة، فهو في ذلك لم يمنح اللجنة من بروز آراء مضادة لم تر في ذلك أي جانب من النقص. قبل وصل الأمر إلى حد الاندفاع بأن قصص السندباد والأسفاني والمخاطرة دخلت بكاملها على الأدب العربية من الفلكلورية، وتقليدية، أو كلاسيكية، متفاسين بالملح القديم وأصرف قصص الأسفار والمغامر وهي جملتها البليغة<sup>(3)</sup>. ورغم أنه ليس لهذا الموقف ما يبرره عما كونه يحاول إنكار فن القصص على العرب، بالإضافة إلى أنه لا يمثل إلا انطباعاً ذاتياً، فإن هناك مواقف أخرى مغايرة تعلقت لأن

1 - اندري ميكال: الأدب العربي، ترجمة رفيع بن يسلم وأشرف، لدار التوسمية، ط2، 1960، ص 92.

2 - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص 649.

3 - شوقي عبد الحكيم: موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار المودة، بيروت، ط2، 1982، ص 87.

تكون أكثر موضوعية من حلال ما تشبه من وقائع تستند إليها عهد  
 ماكروبيدات *Macrobius* يؤكد منذ البداية أن حكايات الليالي تنتمي إلى  
 أصليين: الأصل الفارسي والأصل العربي. هذا إلى أنها تشتمل على تقاليد  
 وأساطير شعبية لكثير من الأمم، ويستنتج *ماكروبيدات* - بعد دراسته وتحليله  
 مخطوطات الكتاب للتوفيق لكجه - أن تأليف كتاب الليالي قد مر بمرحلتين  
 أساسيتين: أولاً الأصل الفارسي (هرودوت أفسانته)، نظراً لترجمة العربية  
 لهذا الأصل، ثانياً مواد قصة هرودوت أفسانته وما أضيف إليها من حكايات  
 مقتبوع بلأها عربية الأصل، وبعدها الليالي التي كتبت في عصر هاملبي  
 متأخرة، والتي يشهد القرطبي شهرتها. خاصية نص مخطوط بطون غالان  
 مترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية في بداية القرن الثامن عشر<sup>(1)</sup>.

لقد حاولنا معالجة الشواهد التاريخية والتأملية في شأن مخطبة  
 الالتقاء والتأليف في حدود ما تسمح به منهجية البحث التي تقتضي  
 معالجة هذه المسألة بأقل اختصار ممكن - انطلاقاً من أن الإسهاب في  
 هذا الموضوع يُفرض البحث عن مساره - ويكتفي لنا في هذه المعالجة لأمينا  
 جوهر الإشكالية في ضوء جملة النافل والمنقول عبر الأزمنة والعصور،  
 ومهما كانت أسباب الاختلاف حول الأصول العربية لألف ليلة وليلة  
 أيديولوجية، أو عقلية، فإن أغلب الشواهد تؤكد حقيقة ذلك الانتماء رغم  
 اختلاف كثير من المربين حول امتثالها إلى المرب على نحو ما صدر من  
*Homer*، الذي رأى أن ألف ليلة وليلة لن تكون فارسية فهي  
 هندية... ثم يتفق *Schlegel*، و *Ullmann*، و *DeLongchamps*،  
 و *Leibov*، وهو الموقف نفسه الذي رآه ابنو ليمان، *E. Littmann*،  
 لإضفاء صبغة التأليف إلى الهند، وإضافات من الفرس والعرب على  
 النص الأصلي غير أن الذي لا جدال فيه هو أن نص ألف ليلة وليلة، لسرة  
 من ثمار ثقافة الشرق - باهتمام ويصح من معالجة المرب - التي دفنت

1 عبد الواحد لمربي: ألف ليلة وليلة: الأصول والظهور، مجلة المرفق، ص 149



يتأثر بها على القرب يتجاوز لحدادهم من حلال ما وفوقه الكهالي للضايين  
 العربيين من غولبية التسيج الخيالي الذي يهرق أراهم وعزوفهم على ما  
 سئمو معه من أعماهم المكونة لذلك محطتي كتاب ألف ليلة وليلة في  
 العرب بضميمة لم ينلها سوى كتاب شرقي واحد هو الكتاب المقدس. وفي  
 إنكلترا وحدها صدر الكتاب في أكثر من 250 شكلاً خلال 200 عاماً<sup>(1)</sup>

وبالنظر إلى ما مرّ سلفاً في موقف العرب من الكهالي، فإن القارئ لن  
 يجد ممنوعة في لوجاعها إلى الثقافة الشرقية بوجه عام، يعمد بكون قد  
 شاركت فيها ثقافة العهد بحكايات تتسجم مع مكتوس اليهود، وتقديرهم من  
 عالمهم الكهالي الصاحب الذي تلمّش فيه الجبان، والمعارضة والصعرة  
 وغيرها من الخوازيق التي لا تستقيم مع ميزان العقل، كما أن للمرص مصيباً  
 في حكايات الفسائكه والإسارات، والقصص، ومنازل الأشراف، والجدد  
 والأنهار، وكل ما يمت بصلة إلى الكعوز الثمينة والجواهر الفريدة بوصفها  
 أقرب إلى الذوق الفارسي. في حين يحظى الخيال العربي بالحكايات  
 المتلفة ببداء والبصرة والشام والقاهرة، كما حظيت المظلة العربية في  
 نسجها على الشكل الذي انتهت إليه، وهو فصل لم يسبق هذه المظلة أحد  
 في تحقيقه من قبل.

وإذا كان نص ألف ليلة وليلة - على النحو الذي مرّ بنا - قد أوجد  
 لنفسه نمبهاً سردياً خارجاً، اعترضه بفصل تأثيره على السرد المائي  
 الثقافة المغربية قبل الثقافة المغربية، ولذا كلل هذا النص قد نال ضربة  
 السبق السردية والفني في المعارف الإنتمائية، فإن السؤال الذي ينبغي  
 ملاحظته الآن هو كيف تجاوزت الأدب المائية للأدب الشرقي؟ وكيف  
 وقعت في سحره وما أضيفه للثقافة وما مدى تسامحه وانتشاره  
 بين الشعوب؟

1 - عاش عبد الله: ألف ليلة وليلة و«البرسلك» الإنكليزي في القرن التاسع عشر، المؤلف  
 الأديبي، مطبوع ١٩٥٥، سنة ١٩٥٥، ص ٢٥.

## المبحث الثاني

### الاستجابية وجاذبية الاحتواء

#### الوقوف في دائرة المسرح

##### أولاً - عالم الاستقبال/التقاسي والانتشار

ما من طاقة تتجرد عن وجعائها إلا ويكون مصيرها الدوال. جردت أما ما من رومانسية وانظر بعد ذلك ماذا عمماها أن تكون؟ لقد تمهدت الرومانسية بإعادة الكائن إلى ينبوعه الفطري. وقد بعد الحكمي من أروع الممارسات الرمزية جمالية. وتصبراً عن الحس الفطري للإنسان، فه الحكمي أسطورياً - كان كودبها - هو ميوات الحضارات الأول، وقد واكب الإنسان منذ أقدم المصور التي كان يخطو فيها خطواته الأولى على مدارج الحياة البشرية، ليكن طفولتها للشمرية، ليس لأن الحكمي كان آنذاك الأداة المعرفية الأولى التي عرفها الإنسان القديم سبيلاً إلى صوغ الفكر الديني والثقافي والملي. أو لأنه الأداة الأبلغ لثراً والأقوى تأثيراً في تشكيل الوعي الإنساني، بل فوق هذا كله؛ لأن الإنسان كائن قصصي بالقوة، ليس لأنه كائن ثقافي، بالفعل بل لأن الحكمي نفسه فطرة إنسانية، تلي نزيهاً إنسانياً يستحيل تجاهله. في كل المصور التاريخية والرائحة المصرية للإنسان<sup>(1)</sup>، فهما أدعت العقلانية استبدادها بالكائن فطرياً لا مثلك إر، السيطرة البدنية للخيال أية قوة لمواجهةها، بدليل اتصالات الخفية من عفاها في أوج العصر الكلاسيكي، عندما تفتح وبي القارئ الأوروبي على محور الشرق بكل ذلك التدفق الخلاق من لا محدودية التصوير إلى معقولة التخيل. فكان حضور تلك تلة وطيلة في العرب بداية عهد

1 - محمد وبي القارئ، التراث القصصي في الأدب العربي، ص 3.

رومانسي، طمس بريدة الأشياء وبعثها من جديد باعتزاف للفرعيين أنفسهم، فقد ذهب بعضهم إلى القول إن «لا هذه المجملات يرقص السحرة، والجن، والنصائير، والخواتم، والطلاليم، بوفرة تجمل القارئ بتعجب وبدهش مستقرواً، هذا القارئ الذي لم يتعرف من قبل على عمر ساحرات يستملكن للكانس، أو جني قرقم يرقص بعض الأحيان في صوة النعمر»<sup>(١)</sup>. كذلك أوقعت ألف ليلة وليلة بحسوا الرومانسي وحياتها الجامع، وسرد هذه المرافقي، اختاروا في مشاعرو المثقفي الغربي وأسهمت في بلورة العنصر القصصية، فانعكس ذلك إيجابياً على القارئ الغربي بعد أن عرف أن هناك تطوراً حاصلاً في طرائق السردية الناتج من ثورة تعتمد على التقاليد المبهمة، الكلاسيكية. وذلك حينما كانت ترسم في قصصهم المألوفة الشخصيات النموذجية المعروفة بانتمائها النخبوي، فما كان من هذا انقلابي إلا أن يعرف عن هذا الاتجاه بعد أن اكتشف ألف ليلة وليلة التي شمرته بنهض من المواضع، وعلاّت ذوقه بما لها للعالماني.

إن ما نشر عليه في الأساطير هو الجانب اللبي في حياتنا، غير أننا لمنا لمعجم بذلك الفوضى من النقاء: لأننا نعتقد إلى الإحساس بهرارة ما يربطنا به، وربما كلى مثل الحكيم - بوصفه ممارسة طقسية تتشكل عبرها علاقة الإنسان بوجوده الفعلي والرمزي - امتداداً لدهور الأسطورة في اختيار الرمي للبشري «فالجمد من الأساطير القديمة هي أن تتشاهم بين العقل والجسد، بإمكان العقل أن يتعلق بجماد وأساليب عدة، ويقتضي الأشياء لا يربدها الجسد، والأساطير والشعائر كانت وسائل من شأنها أن تطبع الحق في انسجام مع الجسد، وأن تجعل لأساليب الحياة متوافقة مع ما تبنيه المذهب»<sup>(٢)</sup>. ضمن هذا التقاطع يمكننا اعتبار ألف ليلة وليلة

١ - محمد جاسم الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية النقد الإنجليزي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٢٢.

٢ - جوزيف كامبل: قوة الأسطورة، ترجمة حسن سقور وكثيرين، دار الكلمة، ط ٢، سوريا، ١٩٩٩، ص ٢٩٥.

أسطورة الشرق بما تولد منها روحاً كويتية وافقت تجربة الإنسان كائناته،  
ولما كان لتأمل أرقى من الفهم فقد هافت عليها القراء من مختلف  
أرجاء المعمورة.

ومن ثم أصبحت الليالي في ثقافة العربيه أهم إنجاز عرفته  
مشاعري التي كانت حبيسة القتل الذي جحد به القريب، ولقد تلمذ عمر  
والإدعان للمولف بوصفها متيناً للإلهام، ومكتملاً للصدق، ومبهماً للتمس  
في خصائصها وكل ما يتصل بها، وهذا ما جعلهم يكرهون الأعمال  
البحرانية التي شاعت في تاريخهم للتصميم، والتي مجتذبت انتباههم كما  
منموا من الموضوعية لهذا النوع من القصص، فأطاحوا بكل ما هو مثل  
وبعده، واستسلموا للمشاعر التي تبثت عن مواطن الجمال والغربة في  
التصور الخيالي. وليس غريباً والحال عهد أن يقول عنها جوتيه إنه من  
الصعب العثور على عمل آخر أكثر قيمة منها<sup>(1)</sup>. ولعل في ذلك السبب  
الكافي - بالإضافة إلى ما أفرزته الحركة الرومانسية - لشهرة انتشار النص  
لهلة وليلة، ولما عر في اعتصام القرب بالاطلاع على ثقافة الشرق - من  
خلالها - والدافع القوي لأن يكون هذا النتاج الخالد في الفن قد بواس  
مكانة عاتية في عالم السرد، ولأن تتسلل إلى مصاف الأدب العالمية.

لقد طورت ألف لهلة وليلة في وقت مبكر. الإحسان بلجنة القصص  
الاستعوزت على أواقي المتصفح، بما في ذلك النخبة والعامية، لا سيما وقد  
أحدثت هذه جمالية في التلقي الأوربي، فانتقلت به من سكونية القوالب  
الكلاسيكية إلى حركة التصور من شروها، ومما مهد لهذه السيطرة  
والعبادة هو الإثارة، والخيال القصص، والصلابة، والمرونة، فالحكايات  
الشعبية هي عبارة عن مزيج قصصية مجردة غير معقدة، وسهل على  
الإحسان أن يتذكرها ولا نمونها حواجر من اللغة والكثافة<sup>(2)</sup>؛ وميل الليالي

1 - ينظر، عبد الله أبو حبيب: عن الاستشراق إلى الأدب القاصي، القاهرة والمطبعة المتكسرة  
ضمن أعمال ندوة الأدب القاصي، ويوره في القرب القريب في جامعة حلب - سوريا - شهاد  
8006. مطبعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، سوريا - ص 216  
2 - من قروب شركاء القاصي والكثافة، ترجمة هيثم عاشق، منشورات وزارة الثقافة،  
سوريا 1992، ص 64.

إلى هذا الفتح هو الذي شجع القارئ الغربي على احتوائها، بعد أن صدرت  
 الف ليلة وليلة وتشمل عقولهم، وبالتالي مهماً من جوانب تصوراتهم الحداثيّة،  
 وموضوعاً ثرياً لأحلامهم، لا فيها من قوة عجيبة وحياة فطرية، كروب  
 تتلاءم مع أدوارهم الرومانسية من خلال تشعّان الحياة البسيطة التي  
 وجدوها في كثير من أحداث قصص شهرزاد التي تتجلبوب مع مشاعرهم  
 في وقت مبكر من نهضة القرب، عندما بدأ في نظر ألبا حينئذ اطلاق  
 أوروبا على الأدب الشرقي؛ أي عند الحروب الصليبية حين تعرفت إلى  
 أديبا ومعارفها، وبخاصة بعد أن احتكّت بالقسطنطينية شرقاً، والأندلس  
 وصقلية غرباً، وكان من هذه التفاعلات قصص الف ليلة وليلة التي  
 أخذت في الانتصاع شفهياً في معظم أنحاء أوروبا وتصرّفت إلى أعمال كتاب.

لذلك شاعت في القرب بخاصة عند الرومانسيين في نهاية القرن  
 التاسع عشر تحديداً؛ الأمر الذي غير مجرى الإبداع القصصي في هذه  
 المرحلة التي كان يسودها القلق، ومن ثم يكون تطلّ النبال إلى القرب قد  
 أثار دهشة غير مسبوقّة لها فيها من غرائبية لم يألّفها من قبل ولا هذه  
 الأجزاء جاءت ترجمة خالان لألف ليلة وليلة، فكانت شيئاً مثيراً، وغريباً،  
 ومبشراً، وفيها انفتحت أبواب الرومانس الشهيرة غير المحدودة، وعجّت  
 بأرض بالأفانصيص الجديدة، وكانت بداية اقتطاعها عوالم القرب الأدبية  
 ذات صلة بخروج ألفه التلّفي حيث تقول مارثا بابلو كويانت إن «مجري  
 الرغبة الهرموية تتجاوز القواعد المحددة للكلاسيكية الجديدة قد حفظت  
 نفسها في مناقشة هذه الحكايات العجيبة المرمية عن الخطاظر  
 والسعر»<sup>(١)</sup> ولما كان النزوع إلى الخارق والمذهل أمراً عادياً فقد توسل  
 القارئ الأوروبي إلى النبال المرمية، ولتظهر انفجلاً وجدانياً وبلاست ذلك  
 النوع الفطري الذي لحقت الكلاسيكية جزءاً كبيراً منه. وفي تملكه إلى  
 تعجير رقابة تلك النمطية وجد هذا القارئ خلاصه في حو النبال، حيث  
 استمداد طبيعة الأشياء، وبساطتها - «ومن هنا تولدت الف ليلة وليلة بحمدسة

١ - ينظر، مصدر، جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، ص ١٥

فائقة لا عصر سلفه تشمل الهيمنة الصارمة للسلطانية، وتروغ إلى الترويح عن النفس في هسحة من الجهال بعيداً عن تلك الرسالة الطاغية<sup>(1)</sup>.

إن القول بفكرة هيام ألف ليلة وليلة على تفصيل الخيال الشعري وتوسيع رمزية ذلك الخيال إلى اقتضاء أمر لا يمكن استنباطه غير أن لما طلة التي قد يقع فيها البعض هي القلو في تأكيد السمات الشعرية دون غيرها، مما تفرد به الليالي من قيم فنية وجمالية وإنسانية، وذكلمة موجزة من قارئ هذا القرن قد وجد للفتة في متابعة هذه الحكايات وسعرته أجزائها بلغة غريبة، لكنه يمكن أن يكون قد اتفق مع الاستدلال في استنتاجه بأن لا محصيل دون مشقة، وأن السماء تكافئ التشيع الطريف<sup>(2)</sup>.

لقد أحدثت ألف ليلة وليلة مرة جمالية وظرفية، فطى المستوى الجمالي انحاضت إلى الضلال الأوروبي تماماً رهضة، وطجرت لديه طاقة لامتناهية من الإلهام بسروها الإدهاشي والمصنوع المجازي، وخلق في وجدانه إلهاماً رومانسياً حاداً، وزودته بروحانية الشرق، أما على المستوى الفلسفي فقد شكلت الليالي سؤالاً أنطولوجياً يشترك بأصناف الوجود، وامتحان الذات، سواء تعلق الأمر بما تصرح به الكلمات أو ما كضمرة، وبعد الزمن أحد أعظم تجليات تلك البرقة الفلسفية، «فصراع بيندوب كان ضد وقت ما، هي في انتظار رجوع مخلصها ورجوعها عولوس، أما شهرزاد فهي لصانع ضد مفهوم الوقت، وهذا تطرح ألف ليلة وليلة مشكلة فلسفية من أحد ما يكون وهي مشكلة مفهوم الزمن المجردة<sup>(3)</sup> ضمن سياقه الشفيعلي لأن ما تروييه شهرزاد قد سبق وقت المبرود ودخل في صيغة الماضي - سواء تعلق الأمر بلسان المصارع الشمسي عندما يقبل لنا الأحداث التي ترويها شهرزاد، أو ما جاء على لسانها هي - الهيمنة على

1 - ربا فها: السطير لوروا عن الشرق من 85.

2 - مسد جسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي من 22

3 - هريال جيز غزول: البهية والذلة في ألف ليلة وليلة، مجلة طسول ح ه، سبد 12 سنة 1994، من 78

ومن الهالي. وقد قال ألياجت الأثيني: «هون دير لاينه» في كتابه: [الحكاية  
الغريبية] ما يلي: «دقيق بعد ذلك قيمة العرب الخالدة من حيث أهم  
خلقوا عن طريق منهم في الرواية سوراً جديدة كل الجدة، سواء من خلال  
تلك الحكايات التي بدأت عندهم، أو تلك التي أخذوها من الشعوب  
الأخرى، تلك الصور التي تأسروا دائماً عن طريق روعتها التي تتبع من  
جيد البديع، وطراوتها المستطيلة الباقية وضواها اللذيذ والمغري، وفكاهتها  
المثيرة، ولا مود أن بعد من قبيل المصنف أن أبرز القومعيون لتقسيم هذا  
النص لميزهم من شعوب أوروبا، فقد أدركوا ما في تلك الحكايات من سحر  
ورقة، ودقة مشاعر، ونهاضة مغزى، وكذلك ما فيها من تساوير غريبة»<sup>(1)</sup>

ونكاد نجهز بخلاص الرؤيا بين الأساطير اليونانية وألف ليلة وبيلة،  
ولملاذ لجانب الصواب إذا قلنا بتأطية التقاص، فعلى وإن لم تكن لدينا  
الحاجة على إثبات ذلك التلاحم، فلا أحد يجزم بانفصال التقادرات [عدا  
بابل<sup>(2)</sup>] حيث تصوق اللسان بعد توحيد من أجل حصول الاتصال مجدداً من  
طريق الملاقفة. وقد رصد إحصاء عباس مجموع الرؤى المشتركة له الأثرته  
لتلاحم اليونانية من موضوعات وما تطرقت إليه الهالي: البطل، الحب،  
الجمال... حيث أبرز أوجه التشابه بين تلك الموضوعات، بحسب ما يراه  
شرويندوم على سبيل المثال كل أبطال الحكايات اليونانية والتقصص العربية  
في ألف ليلة وليلة، يتمنون بفسط وإخر من للجمال والحب من أول نظرة  
مشتركة بين القصص اليونانية والعربية<sup>(3)</sup>، تفهوك عن تقارب الطصوصية  
القصيرية في التمتع البشاش، والاتفاق في الظاه من الفعل [في الحكايات |  
والوصول إلى الهدف.

1 - ينظر رأيت حسن النمر خورزاد في الفكر العربي والغربي، ١٩٧٧، ص ٤٤٤.

2 - على بحر ما وجد في الإصحاح العشري، سفر التكوين، مكتب العهد القديم، وكانت  
الأرض كلها تسطاً واحداً ولغة واحدة... وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد  
لجميعهم. هم نازل وبابل هناك، كما أنهم حتى لا يسمع يستقيم لسان بعض. الكتاب  
مفسر، دار الكتاب المقدس، ص ١٢.

3 - ينظر إسماعيل عباس: ملاحم يونانية في كتاب العربي، المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، ١٩٧٢، ص ٧٧ وما بعدها.

وقد أولت المؤسسات المقارفة في الآداب القومية عناية مبكرة بألف ليلة وليلة نظراً إلى ما حققته من انتشار عالمي. ومن الطبيعي ألا يقصر اهتمام المربين على الجوانب الإيجابية لهذا الفن، غير أن الذي حدث هو وقوع الممارس الأوروبي في شرك الخلط بين الواقع والخيال، لعدم تمكنه من الفصل بين الفني والتاريخي. في حين سمت بعض الفئات إلى تكوين صورة لشرق المشوهة، وبالتالي إلى تصنيف ظاهرة الحريم.

وقد كانت الليالي مبدعاً خصباً، ومادة خاماً للتقريب، شكلت براء تفكيرهم للمصممي، وإبداعاتهم التقنية حتى أصبحت مدار استلهام كثير من تصاميم الديكور، أضفوا إليها من نهمهم الإبداعي وتصويرهم الخيالي ما جعل ألف ليلة وليلة موضوعاً شبهاً، يحصب على أي شارئ أن يحصي ما صدر منهم عن هذا القوم الخوارقي غير الخلف في ثقافتهم وامتداد تأثير ألف ليلة وليلة إلى جوهر فكرة التقاليد، والفلسفة المجتمع الأوروبي في ذلك القرن، يقول البروفيسور جون ليمر: إن شخصية شيراز أثرت تأثيراً حاسماً في تاريخ الأدب الأوروبية، وجعلت من القرن الثامن عشر أعظم القرون في حياتها، وكان لجمالها وتغنيتها في نفسها، وتصنيفها وحدها لشهریار الذي عجز كل الرجال عن أن يوفروا واستطاعوا لمصالح الأنوثة والمعرفة مما، كان لهذا كله أثر كبير في تكوين شخصية لترات الأوروبية، ورضيف: إن فكرة الحب في أوروبا لم تدم بعد ظهور ألف ليلة وليلة كما كانت قديماً، فخلد كان هيئات منذ القرن السابع عشر قد حول بهنسته شعور الحب إلى شعور عقلي معصوب الفنتازي، وكان كعوضي قد أخضعه لفكرة التقاليد الكلاسيكية، وأصبح عند وسع لونا من التمشيد تكرر ألف ليلة وليلة جعلت الحب مصدر المتعة الحقيقي، حيث يبدو الفنانين الطبيعيين سيداً يملو على كل التحويزات، والتضامات التي تُعول بين الكاش البشري وبين تحديق ذاته<sup>(1)</sup>، ولهم عربياً، من شأن أن يتصرفه في ترجمته بعد أن

1 - رباب حسن التمره شيراز: في الفكر العربي والشرقي، [www.alarab.com](http://www.alarab.com)



أحسمها لمعايير دوق المظفي الغربي الذي فتح له شهوة التثقيف والترفيه،  
فازداد بها فقارئ شغفا، ورغبة في التطلع إلى الآخر.

وبقى حقيقة للليالي وللمسح في تقويعها الفني، فلا أحد ينكر ما لها  
من الفضل في تفسير محاسن الأدب الأوروبي. أضف إلى ذلك أن أحدث  
الدراسات الغربية تصير على إتيان أولي النوى الروائية عن روائع الشرق  
مثل ألف ليلة وليلة، وكلمة ودمعة، وحكايات الشطار، والقصص، ومن ثم  
فإن هذه الآثار العربية لم تكن إلا ذروة جبل جليدي ضخم ينبغي للعرب أن  
ينظروا فيه عن أصل جنتس الرواية، كما تشير إلى ذلك الباحثة والنوثة  
الأمريكية مارجريت آن دودي Margaret Anne Doody في كتابها الصغيم  
والقصبة: الحقيقة للرواية الذي صدر عام 1997<sup>(1)</sup>، وكما يشير أيضاً  
الكسري ميكل في أثناء تعرضه لألف ليلة وليلة وما أحدثته من حمة في ذوق  
المظفي الغربي في قوله: «لا أحد يمكن أن يفرض على ذوقنا هذا الأدب  
الهادف إلى المتعة المظفة، فإن ألف ليلة وليلة هو الكتاب الوحيد في الأدب  
الكسري الذي يوثقنا بسحره، وكذلك بحجمه في إعادة قراءته كلف انتهينا  
من قراءة آخر صفحة، إنه كالقصة تماماً، أو كاللؤلؤ الخلاق الذي يحمل  
الكتاب اسمه وصورته» ثم يضيف: «ومع ذلك هل يمكن أن تكون المتعة  
بمثل هذه البراءة واللؤلؤ بمثل هذا الصنفاء؟ إذاً هل يمكن أحسن من هذه  
النصوص التي تحمل إلينا رسالة دون أن يظهر ذلك عليها»<sup>(2)</sup>

إن فكرة تأسيس كتاب الفيداني ما تزال تلقى بعض الاعتراضات  
فالبعض يمدد ثراء عالمياً، ملكاً للشعوب الأرض فاطمة، بسبب ما لحقه من  
التغيرات عبر قرون من الرواية والنقل والنسخ، بينما تتمسك القافة  
العربية بشدة بانتماء هذا التراث للشعور فيها، والمثبث من جذبات

1 - عبد النبي المظفي: بين المركز والسيطرة الأدب العربي في دكتوراه الأدب العالي مجلة  
المرقة ج 440، سنة 2003 ص 19.

2 - بشار، وادب حسن المر، شهرزاد في الفكر العربي والغربي [www.albawake.com](http://www.albawake.com)

سوسيولوجية، تسمح بتعميق هذا الأثر وترسيخه في منظومة التفكير العربي بكل استدلالاته الحضارية، بما في ذلك المعتقد، أما الدراسات التي حاولت التوفيق بين الأصول الفارسية والعربية لألف ليلة وليلة، فإن أعينها يعكس موقفاً شبه موضوعي يرمي إلى ثبت مرجعية هذا التراث العربي، غير أن هذا الموقف بدوره يشتمل على شذوذاً للأصول غير العربية

ومهما كانت المنطلقات النظرية الناتجة عن المقارنات الوصفية دقيقة وعلمية، فإنه لم يصلنا من هزائن أصفانة سوى العبارة نفسها، هذه الألف ليلة كما ترجمها المصادر أكثر مجهولية من ألف ليلة وليلة التي تعرف، فيها المالم ينقش ذهبي في بلاط السلطنة العباسي. ولعل تهذيب كان وفيها بعدد التأمل الفطري، فخص هذا الاستثناء التخصيص بقوله «إن ألف ليلة وليلة تمطى الجواب ماضراً لمن أراد أن يعرف الفضل والبعد، فالقصة الأولى قصة شهزاد تها هذه الكلمات التي يمكن أن تسمح بكل الممالي (ولكن يجب أن لا يفتح الكتاب لكي نقرأها، ولذا يجب أن نتوقفها لرفاً؛ إذ إنها جيدة في مكانها)»

«يُحَقِّق» إنه من غير المجهدي أن يبحث المرء عن أصلها ضمن الزمن، ذلك لأن المرء يأخذ أصله في القصة وإذا كان قبل القصة الأولى قصة «حقيقي» فإنها بعدها قصة «سُحْقِي»<sup>(1)</sup> وهكذا فتشتج ألف ليلة وليلة عصر اللادقين، وهي المالم لاستقبال معنى الممكن والمتمثل وما تزال تضيق إلى التجارب الإنسانية كثيراً من مساحة التأمل ببراعة الفطرية.

لقد استغل الغرب ألف ليلة وليلة بالكثير من الاهتمام، حيث طفت مما لها على أجواء آيات التفكير لدى المثقفين، بغاية إبان الانفتاح على المقارنات ولقاربات - الترجمة - على ثقافة الآخر في عصر الاستارة والثورة الصناعية، مما أسهم في خلق حولل كثيرة شجعت على التنوير، لعل من أهمها:

1 - ترهتان دودوروفه مفهوم الشعب، ترجمة مختار عباسي القادي الشبي، جدد ط 1، 1990 من 199

- محاولة كسر معادلة التفكير.
- الرغبة في الاقتناع على الآخر.
- الميل إلى كتابة تاريخ جديد موضوعي.
- توظيف كليات علمية للتأكد من دقة المعلومات.
- تقصص الوثائق بموضوعية.
- حاجة الغرب إلى التفرغ للكتابة والمعرفة.

ولم يكن الغرب أمام هذه الهمّة، والنقطة الأولى التي أبهتت مناهر الروح المدنية فيهم إلا الاطلاع على الحضارة العربية الإسلامية المجاورة لهم. وقد أدى الاستشراق دوراً بارزاً في تقريب هذه الصلات بلخص النظر هنا تفصي إلىه دواساهم من تجاوزات، تستوجب التمعن والتدقيق والبحث العلمي الرصين، وليس غريباً في هذه الحال أن يكون الاستشراق - في دوره الإيجابي - من أهم عوامل اكتشاف كوليزا الثقافية، وسير المؤثر مكنوناتها المذهبة.

### ثانياً - الواقع في فترة السرد الغربي

يستند السرد المراثي *Mourning literature* جوهر حكيه من تلك الأساطير والحكايات التي ورثتها الأمم والشعوب القديمة - عسى من المصور - ثم تداولتها الألسن في معاليس السمار إلى أن أصبحت هذه القصص المتداولة جزءاً من ذهنياتها التخيلية التي شكلت ميثولوجيتها. وقد حاول الفارسون<sup>(1)</sup> أن يجدوا تفسيراً عقلانياً لهذه الرقبة الميثولوجية إلا أنهم أحجموا على أنها تصوير عن عالم يحكي ما وراء العالم المدرك، بالإضافة إلى كونها خارج كل تفسير منطقي وهو ما يمكن أن نطلق عليه

1 - مصعب بن عمير عن

«في علمائهم أو «الفن الإجماعي المأمور». ورغم تطور الدراسات في مجال المجتمعات التقليدية Traditional societies، خاصة ما يتسق بالدراسات الأنثروبولوجيا الثقافية والمثولوجيا، إلا أن جنود ما عرفه بشيرة من حكايات خرافية وساطير لم يعد البير المتخف فيها إذا كانت تعبيراً فنياً على غرار الفن المتعارف عليه في كل الأزمنة، لم لها تعبير حقيقي عن مفهولة الإنسان في حالته البديعية، وتوض خيالي يبع من الروح الجماعية، فشكل سردياً لسطورياً؟ .

لقد أصبح النص الذي يظهر كل الكائنات التي تخرق الطبيعي مصدراً من مصادر المسرد الإذهاعي والفراشي لكون هذا النص يمثل النموذج التحليلي للبشرية، ولعل ألف ليلة وليلة - وأجماح الدارسين - هي أحد النصوص التي تمثل الخوايق الطبيعية، لما فيها من عوالم غير معتملة في العالم الواقعي، لذلك استوفت كل الدارسين والفنانين، خاصة الغرب منهم - على اعتبار أنها وصلت إليهم قبل أن تصل إلى القارئ العربي<sup>(1)</sup> - لما في نص ألفيالي من فهم إنسانية، وصور خيالية، ومرض المظلمات مرئية وأخرى غير مرئية، ورصد للواقعي والمختل للفسن بالخواص، حيث تختلط الأجاسي الجامدة منها والمتمرككة، والإنسان الذي يصبح حيواناً، والحيوان الذي يتكلم فيه من المعانيات والملاكمة، وكل ما يطبق بعد لب المظلمات مما هو مألوف وما هو حرق له، في عالم جهنمي، وصاخب، وممهور بشفة أشكائه، وتروح ألوانه، كل ذلك يسرد فيه من الحكمة الذوقية ما راع من شأن الوظيفة النفسية لأصاليه المسرد .

1 - ترجمت ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية من قبطون خلال عام 1704، في حين طبعها باللغة العربية لأول مرة في مطبعة كلكا [هند] في عام 1844، ثم جامعة طيبة بولاي في القاهرة لياط في عام 1835 ما يعني أن الفارق بين مسجورهما في فرنسا يمثل هزواً زمنياً وهو، 181 عاماً، وهو فارق ليس بالأمر الهين، لذلك كان تأخيرها في القرب، قبل أن يكون تأخيرها في القارئ العربي، ولعل عدم اعتماد العرب هذا النوع من الأدب راجع إلى لظهور الثقافة الذي تدرج إليها من أين التمدد وأبي جوان التوحدي وغيره ممن اعتبروا هذا النوع من الأدب يدخل ضمن الفسح الدنياية التي توصف بالفساد، فسلطت مثل عبارات الاستهجان عدة فتوارها لظهور التمدد سواء كان ذلك بوجه أو عن غير قصد يتباعد لتأخذها النفسية

تعد أصبح الوسط الغربي يبدى اهتماماً بألف ليلة وليلة، منذ ترجمة غالان، مدفوعاً بضرورة التطلع والرغبة في الانفتاح من قواعده العقلية المشددة، والخروج من طوق الكلاسيكية الخائقة. وما هنّ الشرق يبهج ويفري حتى وجد فيه الغرب متعة للانقراج وتوسعة للتمثل. ولم يمد ثمة خلاص غير الانفتاح على عيون الشرق، حيث ترقى عوالم من السحر والجلالية، وحيث لا مجال للتوقع أو الانزلال، فالكشاف الشرق كان مدعاً؛ لأنه حول تشكيل الإنسان الأوروبي، وجعله ينتقل من الضلالية المتدالية إلى اكتشاف الأعماق، حيث يتم بتدفق الوجدان المعاطي، وعند ذلك الصين تعلم العرب كيف يخاطب ذاته ويستكشف أعماقه بشاعرية خائصة وهو الأمر الذي شجع على دخول ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية، إيماناً في التنقيب والتشويق والرغبة الجامحة في الاطلاع على سحر الشرق، فاستلهموا منها عنصر التشويق الذي أصبحت تميل إليه لغة عربية المكتسبة الغربي في هذه الآونة بتأثير من ترجمة غالان للهايلي.

وكانت تلك الشاعرية بداية عهد جديد فريد مع الشرق، ثم شيئاً فشيئاً تحول إلى شكل من التجديد والاحياء. وكانت فرنسا أول من وقع اعترافاً بذلك فلم تبد أي نوع من المقاومة، بل توج ذلك العهد باحتضان الشرق والاندماج - وجدانياً وروحيّاً - في أجوائه الغربية وطقوسه اللامضية، ورموز الصاحرة وطلاسمه الأسرى. كما توج ذلك الاندماج بهزات من الأدب الفونسي سواء في المسرح، أم في الرواية، أم في الشعر. وظهر التأثير بألف ليلة وليلة ممزجاً ببعض المظاهر المطبوعة إلا أنه سرعان ما تنجسها إلى المضمون وأصبح كل من شوريزر وشهرينار مثلاً لهم عمداً كبيراً من الروائيين في اختيار شطووسهم، وسقواً يسيكون قصصهم على منوالها إلا أن أحداً منهم لم يفلح في تقليدها. زد على ذلك أن الجو العام في ألف ليلة وليلة انتقل إلى معظم الروايات الفرنسية ذات الطابع الشرقي؛ فانتشرت الكشوفات المعروضة مثل: العواصف البحرية، والعرق، والجور الخفية، ومعاركة الكائنات الخيالية، والتغلب عليها [لأن البطل يجب أن يتصر دائماً] والتكرير الجنس الآخر... وظهرت كذلك

في الرواية القروسطية الجبراح والمجوراح والمسعور والمسعورة والمسيوات  
المسعورة، ورجال القاطمير، وتطورت أيضاً بعض العادات والشعائر مثل  
الطلاق، وحل الألفاز، وتفسير الأحلام، وعظم الحب الشرقي - كم  
تصوره - حباً فورياً، عنيفاً، مرتبطاً بعاطفتي الفيرة الشديدة والانتقام،  
وبدا البطل الشرقي قدورياً شجاعاً، كريماً، طاعية، ذوقاً بالإنصاف إلى  
ذلك بدأت الحكم الشرقية تظهر على لسان الشيوخ الذين استعادوا  
اللون القومي الشرقي<sup>(1)</sup>، وبذلك حققت الأعمال الفنية القروسطية، وخاصة  
الروايات الرومانسية، بشروط عديدة من السرد المراتبي والمجانب الذي  
تمتد به القائي، بالإضافة إلى نمالاج أخرى كثيرة طمعت بها مختلف  
المصنفات القروسطية والتي رصدت كل ما هو أسطوري أضفى على هذه  
الأعمال طابعاً مثوياً، وعلى النقيض القروي لتبحار لما في هذا النوع من  
الطوارق والمتضلات غير المألوفة لديه، فشمّل تأثير ألف ليلة وليلة - على  
الأدب العالمي - عابرين كثيرة يصعب حصرها، وخاصة المؤلفات القصصية  
والروائية، مثل: ألف سهرة وسهرة، ألف ساعة وساعة، كما تجلّى بصورة  
واضحة من مضامين الأعمال الأدبية القروسطية وإلى الجوانب العامة؛ لسانت في  
لك الأعمال، وكان تأثير القصص العربية البحرية هي «ألف ليلة وليلة» هو  
التأثير الغالب في الأدب الروائي العربي، كما أثبت كثير من الأعمال  
الروائية والقصصية الأدبية بتأثير حكايات المسنداد البصري، وأشهرها  
رواية «كأنه» لقولني، وإن سفر كانعبد إلى المورادو يشبه كثيراً مدامرات  
المسنداد البصري<sup>(2)</sup>.

وبذلك لم يكن مستغرباً من القروب أن ينهل من معين هذا التبع الثري؛  
بذ ومرت ألف ليلة وليلة كل الأجواء الناصية للكتاب والمبدعين أن ينفتحوا  
على آداب الشرق المصري، فأشبعوا رغبات متلقيهم هذا العالم المراتبي.

1 - جمال شحيد ألف ليلة وليلة في الأدب القروسي حتى الثورة القروسطية مجلة المشرق، ج  
191/192، ص 299.  
2 - يطر، جمال مسر مسر: الرواية الآن وشأنها، ص 299.  
www.ajwaal.com

ولعل أكثر الفنون تآكراً بالهياقي الرواية الرومانسية - منها على وجه التحديد - في معظم دول الشرق منذ القرن الثامن عشر، وما تزال إلى يومنا هذا تتميز مصداقها لهم يستلهمون منها مبادئ الإبداعية وقد أثبتت البحوث أنه لا يمكن اليوم إحصاء الدراسات التي ظهرت في أوروبا عن أهمية قصص تلك ليلة وليلة، وتأغلب المكتبات العامة في ألمانيا وإسبانيا وبقية دول أوروبا [حظية بهذا التميز القوي الذي يصير إبداعاً كبيراً لشعوب الشرق. وإن الأدب لا يصرف وقتاً عالياً فهو عالمي الأسبق والحنوي ويصنع منهج التأثير والتأثر نفسه<sup>(1)</sup>.

وقد تماثل اهتمام الفرنسيين بألف ليلة وليلة، وامتد هذا الاهتمام ليشمل فن الرواية بدرجة أكبر؛ لأسباب تتعلق بخصوص الرواية ذاتها ومن جهة أخرى لقدرتها على احتواء ريفها الشرق بكل تنوعاته العاطفية والخيالية، وهو أن القرن الثامن عشر في فرنسا هو بشكل أخص قرن الرواية الفرنسية. فقد أصبحت في شتى أنواعها بالروح والطابع الشرقيين. فالفرواية شبه التاريخية، والفلسفية، والعاطفية، والخيالية، أخذت من العالم الشرقي إلهامها العام، وأهمها حيثياتها الغربية من الصور، وشعوب، وبلدان<sup>(2)</sup>.

ولقد كان حضور تلك ليلة وليلة في الأدب العالمية طاعياً، وأصبح ليتغلغل في أدق المكونات الأدبية. فظهرت الأساليب الغربية متأخرة بطفة مستوحاة من الحس العاطفي للمبدع، ومن تعامله الطبيعي مع الأشياء، وعلمية من وجدانه دون مفالات وتقلص للفن القصصي من العالي التكاليفي، وراح يستلهم قصص الشرق ورومانسيته للحالة عفاهاست هذه القصص خيال الفرنسيين خاصة، والفرجين خاصة، بعد ترجمتها عن

1 - يظفر، عدنان الوشيد. تأثير ألف ليلة وليلة على أدب العالم الحديث. كتاب كبري، ص 19 سنة 1996، ص 172

2 - جمال شحيد. ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي. حتى الثورة الفرنسية. مجلة المعرفة، ع 191/192، سنة 1974، ص 886.

المرتسبة إلى لفاتهم تجاه الشرق، وغرست عند كثير منهم حب الاطلاع والتشويق إلى زيارة الشرق<sup>(1)</sup>، بحثاً عن الزمن للقفود، زمن الحلم والخيال، حيث يستعيد الكائن علاقته بالقطورة والعودة السليمة إلى الطبيعة التي نادى بها كبار الفلاسفة والفكرين الغربيين أمثال الميوسوف سارتر.

وقد لقي الرحالة في الفضل الشعبي لأفك نيلة وليلة فرصة للتذكير، بخاصة في أوائل القرن الثامن عشر، عندما بدأ الاهتمام بالشرق يُحدث وعياً ثقافياً جديداً، فحرص هؤلاء على التشجيع بروجانية الشرق ومعاكاته، فكروا في تعيين أمانيات رحلاتهم، وإنشاء أعاليهم، ومشاهداتهم بأصوب ممتع، شيق، فيه شيء من الهيافة والخرقة، والظنون الصاخر وكما هو يخرجون ذلك كله لأبناء ألفتهم ووطنهم في كتب يضمونها عا جمعوها من حكايات جنابة وقصص طريفة من الشرق الذي كان يمثل في عقول الغربيين بصورة مسخرة اقرب إلى الفتهال منه إلى الواقع<sup>(2)</sup>، وقد شجع ذلك كُتّاب الرواية، والمصور، والطهر، وحتى الفلاسفة الغربيين على التعمق أكثر في امور الشرق، وإدركوا جوهر عطيتها ودلالاتها، وعلموا أنها ليست مجرد حكايات للاستمتاع، وأنها تتضمن بالإضافة إلى مهارة السرد، وهجوية الخيال، قيمياً اجتماعية كالتكامل الاجتماعي، وأخرى إنسانية ذات طابع كوني مثل: النظم، الموت، الخلود... بالإضافة إلى قدرتها عليهم وجدانية فاعمة، حكمت متانة لا متناهية في الحب، وصعدت به إلى مستوى التحلاص البشري، وعظم تأثير أفك نيلة وليلة في أواخر القرن الثامن عشر، ثم طوال العصر الرومانتيكي، وقد حصلت أفك نيلة وليلة كثيراً من قصايا الرومانتيكية منها القريب من واقع الحياة في عالم خيالي طيب مسوي، ومنها المسخرية بالمفارقة، ومنها ترجيح المناطقة على العقل

1 - محمود القدر: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا - سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

1992 ص 146

2 - المرجع نفسه، ص 136.



في الاهتمام إلى الحقائق الكبرى؛ إذ إن شهرزاد قد هدت تلك إلى إسمائيتها، وودّته عن غورته الوحشية لا بواسطة لتطابق بل بالمصنعة، فهدرت ومزاً للحقيقة التي يعرفها المرء عن طريق هذا الشعور والحب،<sup>(1)</sup>

ضمن هذا المناخ الشعري كانت قوى الخيال الرومانسي تعمل على تدمير وثنية (الكلاسيكية) الذي حُرس - لعهود طويلة - سلطة الفنل في تحديد كل ما ليس بها في ذلك للفنون والآداب. وكانت تلك القوى مدفوعة بالقوانين الأجنبية، فعدّل كثير من الفرنسيين عن القيد الكلاسيكية وانغمسوا في أجواء الشرق التي حملتهم إلى فضاء معايير في اند لفة وثنية من العريّة، والحب، والجمال، «ولم يكف المستعربون في ترجمة الأفكار الأدبية العربية إلى الفرنسية، ليرفدوا ثقافتهم بروافد عريّة الإلهام وثنية، وإنما تمازجوا ذلك إلى استلزام الروح الشرقية عمومًا بأجوائها العربية والإسلامية على حد سواء، فنشأت عند الفرنسيين طبقة الشعراء والمصلحين للتأثرين هذه الروح، فكانوا يظهرونهم نوعاً جديداً من الاستشراق يمكن أن نطلق عليه الاستشراق الأدبي، أو الاستشراق الفني»<sup>(2)</sup> على حسب نوع الاستلزام ودرجته.

ولقد وجد الفرنسيون - على وجه التحديد - في لفة وثنية توجهها جديداً في نظرة الإنسان إلى الكون، وعلاقته بالوجود، فملامرات السندباد، وقصة علي بابا، وقصص الجان، والمصرّة، وحكايات الملوك، والبسطاء، وغيرها، إنما تنم عن جدل الوعي والوجدان في مبارقة طنية تحكيها أحلام الإنسان ومفاتيحه، وتكشف في الآن نفسه عن تخلي الحرمان، وكسر جدار الصمت، فسلطة الكلام التي مرصتها شعراء لم تكن لعباً مباحاً لكسر لثقتهم بقدر ما كانت سلاحاً فكرياً لا حشوء انزعي. وبدل ذلك كون الفرنسيون فكرة مضادة من الإبداع والفس، وبدأ

1 - محمد خنمي هلال: الأدب القارئ، دار العودة، بيروت، ص 222.  
2 - سمود القحط، تاريخ الدراسات العربية، لا فرنسا، ص 186.

التمسك بالأشكال القمطية يتلاشى ليحل محله سهولة التعبير عن الذات، ومن ثمة سهولة التواصل مع الآخر.

وبعداً، فإن ألف ليلة وليلة قد دشنت عصرها من التناقص، وتوجت مرحلة من انطواء الفكري والفني جعل القطب الأدبي العالمي يتوحد مع هذا التراث حياً، ويصهرون فيه عشقاً، ويظهر الشرق عند فولتير *Voltaire* واسمياً متنوعاً، يشعل مباحثات فسيحة تمتد من الصين إلى القامبي (إفريقيا) ولكن الرواية التي وصفت فيها شواطئ شرقية متعددة هي *ولاندي كادييه (Conchide)* التي تدور بعض حوادنها في الجزائر ونوبس وطرابلس القوية والإسكندرية، وأزمهر، واسطنبول.

ويرى أن الرواية التي تأثرت أكثر من غيرها بألف ليلة وليلة، فإن سفر كادييه إلى البورنابو يشبه كثيراً مغامرات السندباد البحري. كما وأن بطر فولتير فدري كاسندييه<sup>(1)</sup> وأثر الليالي كما هو واضح لم يقتصر على الأدب الفرنسي على تفجير عنصر الخيال بل كان عاملاً مهماً من عوامل انصاع الرأيا الإبداعية والفكرية، وتجاوز تأثيرها المضمون إلى البناء، فخلقت بذلك نوعاً من الانحلال بين فاعلية البناء الدرامي وشاعرية الإيحاء الشعري. ومن ثمة وجد المرسيون في هذا التشكيل كدأماً من الغرابة والمصغر، والفكيفة والشعر، ولم تكن هذه القصص الشعرية ممتعة طعنه وإنما كانت ملهمة لمعدد من المفكرين حتى أن الفيلسوف فولتير يعترف أنه لم يراول فن القصص إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة<sup>(2)</sup>، وبغضل هذا الاحتكاك المباشر بالشرق انتقل إلى أدب فرنسا هومس الخبايات والمكائد، والخيوة والانتقام، والوفاء، والبدع ويشكف الشعراء والفنانون بهذا الهوس. وشرعوا يسهلون من كدور الشرق سحر

1 - جمال شحيد، ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي، حتى الثورة الفرنسية، مجلة انصاف، ص 259.

2 - محمود النقاد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص 146.

الأبولة وسر جلدتيها، كما حملت إليهم شهرزاد طمساً خرافياً هو مريح من الروحانية والجسمانية؛ أو يتميز أدق هو تصوير عشوائية ممارسة إدسوي/أخري<sup>(1)</sup>.

وبذلك أصبح أحياء فرنسا كمن يتحتمس خطاه في دروب مختلفة تزدهر حصوية وشاذة وبدا للشرق اكتشافاً رائداً تجلى في شجون الشعراء وحيال الأدباء، ولا شك أن اهتمام عدد كبير من الكتاب الرومانسيين في القرن التاسع عشر أمثال «هكتور بوهان» و«لامارتين» و«جيجر دي خيرفال» الذين زاروا الشرق والفرس، دي شيتي و«فيكتور هيجو» و«بريم» فتح آفاقاً جديدة أمام الأدب الفرنسي تجلت بشكل أوضح في الشعر ورواية<sup>(2)</sup>. كذلك طور الفروبيون - بفضل احتكاكهم بالثقافة الشرقية - ريلامة ألف ليلة وليلة - نولهم، وأصبح مثاليًا في الفن والإبداع، واستحوذ هذا التأثير على المسرح «أبو النسن» كما يسمونه، كما شهدوا صرحاً دوائياً استمد، كثيراً من مميزات الشرق فكانت ألف ليلة وليلة رمزاً للتحرر والثورة.

وعكس المصروح الفرنسي تناقضات المجتمع البروجوازي مستوحياً الغشاء الرمزي لبعض شخصيات الليالي، فـ «المصراحة الفرنسية» التي أبرزت بؤس علي بابا، وشراء طاسم، إنما أرادت أن تعبر بصورة عزلية عن عذاب الفقراء والمسيكين من المال الذين خرجوا إلى الجهاد دون أن يتعلموا أية حرفة أو مهنة مثل علي بابا، فوشموا ضحية استغلال البروجوازية للفنية التي يمثلها طاسم، أما زينة فهي تمثل موعبة من نساء الطبقة البروجوازية التي تسلط على السلطة والجاه ولا تتورع عن اتخاذ أية وسيلة لتحقيق مآربها<sup>(3)</sup>.

1 - جمال شحيد: ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي حتى الثورة الفرنسية، مجلة أكاديمية ص 289

2 - همام أبو الحسن: ألف ليلة وليلة في المصروح الفرنسي، مجلة هسولج، ج 3، مجلد 3، سنة 1982 ص 177

ولقد تعكس الأديب الفرنسي من تغيير الرموز الشرقية غير أن صيغهم بالثقافة الكلاسيكية جعلهم يبالغون في قسح الطولية الغربية، فتميزت تلك المبالغة إلى الواقع الشرقي مما لم ينصف الثقافة الشرقية، بل ربما أسبغ فهمها لدى بعض مستقبليها، ومع ذلك كله «فإن ألف ليلة وليلة التي غوت المسرح الفرنسي قد اعتدت - رغم اختلاف موضوعاتها - على قاسم مشترك أعظم هو تصوير الجو الشرقي وبيئة الشرقية بشكل لم يخل من المبالغة، وظلت تعتمد على المبالغة في وصف البدخ الشرقي والأحاسيس والشعاع القهائنة»<sup>(1)</sup>. ولقد تكون تلك الداعية التي واكبت الثورة الفرنسية بداية اتحاق نام من سلطة الملكية المتضخمة، جعلت الفرنسيين يقلعون باتجاه الشرق، بحثاً عن مصادر تأملية تخفف ألهم الروحي، ويهيئهم عن الاستغراق الشهواني الذي يمكن أن تشير إليه بعض الجهات المختصة.

ولقد وسعت ألف ليلة وليلة عصوراً كاملة برومانسية استمرت في تأصيل العمق الروحي للإنسان، وتجاوبت مع أحاسيسه الطهيبي بالأشياء واستمدات علاقته بالتمثل، والبساطة. ولوجدت لديه نفاقاً مبتكرة من العصر، والمفطنة، والخيال، وارتقت بوجدانه إلى مستوى التقاء البدني، وكان نقاد نهاية القرن التاسع عشر قد قدموا تفسيرات مسبوقة لفنية النجاح السريع والكاسح للكتابات العربية، فهي سهل الفال كتب من أي لوي نجله أنتنك مانتلي *Antoine Manteau* عام 1889، مؤكداً جدة المشاهد الشرقية، وهاء الماطنة، ورفعة النكاسة، وفسوس الحياة، ومواصفات أخرى أدهشت الفرنسيين، ويحكم معرفته بالناخ «تتألف في فرنسا آنذاك رأى دتوي أن هنرياً عاشت طويلاً مسرحيات *Cornille* و *Racine* وكتابات *Bouvet* وفسنة *Bayle* ولم يكن غير *Molière* ميراً من فكاة الحياة، وفي هذه الأجواء جاءت ترجمة عادل لألف ليلة وليلة.

1 - المرجع السابق، ص 383

فكانت شيئاً مثيراً، غريباً، وممراً: فيها انفتحت أبواب الرومانس الشهية غير المعهودة، وعُجبت بأرياس بالأفانيسم<sup>(1)</sup> ولم يتردد أشهر الأدباء في اقتباس معاني للشرق، وضَمُّوها لإبداعاتهم القصصية والفكرية، وظلت الحكمة الشرقية خلاصاً للحيرة البشرية وجد فيها الغربيون متغساً للقلق الوجودي، واستأنسوا فيها بسلام داخلي، وجوهرية فاصلة، وما كان لدى الاطلسي أن يشعر أولاً ذوا له أية أية بطلان علمية مستولت الوعي العربي، ورشفت لديه مبادئ جَمَّة لوقت بالحبس الإنساني، بولذلك يجد كثيرين من انصار ملازميه، وتلاميذه، يترجمون، أو يترجمون، بالأحجية، يفتحون الأدب العالمي، ومنهم من اتخذ الشرق مادة لكتابته مثل أناتول فرانس *Anatole France* الذي تنسّى في أفروديت بالمجتمع المسيحي الغربي، والفنسي جيد الذي له صلات إنسانية وأدبية بالشرق<sup>(2)</sup>.

ولقد أغنى التشبث بحكمة الشرق أسلوباً جديداً في الكتابة، استكملت الآراء في تحرير اللغة، وتكرس معها الإيحاء، وتداهي الرموز، وانبعثت في أفق التفاعل بين الحضارتين - شرق / غرب - روح إبداعية غير معهودة استسلم لها النوسط الأدبي المتكسر، ولساق وراجعا، متطلماً إلى إبعاد يدين غير مألوف بفلسف القارئ الفرنسي من المكون والمداول، وهكذا تدرى أن الشرق في الأدب الغربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر مرّ في مراحل ثلاث: مرحلة الفضول، مرحلة العلم بإمكانية بناء أشكال جديدة من طريق الشرق، ومرحلة اعتبار الشرق كإطار لمرص الأفكار الجديدة، ومن المؤكد أن ألف ليلة وليلة فتحت حدود الشرق لهذا الأدب الفرنسي المتعطش آنذاك إلى التجديد والافتتاح<sup>(3)</sup>.

1 - محمد جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، ص 18

2 - هادي أبو الحسن: ألف ليلة وليلة في المسرح الفرنسي، مجلة صدى، ص 179

3 - جمال شهاب، ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي حتى الثورة الفرنسية، مجلة المعرفة، ص 85.

ولا ريب في أنها سبغى شاهدة على رقي الإنسان الذي مهما سبغ  
به بمراتب فإنه يمتثل معارفه وعيد حاد، فهداه من التصاح مع  
نات ومع الوجود، وبكفي في الدنيا مشهور أني بدعها حياض المصراع ما  
نور بمفصلا بكثر الأمر عزله وعموصاً

والد كانت ترويه هي على حد تميز المقادير الاستقلال من الجهد من  
بجربة فإن تدينه وثينة قد نأج العربيين بماينة التيريه  
بدينه واكتساب ملامحه عطفية، وثيس مصادفه يثبت عن هد  
نور القصص لنعني على حارة الأدبية ويعني الأمر بزم بيه  
في مصف من مع تليدي ونوعه مع بداية المدعي في العريين مكنية  
نفسه وثينة عبر كاس من حور توحصه بحرية العريين مكنية  
والاستمناج، والاستلهم

ولقد عرف العربيون بصفة خاصة، والأوروبيون بصفة عامة، أن  
هذه وثينة واستعملوها من كل نوات ثمانية، وهو معارف العرب  
معارفهم من محبها وأزادوا بها في سيد حساب رجزها مستعملين  
عربيون ما عربة شمول كل عند بعض حارم، وما لدى كسب حدهم  
عن لأحر الأسقية في الأمرات هذه لأحار؟ والتي في هدي وهلو في  
اكتشاف سحر الشرق؟

وقيل كنت كيف سيقن عربيون أنف وثينة بوضعهم ول من  
معرفة بها عن طريق ترجمه خطوط عالان؟ وما هي لأسئلة هي  
بحريها، ونسب على تاريخها، سبأية؟ ومن فتشها باليهف على نعمة  
لحمية م نه محارب ديفد أني مصبور اندام الفكرية؟

تقودنا هذه الأسئلة بعيرها إلى معرفة إلى هم سلام وروب  
لشعبيين على الفانية وثينة، وندين كد لهم نصيب الأول في حراج نص  
نينا في مند في بقطاب ولادتها في حرب ونماسي مع الفاسم الأوروبي  
بأخلاف لماته وثقافته

هذه الأسئلة وعيرها هي ما نور الأحداث بها في لمبحث ثالث من  
هذا الفصل.

## المبحث الثالث

### المكان والمكانة

### في ترجمة ألف ليلة وليلة

أولاً - رحلة شهرزاد إلى فرنسا

لقد كان الشرق ملائماً حقيقياً لنظرات الغرب بوجه عام، في الوقت الذي كان فيه الغرب ينظر إلى الشرق نظرة الريبة، والشفك، والقصور، والخطيئة وما أن جاء دور الاستشراق حتى غير رؤيته نحو الشرق، واستجاب لدور الحضارة المصرية الإسلامية وثقافتها عبر وسيط أنطوان هالان<sup>(1)</sup> الذي كان له الأثر البالغ الأهمية على هذا التفسير أكثر من غيره من المستشرقين الذين سبقوه.

1- ولد أنطوان هالان في قرية صغيرة من رول، بكنادي، «Picardin, Rollon» سنة 1846 تولى والده بعد في التوأمة من عمره بترك لأمه صبية لطفل أجنبي، تكلمت به بعض الأقارب الراجعة، ليتصل بالدراسة، لكن سرعان ما وجد نفسه يائساً مرة أخرى وهو في الرابعة عشرة من العمر، تولى المدرسة وعاد إلى كوخ أمه متعسراً على أيام دراسته الحرة، عاد إلى رول «Picardin» ها حيث ولد، واشترى المنزل بصرته الأرض، فيها زبد الفخر هم زمانه، كان مسلحاً حريماً، لكن الأمر كان معزناً بالنسبة إلى شتي سيرة له وفي شراً فوجين «Virgile» و«ميريس» «Maurice» في نهاية المطاف فقد تعلم طويلاً من اليونانية، واللاتينية والسهرية أيام الدراسة لكن ختلان ما بين الحقيقة والغمر في رول «Picardin» ما وجد امتصاصاً، منقولة بالشمع والتمساع الأمل والدراسة سجداً، قرر الذهاب ببداً، بشأ من العلم الذي لا يستطيع التمسك دونه، وتوجه إلى باريس حيث يكاد لا يعرف أحداً هناك هذا حاله التي تحدثت به إلى شيخ مسيحي فوجد له مقعداً في مدرسة «Flandre» إلى أن أصبح من أكثر علماء الآداب القديمة، كما درس اللغة العربية في كلية باريس الملكية، وتلقب في هذا مناسم، «ديوناسيد» وحاز على شرف الدكتور إلى «Sorbonne» ومن ثم رابود الطريق الذي قادته فيما وجد إلى أعظم الاكتشافات.

ينظر

Antoine Collart: Les mille et une nuits, Tome I - Bouling International, Paris, 1996, P. 89.

وتقد أثيرت الليالي أنطون غالان، وأدهشه سحرها وسردها العرائشي،  
 وشدته بحياتها المعجوي، ويكون بذلك قد وفّر للفريقين على وجه العموم،  
 بحثاً مختلفاً لم يأتقوه من قبل، وفتح لهم مجالاً جديداً يتمثل في الأدب  
 العرائشي والمجاشي. وتعودنا الأيام للشقاء التي عاشها أنطون غالان،  
 ونشعر بالأسلاك والضيق، فإن حضوره بذلك الامتلاء والاحتواء، من  
 أدب المستغنى، وتلك لشاعرة القصيدة كان وليد ظهور ترجمته لألف ليلة  
 وليلة إلى اللغة الفرنسية بين 1706 و 1717، في التي عشر مجلداً، إذ يعود  
 له الفصل في اكتشاف أعظم النصوص الأدبية العربية في الشرق، وينتقل  
 الأمر بمصنف من الروايات يبدأ من القرن التاسع (9)، وتستمر حكواتها  
 في السهر إلى القرن (16). وقد احتدم الجدل حول ما إذا كانت أصول  
 هذه الروايات عربية أصيلة (مصرية - سورية) أم فارسية، أم مترجمة إلى  
 العربية، لم نقول إنها برولوية مصرية،<sup>(1)</sup> والأهم من ذلك الجدل هو  
 التمسك غير المسبوق لهذا المصنف الأدبي الذي اكتسح الأدواق، وضاعف  
 من دأرة اهتمامه.

وإذا كانت معرفة الغرب بالشرق قد حدثت في القرن الخامس عشر،  
 كما ورد عند غالان في قوله، فإن خمسين الليالي هجسة، وسبق أن أخذ  
 منها المؤلفون الأوروبيون القداس الشهيء الكثير منذ بدايات الاتصال  
 بالشرق خلال الصروب المسيحية<sup>(2)</sup>، فإن هذه المعرفة قد تأسست وازدادت  
 مثانة مع ظهور النص القصصي متمثلاً في ألف ليلة وليلة، وانتشاره المبهج  
 إلى بداية الاستقبال. وقد دلت معظم الدراسات على أن أنطون غالان هو  
 بحق مفجر شاعرة الشرق، سواء ببسته المؤريب وتنقيحه المستمر من  
 الخطوط، أم بتملكه الفني إلى عوالم شهرزاد والتقاط عبقها المسري.

1-194 p. 7.

2 Mohamed Abdel-Halim: Antoine Galland - sa vie et son œuvre, Paris, 1964, p. 299.



الذي صنع بهاء الليالي الشرقية. فـ في أواخر القرن السابع عشر حدث كسفاً كان نقطة تحول في تاريخ ألف ليلة وليلة ومصرها، فقد نشر المستشرق الرحالة ليطوان غالان على سقوط عربي قديم لهذا الكتاب فخره بقلبه إلى اللغة الفرنسية. وكان غالان من أساتذة الكوليج دو فرانس Collège de France ومن المتشبعين بقواعد المدرسة الكلاسيكية التي تقوم على مراعاة النون، والتلفات، وتحاشي اللبائذ ومن هنا جاء رد عنه حيال التمسك للجويّة مبادئاً بوقف الشرقيين منها، ولكنه أدرك قيمة الكتاب، ولم يحكم عليه بالموت جراء عيوب يمكن مبالغتها. قام هذا المستشرق بعملية تطوير النص من المخطوط التي خلقت به على مر القرون واختار من القصص ما يتناسب مع ذوق الجمهور<sup>(1)</sup>. وهذه الترجمة تكون أنطواس غالان قد نقل سائر الشرق، وحول أنظار الغرب إلى أحلام ليالي شهرزاد، فأنجست الأرباء والضمراء واستسلموا لإيقاعها، وأصبحت ألف ليلة وليلة حديث العامة والخاصة؛ بل إن حكاياتها تحولت إلى نوع من الترفيه المدهش في عصر كان يتبر بالرزنة واللبات. وكان أنطواس غالان شديد الذكاء وأصبح المتطلع عالماً بالأدب القديمة، وكان لديماً ذا قلب، ولم يكن مترجماً عبقرياً، بل ألبس ترجمته ثوباً أوروبياً، فزها إلى بلدها قرائه وأدراهم، فحسنت ألف ليلة وليلة على يديه في خرو خيال القارئ الأوروبي حتى يومنا هذا<sup>(2)</sup>. ونسب التحول إلى تحول الفرنسيين مصحوباً بهيمنة الذهنال القصصى لألف ليلة وليلة وفخائلها الشارقي، وجوها انخراطاً وتداخل بنائها، وتدهق لغتها، وظهر كل هذا بأستوب غالان مظهرها إلى النص الأصلي مشهوراً ورموزاً لإعفاء روح لورويّة. وقد جمع بين مشقة تقديم وحدة التصوير. وهذا الأوروبي الفرنسي الذي أوجد نصاً معياداً من أشباه كثيرة متفرقة كانت، بين يديه، فهو لم يكن مجرد مترجم

1 - صام أبو النجس ألف ليلة وليلة في ليمون الفرنسي، مجلة فصول، ص 179

2 - فاطمة مرسي: مخطوطات ألف ليلة وليلة في مكتبات أوروبا، مجلة فصول، ج 4، ص 12، سنة 1994، ص 61

لهذه القصص المرفوعة بل بالأحرى كان مستقراً للقاعدة غريبة هي سلسلة لألف حكاية وحكاية من مسج الخيال،<sup>(1)</sup> لتحدث بذلك حرة في مدار اختيارات قراءتهم السليقة، ومقارنتها بما استحدثته هذه اللبالي في ذاتهم، وتتسجم مع ملموح خيالهم الرومانسي.

ولقد حققت ترجمة ألف ليلة وليلة لأندريه غالان شهرة عا كس ليجعلها، وأوتبط اسمه بالزمن الشرقي متمكلاً في أثيري شعورنا و كجدير بالفكر أنه ما كان ليهتني له ذلك لولا استقلته من حضوره في الشرق، وتصاله المباشر بسكانه، ومطابقتها الحقيقية لواقعهم هناك، كان مبعوثاً فرنسياً، ملحقاً بالبعثة الدبلوماسية في القسطنطينية، ولتمكن المذكرات اليومية التي كان يسطرها حينذاك أنبهاره بالمخطوطات الشرقية وسميه الذوق عليها، ويبدو أنه كان يتعنى باهتمام البعثة حين يضمن في النصوص القديمة، كما كان بالغ المراجعة في التقاطها<sup>(2)</sup>.

هذا ظهل من كثير مما تطلق بهياة لندريه غالان ورطته إلى الشرق، أما ما يهمنا فهو العمل الرائع الذي ظفده وكان قد أنجزه بأكثر قدر من الكفاءة شملت بالإضافة إلى التحصني البحثي الموثق، المقصرة الإبداعية، سواء فيما يخص معرفة الأدب القديمة ولغاتها، أم فيما يتعلق بثراث الشعوب المتنوع. وقد وجد في ألف ليلة وليلة تمثيلاً رائداً لأحلامه في الصمود إلى الغنى، وما روج لهذه الترجمة هو تعليمها بدم أوروبي، بهدف تقريبها من القارئ الأمر الذي استوجب عليه الترجمة «بتصرف لكن باعتدال ومهارة، بحيث استطاع أن يجعل الحكايات الشرقية قريبة من ذوق العصر، وبخاصة الذوق الفرنسي» وقد امتدح لوفسته فولكاد كون هينجل طريقة غالان لأنه لم يجهز وراء التمتة المتكثفة، التي عرفت في لغة ألف ليلة وليلة في النموذج الأصلي. ومع ذلك لابد أن نضيف هنا إلى أن

1 - دما هياي، أساطير أوروبا في الشرق من ١٩٠٤.

2 - المرجع السابق من ١٩٠٤.

الشوب اللتي خلمه غالان على ألف ليلة وليلة لم يكشف سوى بعض الصفات الحقيقية التي امتاز بها كتاب ألف ليلة وليلة. وهي: التوضيح، البساطة، الرخاكة، البهجة (1)

فعم الشرق للعالم إذا، فضاء بكراً من لكمة، وللملح والحيال، اضرمت به ألف ليلة وليلة مشاعر الأوروبيين، فاستلهموا ومرو ذلك الضمير، وأعادوا بناها، وسعروا أجواء الشرق لخدمة لغواضهم للفتنة التي انسجت بفصل المؤثرات الأجنبية إلى ألف ليلة وليلة. إذ صنعت انصاعهم من الحب، وحكاياتهم عن المصاعل، والأشجار، وعريف للشرب عوالم من البحار ذات والخوارق تتجاوز حدود الكائن بالخرق عالمه الأرضي، ولذرك الفرنسيون والأوروبيون بامة، كيف ينشئون عوالم من القرابة والوحي، وينشغلون بها واقفهم، فبذل، وكهم يقارنون فناجهم بنجاح خبرهم ضمن القصة على القائل مع الآخر ليدمجوا فيه جهدهم الإبداعي الخلاق.

وبذلك تكون النهائي قد أحدثت انقلابات في الخلق والتصوير والفهم واستعان بها كبار الكتاب في ابتكار الأدوات الشعرية، والرموز الفنية، والحبكات القصصية، فطورت لديهم صناعة الرواية والتمرح والشم، بأبعد ما كانوا يتوقعون.

كفي ذلك كان بفضل ما أهداه تطويع غالان لأبناء لغته، حين نقل إليهم أرض تراث الإنسانية شامخة، وأكثره سحرًا، وورغم التصريف في الترجمة بشأن تقريب النص العربي إلى الذهنية الفرنسية فمع ذلك تبتس ترجمة غالان هي الترجمة التي اعتمدها معظم الناس - وما أكثرهم - الذين قرؤوا حكايات ألف ليلة وليلة في اللغة الفرنسية. والحق يقال إن النص الفرنسي كتب بلغة ناعمة، سليمة، جميلة علوها الفارئ الفرنسي بمهولة بحيث لا يشعر أنه أمام نص مترجم (2).

- 1 - كاترين برمن: قوته ألف ليلة وليلة ترجمة محمد المصطفى، وزارة الثقافة، بيروت، 1980، ص 10.
- 2 - جمال شديد، ألف ليلة وليلة والحب الفرنسي حتى الثورة الفرنسية، مجلة المعرفة، ص 224.

ولم يكن نجاح ألف ليلة وليلة يسيراً، ومع ذلك اجتمعت عوامل عدة لم تثبط غالان عن معيئه، كما لم تُضعف هزيمة ألفريد فينر، أو تقلل من اهتمامهم بتشويق القاريين، وزاد من ذلك حرص معظم النقاد ورعايتهم بألف ليلة وليلة التي وجدت لديهم خلوداً ومكانة مرموقة، رغم مرور اليمص الآخر لأسباب تتعلق بعدم الأمانة في الترجمة، وعدم الفوفاء للنص المصدر، ومع ذلك يمكننا حصر عوامل نجاح ترجمة لوطولن غالان في النقاط الآتية:

- ثقافة لوطولن جالان الشرقيّة وإلمامه بالأدب القديمة ولذاتها.
- دراساته البعثية، وتكوينه الأكاديمي، واهتمامه بالخطوط.
- تمكنه من مميزات مواطن التلاقي في الأدب وما لهذا التلاقي من تأثير وثأثير. [حيث أصبح فيما بعد - هذا التلاقي - يرسم بين الأدب المقارن الذي يهتم في دراسة أدب القديس بفرس الناطق الحضاري والتقارب الفكري].

- موهبته المتميزة.
- رومانسيته المبكرة التي تعود إلى أيام الطفولة في ريف La Plaine.

- ذوقه الكلاسيكي المستقر.
  - معرفته بثقافة الجمهور، ومشتريات القيد.
- ولعل هذه هي أكثر العوامل إسهاماً في نجاح ترجمته، وإشغاره في أوروبا، وتشهد جل الدراسات بتشويق هذه الترجمة التي كانت لها تأثيرات واسعة في الأوساط الأدبية، وفي نفوس المثقفين والمثقفين من أبناء الطبقات الفقيرة، ومارست على الفرنسيين إغراء كبيراً جداً، لأنها جاءت في وقت كانت الأدب في فرنسا تمر فيه بأزمة خطيرة؛ ذلك لأن الجمهور قد من سماع أدب اللاتين واليونان، وتعب منها<sup>(1)</sup>.

1 - مسرد النقاد: تاريخ الدراسات الأدبية في فرنسا، ص 146

ولم يكن الطوفان جمالي، بلزماً يكثر مما قدم لأوروبا من جواهر الشرق؛ إذ يكفي أنه مقيج شاعريته، خصوصاً وأن العالم ما يزال يحتفظ له بذلك الفضل، ورغم اختلاف مواقف التقاد وانحياز بعضهم إلى ترجعات أخرى لاحقة كترجمة مافروس، أو كزمرسكي (Zimmerski) مثلاً، وعبرهما، فلا أحد يستطيع تجاهل عمل لتمانون الملائم المتميز، على الرغم مما لحق به من دوافع في نظر الكثير من المستشرقين والدارسين.

وقد لا ننمذّه حقّه إذا دققنا في إنجازاته بتطور عصرنا الذي ملّوت إليه النساءيات والعصماتيات أنظمة ومناهج جديدة للتعجيل والحصر. لقد كان هدفه هو نقل تراث فولكلوري ضخم غير منظم ومشتت بين جذور، وأصول، ذات أوراق متعددة، ضياع ترجمته بكثير من التصرف، وذلك بإعجاز من لفته، وبمقتضى السياق الكلاسيكي المسيطر آنذاك، حين «كان القرن الثامن عشر يمثل سيادة الأدب الكلاسيكي والفهم التقليديّة الراسخة في كلّ الفنون، وكان الأدب العربي هو المثال الذي يحتذى في الآداب الأوروبية الأخرى، فطلعت ألف ليلة وليلة ظاهرة ضياء غالبة تمثل اللقيض الصارخ لكلّ مقتضيات الفن الكلاسيكي الصارم، فكانت قدّ في أعين أصحاب الأعمال وأساطين الذوق السليم، لكن جمهرة القراء وجدوا فيها عطفاً للخيال المصرب، والتملق، وأدرك الكتاب والناسخون اختلاف السوق بهذا النوع من القصص، فضحوا يديهم حاجته إليها، فلذا بظاهرة أدبية جديدة هي فن أو (موضة) القصص الشرقي تنتشر في فرنسا، ومنها إلى بقية أوروبا»<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على أحد أننا نحس التأثيرات التي يخلقها القصص الشرقيّة، فهو يتجسّم في الغالب عوالم مفارقة للواقع، تنبثق العقل وينعش بها أبطال خيالهم، وكانت تلك حراية، وتعتمد بالأساس على صناعة للشهود الحارث

1 - عالمة موسيقى مشهورات ألف ليلة وليلة في مكتبات أوروبا، مجلة فنون، ص 22

في سرده الفسوفاتي التي يحتوي على أحداث «هوق طيمبر»

والجدير بالملاحظة أن التخصيص المعطائي في نظر الباحثين - كما عند دورونوف<sup>(1)</sup> Todorov - جنس يعمل المنطقي الذي يتعامل بطبيعته مع القوانين الطبيعية على التردد: إذ يواجه أحداثاً «هوق طيمبر» بين تفسيرها تفسيراً طبيعياً، أو تفسيراً هوق طيمبري<sup>(2)</sup>. كما يهدف إلى مضاعفة الإحساس بما يُروى أكثر من الروي نفسه، وهنا تتجلى إدراة الحكمي وكأنها هي التي تنقد، وبذلك/وتطلي وتأخذ / وتفسر، وتطغ.

يوجد انطواء خالان في ألف ليلة وليلة تجسداً حقيقياً لهذا العمل من الحكمي، لطرافة المدهش إشكلاً ودلالةً وحاول بما يمتلك من موهبة تقريب الفارئ الأوروبي من ذلك الإحساس، تتجاوزت لديه الترجمة مفهوم النقل الحرة إلى ابتكار طريق خلق طقس مطابق لأجواء السمر والخرافة، وليس غريباً والمثال هذه أن يختارها الفيلسوف الوضعي - الهنسي أوفست كوست (1796-1867) لتكون من بين الكتب المهدية بالقراءة.

ولذا كان الأمر كذلك فإن السؤال الملح الذي يراودنا هو: هل أخصت لترجمة أنطوان خالان في الانتقال إلى عالم الشرق المصري ونقله إلى المغرب بكل ما فيه من تشويق وجمالية فنية؟. ثمل هذا ما سوف نتطرق إليه ضمن نخبات ألف ليلة وليلة عند بقية المترجمين الذين رغبوا في تحقيق المهمة من هذا النص الفسوفي، بعد أن «أتمش نتائج المجهود الأولي الذي أنجزه روائع الطبعة الشرقية عند تشريب المزيون منذ زمن طويل

1 - مزيجان دورونوف [Dorion Todorov] فيلسوف فرنسي ولد عام 1909 في مدينة صوفيا البلغارية يعيش في فرنسا منذ 1969، ويكتب عن النظرية الأدبية، تاريخ الفكر وشرعية النقاد.

2 - مزيجان دورونوف: مدخل إلى الأدب العجائبي: ترجمة الصديق بوعلام، دار شرقيات، القاهرة ط1 - 1994، ص 200

«نقطة الشرقية التي لمحيها بالسر أو بالملازمة قبل كلف لينة ولينة، وقبل شرقياته فيكتور هوجو... لذا لم تأت مقارنته مع *André Gide* لأن لينة ولينة بالتوراة من سبيل المصلحة».

ولقد جاءت ترجمة غالان بعد أن سئم المثقفي الفرنسي من أعمال انهكت دوقه الفني، وأجهدت حسه بما لا علاقة له في تقبل ضرورة التقيد بالمرور والمثقف يفعل الأدب الكلاسيكي الذي تجاوز حدود المد الرمي المقبول، بعد مرور أزيد من ثلاثة قرون، بالإضافة إلى كونه يدعو إلى مطلب التوجه من خلال البحث عن الحقيقة، وبحسب القول المأثور فإن «كل شيء إلا زده عن حده القلب إلى ضده». وفي هذا دليل على رغبة الفرنسيين في التوق بفسح المجال إلى أن يفض بخله، فلم يجد بداً فيما أثاره الطول غالان من حزة في نمط الكتابة القصصية الجديدة، ويمثل هذا النوع في قصص للمجانب *Romans nouveaux et romans étrangers*، وحكايات الجن *Cento de Fem*، ويدعو أن هذه الهدية تسهم مع الحساسية الجديدة: أي الحاجة إلى خيال جديد يقابل خيال الكلاسيكية المتيقن... وليس غريباً أن تصور الليالي على [هجاب الجمهور، وأن تقال هذا اللجاج الفكري، فظهورها جاء موثقاً لتحول في الذوق الأدبي الفرنسي، ومنسجماً مع موجة الحكايات والقصص الجديدة التي كان يمددها كتاب مملكون من أمثال بيرد، وريشاشك، والألمنة دورشان، والصيدة سيرا وغيرهم<sup>(1)</sup>، أنصف إلى ذلك أنه وجد في هذا النوع الجديد ما يوهي بمراجعة ذوق المثقفي الفرنسي، وحسب المرء مع لكل إلى سهولة الملاحظة ويسر ملاحظة، ولا خرابية في ذلك ملداسة ترجمة لمطول غالان قد أرت دورد، بالقيمة الملائمة في نقل سمات جديدة للفوق العربي بوجه عام، حيث أشرت تأثيراً قديماً يتضمن قسماً واضراً من الخصائص والسمات الأسلوبية، مما يتطلب حسانية خاصة بحسب ذوق المثقفي؛ لذلك وكاست

1 - شرفي عبد الواحد: اللينة ولينة وكترها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر، دار العرب للنشر والتوزيع، 2001، ص 46.

مصنوع ألف ليلة وليلة جديدة على القوميين كل الجدة في نفسيته،  
وأصولها، وموضوعاتها، وأجولتها العامة، وشخصياتها، ولستبطانها لغوا  
النفس البشرية، وغرائزها، وطموحاتها، وآلامها، وعناصر الخير فيها  
على حد قوله (1).

ولم يكن يد من تنامي أثر الليالي في الأدب الفرنسي وتسلل ضياعها  
الإبداعي في نفوس الفرنسيين فاستمعوا ذلك في محاسنها بجمع تراهم  
الشعبي عن طريق المشاهدة، وغبة في الوصول إلى إشباع ميولهم في مجال  
المرج العجائبي، جمعت حكايات من قبيل ألف ليلة وليلة كثيرة مستمدة  
من الأدب الأوروبي في الأرياف على نحو ما فعله شارل بيرو C. Perrot،  
ونيسن De Lamoignon، والآنسة دو لهرت De Lamoignon، وما قام به أيضاً  
هاميلتون Hamilton وغيرهم ممن اهتم بالمجموعات المروية المستمدة من  
ألف ليلة وليلة، والذين حاولوا إبراز البعد الأنثروبولوجي في هذه المجموعات  
الفصلية الشعبية، كما حاولوا التركيز فيما يمكن استنتاجه من الليالي في  
مجال نقل خيال موروثهم الشعبي، وتحديد بنياته الذهبية، ولم يكن نقلهم  
معزود التركيز على الأنماط والتراكيب وإنما تعدى ذلك إلى نقل كل ما هو  
فني وأسطوري، ومن ثم يمكن القول إذاً إن اعتناء الأوروبيين بجمع أدبهم  
الشعبية - بعد ترجمة الليالي - فاق كل تصور لإدراكهم مدى أهمية هذه  
الأدب في حياة الشعوب فلم تبقى دولة أوروبية لم تُسجّل بجمع حكاياتها من  
أفواه العجائز والريفيين، وتمتثلها في مجموعات، تاهلها عن بعض الأعمال  
التي قلدت ألف ليلة وليلة؛ إذ استوحى كثير من الفرنسيين من الليالي أسماء  
لكتبهم مثل: ألف ربح ساعة وربع ساعة، وألف ساعة وساعة، وألف سهرة  
وسهرة... وقد اتفق النقاد على تسمية هذه القصص والروايات الخرافية بـ: «  
منحقات ألف ليلة وليلة» (2).

1 - محمد الحقداد تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص 148.

2 - شريف عبد الواسع ألف ليلة وليلة وأثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر  
ص 78-89.



لقد عانى الكتاب الفرنسيون الكلاسيكيون من مهمة توصيل قصص  
 انحبس التي سادها العقل إلى متلقيهم نظراً إلى نظورتها إلى المبادئ  
 الأخلاقية، وتجسيد الجمال في قيعه النبيلة البجودة، وما يجعل شعوبها  
 قريبين من الشعوب الواقعية، والتخيلة الخيالية، وهذا ما جعلها أكثر  
 إرضاءاً عن حقيقة الإبداع في نظر الجيل الجديد آنذاك، كونها فبتعدت عن  
 تطورها إلى التغييرات أو التزوع إلى الخيال، ما حال دونها ودون للقراء  
 الشباب، كتمسكين إلى إثارة مشاعرهم العاطفية، وساد الأمر على هذا  
 النحو مدة زمنية معتبرة إلى أن تملك ألف ليلة وليلة إلى قلوبهم، موجوداً،  
 طويلاً، عبتهم، وأعطت مفهومها جديداً للعب بتكشفت عن ذاته، وبمرض  
 نفسه ثورة في الحياة العاطفية... فقصي أعمال راسين كان الحب صعباً،  
 وأما في الليالي فإنه ينوع المشهورات، حيث القانون الطبيعي الذي يطلو على  
 كل المحرمات، فيصبح الكائن البشري أن يفوض في أعمال ذاته.. إنها  
 تتحدث عن تيرس العاطفة وغلافها، عن شرارات القلب الساخنة، عن  
 هموم الحب، وحكاياتها، تسبح في جو من اللذة الجسمانية، وغالباً ما تكون  
 درامية، على النوام شمولية والحب الذي يتولد من جمال الأجساد  
 المثالي، يعزج بهادة السعادة واللذة التي لا يحقها عنه<sup>(1)</sup>.

وليس غريباً أن يكون الفن القصصي المتأثر بالليالي قد حاز الريادة  
 في الآداب العالمية، حيث ألهمت ألف ليلة وليلة أعمال الكثير من المبدعين  
 الفرنسيين - وغيرهم - وأبرز هذا النوع من الأدب بتأثير من  
 الضلع إلى الشرق، والإقبال على مجزاته التي خبئت مجرى تصوراتهم  
 لطيفة، واستخدموا مهاراتهم سرية الليالي كرو فعل ضد ما كان يكتب  
 بتوجيه من الكلاسيكية، وتحديد الروايات التي تميل إلى العقل.

ويمكن اعتبار انشاء الفرنسيين إلى ولزم المتأثر بالليالي أيضاً سره  
 الانشاء إلى الرضبة في التصور من الشيوخ الموروثة، والحرص على حرية  
 الفكر، والسعي إلى جعل التوازن بين ما هو عتيق وما هو عاطفي، وبين ما

1 J. Guichard: La vie mille et une nuits. L'Introduction d'André Gide: 14.

هو ولقيمي وما هو خيالي- ويحس ما هو مثالي- وصحلي من خلال اللمة  
 التصور الخيالي واستهداف النصة لا تعوق النص. وهذا ما جعل  
 الفريسيين يمتدحون هذا العمل الذي قال عنه التلغد الفرنسي سقندال، بعد  
 ان أعجب به إعجاباً شديداً، إنه تمنى أن يصاب بقتلان المأثرة حتى يمد  
 قربة حكايات ألف ليلة وليلة ويستمتع بها. كما أسمى إليها في أول قراءة  
 لها أما المثلوث فولس فقد أكد أنه تتلمذ على حكايات ألف ليلة وليلة قبل  
 ان يكون أدبياً. وقد رُخِّرت الأعمال الفرنسية بهذه التوجهات التي وظمت  
 لألمة المبرزة المستعربة من الخيالي- وهي كثيرة- وتقوى كل حصر، يمكن أن  
 يستأخر ببعض الأسماء التي كان لها التعصب الأكبر بتأثيرها بألف ليلة  
 وليلة ونالت أعمالهم رواجاً، وانتشاراً، وتداولاً، طاق كل التوقعات. ومن  
 هؤلاء مثلاً:

1. فولتير Voltaire أحد مؤسسي حركة التنوير الفكري، والذي اشتهر  
 اسمه وجاهته الفكري. ولم يكن فولتير مجرد روائي، بل كان فيلسوفاً كبيراً،  
 طبع حياته مؤلفات كثيرة، تجاوزت المائتين وستين مؤلفاً، ثمل ما يهتما  
 منها هو إبداءه القصصي - في طابعه الفلسفي - بغضبة التأثير فيه بألف  
 ليلة وليلة. وقد نالت قصصه القصيرة المصممة إعجاب المطلقين، إذ فيها من  
 خيال وفلسفة من قصد لا انتقاد المؤسسات الرسمية، والدينية، والسياسية،  
 والاجتماعية، وكان تأثيره واضعاً بالشرق الذي كان قبله المفضلة، مما  
 دفع بعض النقاد إلى اعتبار قلبه يميل نحو الشرق. ولقد احتريف هو نفسه  
 أنه مدين لهذا الشرق لمظهره الذي عليه دروساً في الفلسفة والحكمة،  
 وزود بك الأساليب والوسائل التي سمحت له أن ينظر إلى العالم المحيط  
 به بنزاهة وموضوعية<sup>(1)</sup>. وتذكر الدراسات أن تأثير ألف ليلة وليلة بارز  
 في أعمال فولتير القصصية الخالصة حتى قيل: إنه لا يستطيع أن تنهم  
 هذه الأعمال دون التعرف إلى ألف ليلة وليلة من منظور أن هذا النص

1- عبد الباق، دروي، ألف ليلة وليلة، وإثوما في الرواية العربية حتى القرن الثامن  
 عشر من 137

الأخير بوضع لدرء أمام فهم كثير من المشاهير الذين تأثروا بالليالي، أو كتبوا في الخيال العلمي من أمثال هوانين، وتشاول ديكنز، وروست وهورخي، ولاندرى جيد، وجوته وغيرهم من مشاهير القرن للتصميمي الألماني؛ لأن الخيال العلمي الذي أتت به ليلة وليلة أفضح حصر الخيال الأوروبي ومن صممهم هو تثير الذي أحب الليالي حباً جنونياً حتى قال عنها مرة: «لم أصبح قاصداً إلا بعد أن قرأت الليالي المرفقة بربع عشرة مرة». وكم أتمنى لـ لاندن ذلك حتى تستعيد جلالة للقراءة الأولى<sup>(1)</sup>

ويظهر تأثره بألف ليلة وليلة بشكل واضح في هذه القصص إصادق، 1747م، وإسميراسم، 1786م، وإسميرة بايل، 1796م، وقصة، إلمالم كولما بسير، 1747م، وإكتيبيد، وبعد بطل هذه الرواية في رحلته إلى الدوزادو شهباً بشخصية الصعدك البحري في مقاصده.

أد الفرنسي جيد، Glucke أطلق هذا الأديب على ذخائر الفكر الإنساني، ويتميز بولعه بالقراءة بحثاً عما يشبع وجدانه المعنى وحلمه اللامحدود، وبعد تشبمه بالمرطقة خلص إلى نتيجة مفادها أن مصادر الفكر الإنساني ثلاثة، المكتبي، الشخصي، وأسطر هو ميريوس، وكتاب ألف ليلة وليلة.

ولقد أشهر أندري جيد ولعه بسحر الشرق من خلال الليالي، فاكشف هذا لم يأنه، ولم يسمح منه بالصورة التي وصلت عبر ألف ليلة وليلة، فارتبط بها ارتباطاً شديداً فتملاته وأحاسيسه التوقية إلى مثل هذا النوع من الخيال المجاني حتى أصبح يحلم أن يعيش أجواء الليالي، أو أن يسافر إلى الشرق رغبة في اكتشاف التاريخ الحقيقي الذي أطلق عليه على نحو ما قام به في عام 1893. وبعد أن أبهرته ألف ليلة وليلة، عاد بالسفر إلى شمال إفريقيا، لتحقيق ما حمله في نفسه من غرائبية سرور تلك ليلة

1 - لقراءة موجودة في كتاب كل الأراجيح التي تتألفت طوفاً بالدراسة بالظن، شرمي عهد الأراجيح، ص 192

وليلة نظراً إلى شغفه، وحيه لها. وتأثير أندري جيد واضح في معظم أعماله مثل: رحلة أوروبا 1898، وفي أوراق الطريق 1898، وفي صوت الأرض 1897، وغيرها من الأعمال الأخرى التي لها صلة بالعالم الفدريق .

وإننا لن نستشهد بهذا القطع المقتبس من «موضح أشهر العشاق» يتكلم فيه أندري جيد شخصية العمال في قصة «العمال والنساء» الثلاثة في ألف ليلة وليلة:

«زبيدة أنا العهد الذي التقيت به صديقا، في الشارع المزدحم إلى الساحة العامة، كنت أحمل سلة خبز على رأسي وأنت ملاحا لي، وأنا أتبعك بالكتاب والقصص والتهنئة والتهنئة، والتهنئة المخلصة ولأنني أحببتك وكنت أشكو من التعب طول الطريق، سمحت لي بالبقاء ليلاً على جانب أختوك والأمراء الثلاثة نداء الملك وحفل كل واحد منا بدوره بسماع قصة الآخر ومنها جاء دوري فقلت قبل أن أتكلم بك، يا زبيدة، لم تكن هناك قصة في حياتي ولأنني كنت يمكن أن تكون هي القصة الحيت أنت حياتي كلها؟ وكان العمال يقول ذلك وهو يحشو نفسه بالفواكه الذكر أنني عندما كنت طفلاً، كنت أحلم بالفواكه المجلجلة التي طابا كانت الذكر في ألف ليلة وليلة، ومنذ ذلك الحين وأنا أكل منها...»<sup>(1)</sup>

ولأن ألف ليلة وليلة في نظر أندري جيد تمثل قصص المضطرات في سردها المجهلي، نراه يستلبي طرفة سرور من عميقها، لذلك أحبها لأنها - في نظره - نوع من النصوص الممنوعة كما في قوله: «يوجد في ألف ليلة وليلة، كما في التوراة عالم قديم يملكه وحش يتحدث عن نفسه، ويكشف مكتوباته»<sup>(2)</sup>. لقد وجد أندري جيد في اللبالي كل شيء، فهي تلمح بكل متناقضات الحياة، ولتقابل تشيد بالحياة القديمة في رومانسيوها الجبيلة،

1 - زبيدة القاضي: أندري جيد وكاف ليلة وليلة في كتاب: الاشتراك يتضمن أعمال مدرة الأدب المقارن ودوره في القلوب الشجيرة من 2002.  
2 - أندري جيد: ذائع تربية: زبيدة القاضي: منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 2008، ص 106

وعفويتها المموجة عن الشرائع الاجتماعية البسيطة، ووصف الحوارات بجميع أشكائها وطوائفها، ويكثر من التشويق والتوكيد، ولأن عالمها السعري يفوق العالم الطبيعي رأى فيها عباساً ومشاعره القياضنة، ومعباً لألامه وحيله الفاجع. ومن هنا يتضح أنعري جيد قراءه الفريهين بقراءة النلهاني يومئذها رحلة حياة لمعرفة شعب كما جاء في قوله: «تعرف عالم بعالم آخر، ذلك هو الطموح الشرعي»<sup>(1)</sup>.

3. دييرو Diderot (1713-1784) استلهم دييرو أفكاره السياسية والاجتماعية والفنية من ألف ليلة وليلة، فملكته بسجرتها، وبمذ حكمته، ولعل قصة «الطائر الأبيض» (L'oiseau blanc 1746) ما يؤكد شغفه الكبير، وبهذه باللهاني إلى حد الاستلاب. وقد اعترف دييرو نفسه بتأثره بألف ليلة وليلة، حيث أورد من روايته «الجواهر المسية Les bijoux indiens» أن تكون نسخة لألف ليلة ليلة، واهتمام دييرو بالثقافة العربية الإسلامية أمر أكيد، لا يمكن إنكاره فهو صاحب الموسوعة التي جمع فيها كل أنواع المعارف البشرية، فاجت كثرًا وأخرًا بكل صنوف العلم والمعرفة التي وصل إليها العقل الإنساني، ولقد خصص فيها مجالاً واسماً للثقافة العربية الإسلامية والإسلام... واعترف أكثر من مرة باهتمامه بالحضارة العربية الإسلامية، فتكث جاء في رسالة وجهها إلى سوية فولاند: «أنه معجب بمعارف المسلمين، وأنه أطلع على القرآن الكريم، واستوعب مفرداته وأبجاده وأنه معجب بمحمد ﷺ النبي العظيم...»<sup>(2)</sup>.

وقد أهتم ألف ليلة وليلة عالم دييرونا فيها من رسم للطبيعة، ولأن عالمها السعري يفوق العالم الطبيعي، وكل ما فيها عجيب، وفريد، وخارق، لذلك وجد فيها - كما وجد فيها غيره - شك عزائهم وأيامهم عن

1 - ليرجع منه من 183.

2 - شريف عبد الواحد. ألف ليلة وليلة، ولقرها في الرواية الفرنسية حتى القرن الثامن عشر من 184. ونظروا

de 30/90 et 01/3 1/1/229. L'œuvre L'œuvre à Septième Volume.

الفن الذي يتألف من عالم وما يرجع به من أحداث لم يقتضوا بها - ومن أجل ذلك - هندي ويعبري، وغيره إلى تشديد الصلة في عالم الشرق المضيئ بالأساطير العرفية والفتحية.

وسيدخل تأثير ألف ليلة مستمراً وخاصة بعد أن انتعش مؤجراً في العرب ما يسمى بالأدب الفانتازي، القولي، الذي يعتمد على الخيال.

ويكون الفاني يعتمد على الخيال لتجاوز وجد فيها العرب فرصة الهروب إلى عالم جميل إلى عالم المعجائب الذي لا يحده حد، ولا يوقفه سقم، كل شيء فيها مثل هذه الصوريات يتحرك ويبيض النبت، الحجر الطير تحلق الإنسان، مشبه على الماء، تطلق الحيوان... إلى غير ذلك من المعجائب التي تدعو على مدرجات العقل وليس للمطلق في مثل هذه الحال إلا أن تتماثل الفرية والذهشة من جراء ما يحدث لشعور الرواية من خوارق تفوق قدراتهم الطبيعية.

كما يستغل منبهاً مشيراً للخيال وهذا ما يجعل الكثير من الكتاب ينهلون من ألف ليلة وليلة مادهم بعد أن حققت شهرة واسعة على مستوى الآداب العالمية، وفازت كل التوقات.

ولقد اكتسبت الفاني الأدباء والفنانين الفرنسيين (سواء ممن ذكرناهم سابقاً، أو من بعدهم، وهم أكثر، لا يسع الموضع لإدراجهم جميعاً للإطالة المفرطة) اكتسبهم ممالك جديدة وفيها جمالية، ومضامين فكرية، وأجواء لغوية، فأسهر بها كل من ثقافتها، وشغقت حدود مكان ترجمتها لأول مرة لتصل إلى باقي دول العالم بخلاصة الدول المجاورة لغرضاً فني أصبحت مدينة لأنطوان غالان *Antoine Galland* كما سيوضح فيما عا.

في ضوء هذه التأثيرات المتعددة نحاول أن نوضح التقارب بين المتأثرين بألف ليلة وليلة من غير الفرنسيين في محاولة لمعرفة المسح الذي سلطوه وانطلق الذي يتبعوه. بواسطة اختلاف اللغتين المتقول منها والقول إليها، خاصة وأن مستخدم اعتمد للنص الثاني المترجم.

## ثانياً - مكانة شهرزاد في عالمنا [الآن]

لقد كان الاستشراق بمثابة الثقافة التي يطل منها الغرب على الشرق، حيث أدت الترجمات دوراً بارزاً في انتعاش الشرق بوسطها الأدبي الخصب للنموصل، وبطراً إلى ثراء التراث الشرقي عادت عليه المنطق العربي. وقد جرى هذا المنطق في مستويات من الترجمة والاحتكاك الأمر الذي أفرز ما عرف بالترجمة الاستشراقية المعززة يكون الاستشراق مصحفاً بين الثقافتين الغربية والعربية، وربما أضاعت هذه الترجمة كثيراً من جماليات التراث الشرقي، ولكن الأكيد أنها طمست الكثير من معالمه ومن مميزات أن قوانينها اللغوية والأسلوبية هي قوانين الترجمة الجامعية التي تعطي الأولوية للنقل الأقرب والأدق للأصل... وتحت طهوان الدقة العلمية غالباً ما تجري ترجمة الأصل العربي بأسلوب حرجي<sup>(1)</sup>، ومن شأن هذا الأسلوب أن يوقع القارئ في ضروب شتى من الغموض والالتباس؛ لذلك نجد معظم التطويرات تهتد إلى أن نهدد المترجم مبدلاً من التعامل مع النص، بما يفترضه من طرائق نبتد بإصرار عن العرفية والنقل، ولتح على إمكانية التصريف بواسطة التحويل الذي أصبح يشكل لنهج الأنباء المستهدفة إلى ابتداء ترجمة قادرة على الإيضاح، وبإعادة صوغ معدي النص الأول بما يلائم ثقافة النص الثاني. «ولا كان النقل المطابق من لغة إلى أخرى ضرباً من المستحيل، فقد كانت في حقيقته ضرباً من التحويل»<sup>(2)</sup>.

ولعل لزويد المترجم بمثل هذه الألية كضيق بأن يمدق لديه المعرفة الاستيعابية بثقافة اللغة التي ينقل عنها. اعتقاداً مما أن الترجمة ليست مجرد تعامل سطحي مع التركيب والفرزات وإنما هي توغل في المعاني

1 - يرجع منه من 88.

2 - يوسف سلامة: ما الترجمة لترجمة بين النقل والتحويل مجلة الآداب ع 8/8، سنة 1999، ص 82.

واستقراء للمرموز والحدود، يتم تفاعل ذلك الثلاثة/مكونات لا يمتلكان تجارب إنسانية مشتركة موصفاً يتم الانتقال بالنص من قضاء نقاش إلى قضاء نقاش آخر فإن عمليات التأويل تصبح لشدة جزئية وتعقيداً، لأنها عدت نصير عن قراءة للترجم لنص كتب بلغة معينة عبر لغة أخرى لها خصوصياتها اللغوية، وتاريخها الثقافي الخاص الذي يخلق عليها هوية وعبرية شخصياتها؛ الأمر الذي يجعل نقل نص من لغة إلى أخرى عملاً لا يمكن تصوّره بسهولة من آليات القراءة والتأويل بصفة عامة،<sup>(1)</sup> فهي كل عملية نقلية تنمى من النصوص إلى التفسير بما لا يدع مجالاً للشك في أن يبرق نص ما على هيئة في اللغة الهدف، فقول أن يوصل إلى متلقي اللغة المنقول إليها يكون قد خضع لمعالجة من الحدودات والإضافات والاستبدالات... وتشمل هذه العملية التفسير كما تشمل المعنى، فهو كان النص ينقل بهذا المعنى كلمة بكلمة، وعبرة بعبرة لمعطى فعل التوصليل الذي هو جوهر الترجمة.

وإذا كان جورج مونان قد سبق إلى التأكيد على ضرورة الإسهام، فذلك لما استلزمه الترجمة من القدرة على الاحتراف والتحكم في حركة النصوص الأدبية التي لا تشير إلى مدلولها بشكل مباشر، مما يروق الفهم الدقيق ثنائي تلك النصوص، وربما تلاشت جهود المترجم الذي يعرف جيداً أنه لا يترجم لغة إلى لغة أخرى وإنما يفهم كلاماً وينقله بدوره معبراً عنه بطريقة لا تستعصي على الفهم، وتكسر جمالية الترجمة وأهميتها في أنها صلة بين مقولة الكاتب وهم القارئ<sup>(2)</sup>.

ويبدو واضحاً أن أغلب الآراء تصبب لاعتبارها على مسألة التأويل، معتبرة إياها الوسيلة الأرفع لإبداع أسلوب ملائم في الترجمة، مع مراعاة خصوصية المؤلف وأفق تقبل القارئ، ولكن ذلك لن يضمني إلا في نصوص

1 - أراجع نفسه، ص 48

2 - محمد بول العيسى المحمدي: الترجمة مثل الفنون الأدبية أم مهنة جديدة ص 11



على فقه اللغة للقول إليها، وتسبق في أسرارها، هي المترجمان لا يؤدي  
أبداً ما قال الحكم على خصائص معانيه، وحقائق مدلوله، ودقائق  
احتساراته، وحقائق حدوده. ولا يقدر أن يوثقها حقوقها، ويؤدي الأمانة  
فيها، ويقوم فيها بما يجب على الوكيل أن يقوم به نيابة عن الأصل. ولن  
يكون المترجم عند الجاحظ قادراً على لقاء الأفكار الأجنبية وتسلم  
مدانيها والإبحار عنها على حقها وصدقها إلا إذا بلغ في الملم بمعانيها  
واستمدادات نصاريب ألفاظها وتلويلات مضاريجها مبلغ المؤلف الأصلي في  
اللغة الأجنبية<sup>(1)</sup>، وفي يتمر السبيل إلى تحقيق هذا الوصف المثالي  
للج حث وذلك لأسباب يهية أهمها انتقاء شروط المعرفة المطابقة باللغة  
المقول، لبها وبالمضمون الذي ترضه ذاهيك عن اختلاف اللغات الأخرى  
إلا إذا لاحتها بمس التفسير أو التبدل.

وما نزال التساؤلات تكبره أقوى الشكوك حول كفاية الترجمة في نقل  
كل ما في الأصل من خصائص وسمات فكرية، وقاطبة، وأدبية، إذ ليس  
من الممكن لأي إنسان أن يستطاع في لغة غير لغة الأصل بكل ما في الأصل  
الأدبي من عواطف وصور ولفظات مميزة، وخصائص (سلويته)<sup>(2)</sup>.

وقد كان لهذا منذ 1948 مصفاً في تبديد تلك التساؤلات من خلال تصويره  
لتبديل الممكن والمنمحل في التركيز على المستقل *Reception* وبما كان  
المترجم - حينها - أن يشر على الحل في التمييز بين التأثير المتطابق في  
اللغتين المترجم منها والمترجم إليها من طريق الترجمة التأثيرية، والتطابق  
الشكلي بين اللغتين، وهنئ الطريقة الأولى. وهذا التقصيل ما يبرر ذلك  
أن المرض الأساسي المنوخي من الترجمة عدم إتيان هو يصل من  
الكتاب المقدس وتقريره من مدارك الناس في لغاتهم<sup>(3)</sup>. وقد كانت فكرة

1 - محمد عبد الغني حسن: فن الترجمة في الأدب العربي ص 24.

2 - عبد الحكيم حسن: الترجمة الأدبية ومشكلاتها، مجلة الفصحى، ج 29، ص 239.

1994 ص 39

3 - محمد الهادي: الترجمة والتواصل، ص 20.

التوصيل والتلقي المعنى الأساس لعملية الترجمة، ويخضع من هذا المعنى أعطيت للمترجم حرية التصرف عن وعي ودراسة الكلمة المنقول منها وبعديها الثقافي والمصنعي، كذلك يتيقن المترجم أن يحق لساليب التصرف باعتباره مهارات التأمل في حضرة النص المصدر، والرؤية التي ينبثق منها.

ومن الطبيعي أن نجد حرية التصرف مبررها في شتى الممارسات الترجمة بغاية عندما يطلق الأمر بالترجمة الأدبية، إذ إن أي خطاب يمر من فكرة في لغة ما سوف لن يجد من الأشكال للمثالية لتأدية الفكرة نفسها في لغة مفهومة، «فالتحول من لغة إلى أخرى يعني بالتصريف تبديل الأشكال، وأكثر من ذلك فإن الأشكال المتباعدة ثقلاً معاني لا يمكن إلا أن تعطل في أن تكون متساوية تماماً، فلا يوجد ترادف مطلق بين كلمات اللغة نفسها، ولذلك لا معنى لعدسة المرء عندما يكتشف لغة المترادف بين اللغات»<sup>(1)</sup>.

إن بطلان فكرة التكافؤ التام هو ما يلزمه المجال وأبداً بحرية التأويل، ولكنها حرية مشروطة بالفهم والاستيعاب فإذا كان هناك الأشكال التعبيرية بحول دين تأديتها لمعانيها بانتقالها إلى لغات أخرى فمن حق المترجم التدخل لإعادة معياريها في اللغة الأم، مع الإبقاء على التكافؤات الأسلوبية والدلالية.

وتقد أودعنا من شأن هذه الإطلاقة المطولة وبروز مكانة ألف ليلة وليلة في موقع الأدب الألماني في شخص <sup>(2)</sup> [يوهان فولفغانغ فونته Goethe 1749م - 1832م] محدداً، ولذا كما نميز هذا الفكر من سواء خلافه يمثل، في نظرياً، جوهر الأدب - الثقافي عامة والألماني على وجه الخصوص - ما بدأ منه من قيم إنسانية، ومعناه الدخول إلى توحيد مضامين الأدب،

1 - روجرت لندن: بل: الترجمة وعلاقتها - ص 49

2 - صاحب مقولته ضد أنها ملحق ببيئة اللغة

يبدأ عن التطور الإلهامية الحقيقة. أصف إلى ذلك محاولات الحقيقة في ربط الآداب بالتمائمات الفكرية، كما جسد نتاجه الفكري روح التفاعل بين الآداب المالية، بطبيعة الآداب الشرقية، ولربما كان ذلك نبعاً من روح ميدانه الإنسانية، لتتبعه بروح الإسلام، ومن أنه لنجز إبداعاً كما تعبأ أن يكون. والحقيقة أن شخصية طلوس لا يمكنها أن تعجب مثله حد الأديب المفكر، هذه الشخصية التي أنشأت مسارها الكشمي لشمسية الإبداعية وتعلماتها المستقبلية، والبهمة عن «الذمن المكن» الذي وجدته في أدب الشرق بمناسبة ألف ليلة وليلة.

ولذا كان الأدب «مختاراً» وتسللاً فإن اختيار جوده تجربة الكتابة الشرقية سمح له أن ينجز جلّ إبداعه ليكتفي من بعداً من الضوء على هذا المعبر الشرقي المظلي، والوقوف على حقيقة الحضارة العربية الإسلامية في قواعد الفاعلة الكبرى في التاريخ الإنساني. ولذا أمضا النظر في نتاج جوده وجدته، يصب في حانة حقيقة الإنسان بما هو إنساني في مصداق وليس هرباً أن يكون جوده قد استمد أفكاره من الدين الإسلامي هذه الأفكار التي تبحث في أبعاد الوجود وتنتقل إلى ما هو أرق.

لنا بعدد المحدث عن كل معجرات جوده وتجربته المعقدة<sup>(1)</sup>، لأن فضائه الإبداعي أوسع من أن نجبر في حقه دراسة مستقلة، ناهيك عن توظيفه في بحث - هذا - من باب حسب قطرة ماء في بحر من الدراسات التي اقتصحت إلهامها المتنوعة على عالم جوده الفكري الخلاق. ولذا كان

---

1 - فصلت ألف ليلة وليلة إلى قلب جوده مفتحة، وأولع بها فتسجها في معظم أعماله الإبداعية، وألوت فيه تالياً شديداً في نتاجه الفكري مثل مستويات التحويل، والكتابة الخطابية، أحاديث، مهرجان الكون، وكتاب «شعر المصنف»، وسرديات المكونة: نزود الماشي، وحكاية باريس الجديدة، وحكاية ميلو سيئة السمعة، رواية الأسبوع الضمارة التي تأثر فيها بلغة داريو فاموس وشخصيته الشهيرة وحكاية، الأفسوسية، تأثر فيها «بالأمير أحمد والجنينة» وطلوس (التي قسم الثاني) فيها مشاهد كثيرة من ألف ليلة وليلة تحاكي شعره، خاصة عندما أرق غاوسيت أن يوضح الطوق إلى هيلينا بالأسلوب نفسه الذي اتبعه شعراء في سهو الخيال. وليلة التاليف الكلاسيكية وفي أعمال أخرى كثيرة حسب على أي باحث مهما كان واسع الاطلاع والمعرفة أن يكتشف من إحساس جوده وتأثره بألف ليلة وليلة وليس في وسطه لهذا التمس الذي كان ينبعا هوياً فكرياً ما يورث على عروسة وصيانه ما حين قال: «من الصعب الظهور على عقل أكثر فكرة متباد».

الأمر كذلك، فإنه ليس لنا من مكاني أن نغير عالم ألف ليلة وليلة دور أن نضع قصة متناهية فيما حققه جوته من جسر لعبور الليالي نحو الآخر

لقد كان سفره في عالم الليالي مفتوحاً على أفقه الإبداعي، الإحصائي، وفي زمن معتد، وفي رحلة مفتوحة على التطلع إلى الأدب العربي، حتى يمكن القول إن اهتمام جوته بألف ليلة وليلة أوسله إلى نتائج إيجابية تمثل من خلالها ذكوة الثقافة الشرقية، بعد أن أدرك قيمة الحضارة العربية الإسلامية. هذه الحضارة الأكثر طابعاً للإدراك والفهم، بالإضافة إلى كونها ترمي معنى الوجود الإنساني، وليس غريباً والحال هذه أن يتأثر جوته بمنجزات الشرقي، وألف ليلة وليلة على وجه التحديد، فقد كان تأثره بها تأثيراً لاقتاً، ومثراً، بعد أن قرأ ترجمة لوطيان سالان كما قرأ الترجمات الألمانية، فأكثرت هذه القراءة «كتاب المسالي» و«كتاب الشرقي» و«كتاب الفني» فبدأت شغفه بألف ليلة وليلة فاق كل تصور منذ نعومة أظفاره، حين كانت جفته تروي له ما لذ من نوطها الفني المجانيب الذي رافقه طوال حياته، فلم ينضب معين مسهرها، كما لم ينفذ شوقه إليها، حتى سكتته شهرزاد في معظم إبداعاته، وحتى قال عنها ذات مرة: «من الصعب العثور على عمل آخر أكثر قيمة منها». وقد يكون اعتراجه المباشر بالشهاج سرد ألف ليلة في روايته «سموات جميل فنهلم مايسره وكذلك» (أحداث مهاجرين أكلت دليل على شغفه بهذا المنجز المميز، حين تدخلت مؤلفاته بنصوص الليالي، فأصبحت نصاً داخل نص، مما كهن لديه الصنوار في شخصية شهرزاد، عندما قال عنها: (أألف ليلة وليلة المصيبة من حياتي) والتمثل في كتاباته، بخاتمة قلب وعقولهم يقع على إشارته، إلى ألف ليلة وليلة، تثبت بشكل خاص أن جوته كان منتج مصب عصبه هذا الكتاب الشرقي عندما كان يفكر بشكل من لشكال الحديث، المتداخل المشابك والتشتمل أيضاً<sup>(1)</sup>.

1 - كاترين مومسن: جوته وألف ليلة وليلة، ترجمة محمد الجعد، ص 103

ولم يُخفِ جوته إعجابه وشغفه بألف ليلة وليلة التي كانت تمثل بالنسبة إليه «كتاب عروس» حتى أنه كان يحفظ نصوصاً منها عن ظهر قلب. وفي كثير من الأحيان كان يتقمص شخصية شهزاد في بعض أعماله، ويستلهم من مؤثراتها. وأكثر من ذلك، فقد كانت أحاديثه مع أصدقائه وجلساته في المحافل مفتحة بحدوثه عن ألف ليلة وليلة، حتى كان يقرر بعضاً من قصصها على هؤلاء الأصدقاء. وقد كتب عنه «هاينريش فوس» من جملة ما كتب عن إعجابه بجوته، حيث وصفه ذات يوم بالمعكر المرعب من نوعه ويقول عنه: «... كنت عندما لم أبلغ ثمانية أيام متواصلة، وقضيت معه تقريباً جميع أوقات الظهر والمساء».

إنها لسادة أن يكون المرء بجانب جوته؛ لأن كقور روحه تتفتح في مثل هذه المناسبات. إنه كما تقول الحكاية العربية حوض من الذهب فيه ماء من الذهب، يرمي إشباعه إلى كل الجهات<sup>(1)</sup>.

ولقد كانت ألف ليلة وليلة قدماخل مع كثير من أعمال جوته، وهو في هذا القدماخل، لا يقصد إعجابه بسر الليلي فحسب، بل يقصد في المقام الأول مجازاة ما يقع داخل عالم هذا النص للعجائبي. وفي كثير من الأحيان كان إما متقمصاً، أو مستمعاً، أو مستمراً، بعض شطووص الليالي، أو بعض الأوصاف والأماكن، فهاش من خلال هذا التماهي في إبداعه، المجد، والسحب، والتسادة، والألم، وأعتبر كثير من الدارسين أنه لم يكتف باستلهاام الشكل الفني الحكائي في ألف ليلة وليلة فحسب، وإنما تأثر أيضاً بشخصياتها ومضامينها، وكان هذا التأثير ملحوظاً في عدة أعمال عنها:

• توظيف المفردة المظلمة حيث تظهر المثلوجيات والظفروس المجاشبة كالساحل الطائر في مسرحية إلسا تقسم. أو وداه الظفروس كتب في [في حلم هولندا].

1 - كاترينا موسن: جوته وألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد السعد، ص 88.

\* ذكر بعض الأماكن من قصور، وجبال، وفهار، وسجاد الأمصار، مثل  
القصر الأسود [2] ليلا/سني التجوال/الأقصومة/فاوست/أوميريون].

\* الاهتمام بالسامس القريبية: الاتكال على الله في الصراع ضد المول،  
في [ليلا]، والبرية التي تجعل من الأمود مرتفعين أيضا، في [الأقصوم].  
واشتراف الاستعقاق للصومل على السعادة والوصول إلى الكثر في  
[ممرحة فوست]، واشتراف التزامة لتطع الطريق الطويل والوصول إلى  
أميرة الحب في [ممرحة فوست]<sup>(1)</sup>.

\* استبعاد شخصيات الخيال الصامت [سني التجوال] والوسيط  
[الأصنام المختارة] والفتى الذي يمتدح الكثر [هالكس أوميريون]،  
ومداع الأوام، الأملا الهني [فاوست] والمجوز اللطحي / النساء  
العازقات [بافوس المصعد] والطبيب الساحر / المول [ليلا] والتبين التي  
تقتل الذهب وتحرص الكثر/الفتى الذي يهدر الأموال العظيمة عن أجل  
حسنا، يهاهما [ممرحة فوست]، وعلى بابا والأرمون (حرابي) في  
قصيدة شعرية تحت عنوان *Der Schatzgräber* حمار الكثر/وقصة أبي  
الحسن من قصص ألف ليلة وليلة ونصيحته في سبيل محبته شمس  
النهار منذ أن كان صغيراً، غير أنهما اقترفا منذ منوات، وتقا على ذلك  
حتى بلغ أبو الحسن من الشباب واستطاع الحبيبان أن يلتقا في مكان ما  
في بلدان لم يوروا الزواج، هابو الحسن في قصة جوته هو [دور]، وشمس  
النهار هي [سنا مصطب] التي أحيا جوته وعلى الجوهري من قصص  
ألف ليلة وليلة في الجزء الثاني من رواية [تجوال وثم مايمستر] وقصة  
[أمن]<sup>(2)</sup> في ممرحة [مزاج لماش] *Die Lom Des Verlobten* وفي  
تصور الأخيرة في شخص جوله تجاه البيت التي عشقا: [لينا شونة كرم].

1 - ينظر كاترينا مومس، جوته وألف ليلة وليلة، ص 411.

2 - ولجنة في كتاب ألف ليلة وليلة، أرملة مشيرة السن جميلة وذرية، وقد أصبت رجلاً كان  
يريد إحيائه، من خلال التطريز والإلهيات وسرعان ما تزوجته أمينة، فاستطرد أن  
يمشي في ظروف التنالير القسرية، وكان سراً عليها أن تكشف وجهها أمام شخص.

صمتارة موطقة أسطورية مثل النساء الجميلات في إيفريس  
الجميلة والأسد الذي يقف عند باب قصر مسجور، في (الانصوصة).  
والبشر الذي يعلو ماؤه ويهبطه والقدح البصرية عن القار والماء في (السنقة  
التكرية). وأميرة الجن على ظهر جني نصفه بشر ونصفه حيوان، وطيران  
ومهرود حبيبات على هيئة طيور في (أيلة) وفي (موريس الإفرنجية). والبراج  
بأميرة جسية في قصر نعت الأرض، والتعلق بالحيوانات عند النساء لحشة  
استندت لهن في (فصل علفتا). والجماعة الصغرى في مصر حية (الأيلة  
الطيرية) عام 1903م.

ورغم ضعف جوده بألف ليلة وليلة، والجهد الذي بذله في ترويض روح  
الثقافة المصرية الإسلامية من جهد الفن القصصي العربي لهد عم قيمة  
هذا الفن إلى مستوى الشوق الرفيع، رغم ذلك، فإن جوده أغنى الإبداع

---

عزيبه وأن تكلم أحراراً غير زوجي... بعد ظهر من زواجهما لم تاحت أن تلعب له قوياً،  
فخرجت إلى السوق لشراء القمصان بعد أن سمع لها زوجها بذلك فشرط أن تراهها  
الخادمة في جولتها. ثم طلت أميرة مع الخادمة فكانا يملكان شاب صغير العين ويسم  
الوجه، وكان الكلام يجري مع الخادمة لأنه كان مصرعاً طبع أميرة أن تكلم أحراراً...  
وقد احتازت أميرة قسماً أصعباً، فبر أن خلاه معزاة أحدث مصر المصممة في شرايته، فقد  
فرض البائع الشاب هذا المصغر الحيواني الذي يملأه مع أميرة، وقبل البائع فيما بعد  
لخفيص مصر القمصان لقاء قبله من وجبة أميرة. وقبلت أميرة أن تسع البائع قبل لقاء  
لخفيص مصر، فالتفت ومياها وقدسة خفها لليلة، غير أن البائع الشاب بدلاً من أن  
يقبلها ضمت بأستانه على خفها فأنجس به الدم، وقد حاولت أميرة حبساً إضاعة أثر  
الفضة وإبعاد ذلك... وجملة الميرة تنهش في صدر الزوج، وتسر عبده بكلمة رأساً... وقد  
حاولت فريسات التهمة والجيران ذون كفوف الأسر  
وقد أراد الزوج أن يثبت ذكورة أميرة مظلة مائلاً بالجرم والغيابة، فأمر بطريقه بالسوء  
حتى ترك آثاراً في جسدتها.

وكان جوده نفسه يعلو على صميمته إنيشا شوية كيريد في لا يزرعه... وعندما  
كانت إنيشا تذهب إلى المسرح كان جوده يلقب في فرقة وينادي... يا إني مع من تجلس  
في المسرح الآن! وكان السينا يتكرر برقي لمر يصب خلفها يرافها أثناء الذهاب إلى  
مسرح لا يزرعه. ثم نشر جوده عام 1904 قصة (أزلية الاستار) (The Watermark story)  
وقد مضت هذه القصة عن حادث جديد في حياة جوده وهو حبه ابتداء اسمها (أميرة)  
مرسيد (Miss Herod) أيلة الطباخ فرومان... وقد ولدا جوده وهي طفلة صغيرة وكبرته  
أحد عمه لم تكن حب المظلة إلى حب القصة.  
تظهر عدنان القوي، الطاهر الأتني جوده، وقد أيلة وإيلة، الوليد (Miss Herod) 1904

السردى، القوي بتجارب الشرق السحرية التي كان يجهلها المقارئ الغربي، إلى أن أصبح هذا الأخير أخصاً لإبداع وأعد، سرعان ما تحول إلى نموذج في المعطى. وقد استطاعت كاترينا مومسن أن «تعالج علاقة الشاعر بألف ليلة وليلة، وأظهرت من خلال العديد من الشواهد المباشرة أن الليالي كانت بالنسبة إليه واحداً من أحب الكتب لديه طوال حياته، وأنه كل يوم يلهي باستمراء وتبعت التأثيرات التي تركتها الليالي في عدد كبير من أعمال الشاعر المعظم من خلال مله وحكايات شهروزاد، وحسنت الرواي في انتشار تأثيرات الليالي مجموعة كبيرة من سمات الحكاية للتوجيهية التي جعلت من ألف ليلة وليلة كتاباً للحكمة في آيين لوفتك الذين فهمهم فضلاً الأخلاق، علماً بأن جمهور القراء في القرن الثامن عشر؛ أي في عصر جوتة كان مهتماً بتقبل النصائح الأخلاقية، ولم يزعج (الطمس الإسلامي) لمسائل الأخلاقية هؤلاء القراء، بل أسعدهم خاصة في عصر التنوير أن يجدوا الدليل هنا على أن الأخلاق والأعمال الصالحة ليست من قبلة يدين واحد من الأدباء الأخرى. ومثل هذه النظرة كانت من الخصائص التي امتاز بها جوتة»<sup>(١)</sup>.

وبدون شك فإن الفضل يعود إلى أمثال جوتة، وغيره كثيرون، ممن أسهموا في الانتقاء بما لم تانتاريا المشرق العربي القديم من مستوى التسلية إلى مستوى نبيل الإبداع القصصي المجاشي الذي ما زال يصورن شكله الإبداعي إلى يومنا هذا، بالنظر إلى تطور الأجناس الفنية.

وإلى جانب جوتة يمكن أن ننظر إلى أسماء أخرى عاصريه وطبعت شيت المشرق المجاشي بتأثير ألف ليلة وليلة وجعلت من هذا النص المصغري وسيطاً لتعامل الثقافات بعضها ببعض من النص المصدر إلى نص الهدف المتمدد بتعدد اللغات التي أتت منه، وشكلت منه نفاً هلاً

١ - ينظر كاترينا مومسن جوتة وألف ليلة وليلة من ٢١. وينظر أيضاً عبد الله كروم من الاستشراق إلى الأدب المشرق والثقافة والتقاليد ضمن كتاب مدوة الأدب لغاري ودور في تقارب الشعوب، مرجع سابق، من ٢١.



تقاسمها حينما اختزلت ألف ليلة وليلة كالأمة العنود؛ لتصل إلى الأمم الأخرى. ولتصرف إلى مثل: الأساطير، وحكايات الجان، والحكايات التاريخية، والحكايات الاجتماعية، والحكايات الوعظية. واكتشاف أسب، حقيقيين مثل الاسكندر الأكبر، هارون الرشيد، الخليفة المأمون، وأبطال أسطوريين، أو أبطال من تصح الخيال، يمثلون شخصاً من الشرائع الاجتماعية كالاستبداد القائم، وعلي التزييق الذي كان يماوم استبداد الحكام، وعلي باها البطل الطوب المحظوظ، وعازة الدين ومصباحه الصعري، بالإضافة إلى الحكايات ذات البعاط الطمعي الممايق لمصوره كعبد الله البري، وعبد الله الهجري، والحصاة الصعري، والحصان المائل، ومدينة الشمس، وحكايات أخرى كثيرة يصبب إدراجها في هذا الموضوع، وفيها من السرد الفترلي الذي عظم في عيون الغرب بوجه عام.

ويقول أن نطرق إلى رحلة شهزاد إلى باهي الفات الأخرى يجدر بنا أن نبقى في مدى تأثر الكتاب الأكل هذا المجر الصعري المظلم، والبحث في الدوايح التي بولت الكتاب هذه الفترلة؟

ولإجابة عن هذا التساؤل قبل الخوض في تفاصيل أخرى، نبدأ برأي الباحث الألماني هون ديولاين [Von Döhl] الذي يقول في كتابه الحكاية الفخرية ما يلي: «ويش بعد ذلك قصة العرب الخالدة من حيث أنهم خلّفوا عن طريق قديم في الرواية مصوراً جديدة كل العدة، سواء من خلال تلك الحكايات التي نشأت عندهم، أو تلك التي أخذوها من الشعوب الأخرى، تلك الصور التي تأسرنا دائماً عن طريق روعتها التي تتبع من حياة البدخ، وطراوتها المستسلمة اليافقة وضها المثلي بالفخر، وفكاهتها شيرة، ولا يود أن نعد من قبيل الصدفة أن تُسر الفترسيون أنفسهم هذا النص لميرهم من شعوب أوروبا، فقد أدركوا ما في تلك الحكايات من مسرورة ورقة ودقة مشاعر ورهافة فكري، وكذلك ما فيها من تفاصيل غريبة»<sup>(1)</sup>.

1 - بشار، رباب حسن: شهزاد في الفتر الفكري والفكري الفترلي.

واقف نادر كثير من الكتاب والمباحثين الأتالي مثل ويلاند **Wieland** و **Burger** و **Haus** بالأدب الشرقي وغيرهم كثيرون من الذين أدركوا مبكراً قيمة ألف ليلة وأيلة التنوية والتي كانت معيناً للتفكيرهم الخيالي وإبدعهم الخصيب. وقد يكون الكاتب الأتالي «فيلهام هاوف» [1804-1827م **Wilhelm Hauff**] هو الآخر ممن أسهمت الملهالي له نتاجه الإبداعي حين تكثر بحكايات السندباد ونسج حكايات على موطأها، وذكر في حكاياته عن السفينة الشبحية عبارة كنوز السندباد البحري، ويؤول أبو نعيم دودي هي مؤسسته عن فيلهام وألف ليلة وأيلة، إن وجود هذه العبارة في حكاية هاوف يدل دلالة واضحة على أنه عرف حكاية السندباد بصيغة تامة، وتكرر بها وهو يكتب بها حكاياته، بل هو يشير بذلك إلى مصدرها، فالواقع أن ما وقع لهطله عندما غرقت سفينته، يشبه ما وقع لعمد الله فاضل من ناحية وما وقع للسندباد البحري في مغرته المدامية من ناحية أخرى، فطل حكاية السفينة الشبحية من البصرة مثل عبد الله فاضل، وقائد السفينة وطلن أنه لا يعرف طريق البحر حتى يستطيع أن يتجوب الماصفة التي سكب بعد حربه ومن ثم يأمر بطي القلوع، فالمستمر السفينة في سيرها، ثم هب الماصفة موهت:

• لقد ضاعت سفينتي، ها هو الموت قد نشر شراره هنالك، وهكذا  
شرق ركاب السفينة، ولم ينج من ذلك سوى أحمد وخادمه بولاي<sup>(1)</sup> .

لقد تضاهف نادر ألف ليلة وأيلة من أعمال فيلهام هاوف في معظم قصصه التي جعل من أحداثها تدوير في مناح عربية كثيرة بخاسة دمشق وبلد، كما بدأ قصص التشويق المعتمد من آله التشويق في ألف ليلة وأيلة ووضفاً في هذه الأعمال واختار لأعماله القصصية أسماء عربية مثل داخية ومحمد كبا في نقلها لطليل [والمسير سعيد].

1 - جمال سعد محمد الروقة الآن وسابقاً مكي الرويلد [www.al-alam.com](http://www.al-alam.com)

ولما المستشرق الألماني فردريش روكرت **Friedrich Roettger** فقد قدم العديد من الدراسات التي تناولت موضوع تأثير ألف ليلة وليلة في الأدب الألماني كما في كتابه **مهاجع وثقافات شرقية** وسبعة كتب وأسطير وحكايات من الشرق حيث يذكر **فردريش روكرت** على الدور الذي قامت به ألف ليلة حتى أصبحت واحداً من الكتب الأكثر رواجاً وانتشاراً في الأدب الألماني منذ ترجمتها واهتمام جوته بحصرها القصاص. أما الشاعر **يشتينبرغ Eichensberg** فقد استمد منها لشعاره الرومانسية ويقول النافذة الألمانية لرميثة **هالر** عن ألف ليلة وليلة: أسهمت حكايات ألف ليلة وليلة في خلق الصور الرومانسية الخيالية عن الشرق؛ إذ حملته معها ونقلته إلى الغرب. وتمسك الغرب من خلال حكايات **شهرزاد** اكتشاف الشرق. ولا يوجد مؤلف شرقي إفتح الباب أكثر تأثيراً فيها في الأدب الأوروبي مثل تلك الحكايات التراثية والجذابة. وبين ليلة وضحاها أصبح هذا الكتاب جزءاً لا يتجزأ من الأدب العالمي، تماماً مثل إعادة **هوميروس**، و**أينيز**، و**فرجيل**، و**بيكاميروسة**، و**بوكاتشوف**، و**اللحمية الألمانية القديمة**، **نسمات | Nacht und Tag** (1).

ومما لا شك فيه أن تأثير ألف ليلة وليلة في الأدب الألماني يضاهي تأثيرها في الأدب الفرنسي، وذلك يكون هذا النص قد أصبح عنصراً من عناصر الحياة الثقافية بوجه عام، وألية من آليات السرد القصص على وجه الخصوص عندما وجد الذوق الغربي استجابة وجدانية في تفاعله مع الطرائق السردية المراتبية التي تكتزها ألف ليلة وليلة، وهذا ما جعل الكتاب والفنانين من شعراء ورسامين وموسيقيين ورسامين يطول بهذا النص البحري - إلى يومنا هذا - كما وجدوا فيها الشغف من مهارة الفن في عصر التنوير إلى استواء عوالم الخيال الرومانسي.

1- محمد عبد الرحمن موسى: في حوار الجري سعد، لبركة: المؤسسة التشريكية لإمام سعودي  
لربط: [www.alnashr.com](http://www.alnashr.com)

## ثالثاً - مفاتيح هرزاد في الأدب الإنجليزي

لقد حظيت الثقافة الأنجلوسكسونية بيسط، وافر من الاهتمام بالغلبة وليلة التي غدت ذوق القراء من ذوي الثقافة الإنجليزية، حتى أصبح كتاب النهائي متوجعاً في شككه وإقراجه، نظراً إلى اهتمامهم المفرط به، وقد وهدل إخراجهم إلى أكثر من مائتين وخمسين شكلاً خلال مائتين وخمسين عاماً - ولقد منها القراء الإنجليزية إحصاء ذرائع الشميط بعد أن ضجروا من الأدب الكلاسيكي المتألف آنذاك، وعبر روبرت هيرن Robert Heron عن ذلك بقوله: «في النصف الأول من القرن الثامن عشر كانت رومانسيات المفروسة قد فقدت شعبيتها التي دامت عصوراً وأصداها الهزة وموه السبعة». وكانت مؤلفات السيدة مادل Mrs. Manley، والسيدة «هيو Mrs. Heywood»، والسيدة «بين Mrs. Behn»، لرهات من التباطؤ، لقد وجب بقصص ألف ليلة وليلة كل من «رغب في أن يهرب من أظلمة الحياة دون أن يصف بحال» عن طريق تأمل خشونة ووحشية المخلات»<sup>(1)</sup>

وقد غدت ألف ليلة وليلة من النصوص ذات التأثير البالغ على الذوق الإنجليزي، وأصبحت أجولها السروية للفراشية تملأ أجواء أحلام القراء، لما فيها من الحكايات الطرافية المشوقة: الأمر الذي أثار وتبع هؤلاء القراء وشحنهم بالترغبة في المزيد من الاطلاع على مثل هذا المنجز الطرافية الذي لم يهدوم، فكان من شلى ذلك أن شد القارئ الإنجليزي اهتمامه بهذا النص الذي ضمن تميزه من بقية النصوص التي جضعت إلى العقل أكثر من مهلتها إلى التصورات الخيالية.

ولم يكن القراء الإنجليزي على دراية كاملة بهذا النوع من أدب الحيوانات قبل أن ينسأل إليهم غير فرنجا من خلال ترجمة أنطولي عالان، وهو ما

1 - روبرت هيرن: قصص عربية: أو قصة ألف ليلة وليلة، لندن، من 6-8، عن: عادل عبد الله: ألف ليلة وليلة وفرن: الترسلات الإنكليزية في القرن التاسع عشر، مجلة المرقع الأدبي، دمشق العدد 106 - تشرين الأول - 1966م، من 122...

استنتجته «ماريا» بفيلك كوتلنت في دراستها عن السكالية الشرقية، تقول: «إن مصدر مجيء الليالي غير فريسا ضمن لها هذه الشهرة» إذ كان الفرنسيون أصحاب تذكير كبير على الأدب الإنجليزي في تلك الأثناء. كما أن الرغبة النهروية لتجاوز التواعد المحددة للكلاسيكية الجديدة قد حققت نفسها في مطالعة هذه السكاليات المعجبة القريبة عن المخاطر والسحرة<sup>(1)</sup>.

غير أن السؤال الذي يفرض نفسه علينا هو ما مدى إسهام ناثير ألف ليلة وليلة على الأدب الإنجليزي؟

بلا شك فإن سحر الليالي - الذي لا يتعمق إلا في القارئ الغربي، ونصل إلى مشاعره - كان نتيجة تماهجه مع رومانسية هذه الدائنة. في حين تأخر إقبال القارئ العربي على تذوق هذا النص ولما كانت خلفية شهرزاد تضيء إلى تحقيق الإنسانية بالتكامل بين الرجل والمرأة التي تحققت في الغرب بعد أن وجد ضالته في هذا النص الضربتي/الواقعي - من خلال انتصار النفس على الحياة - فإن هذا المسمى هو لعمد ما يكون قريباً من الذوق العربي الذي تعامل مع هذا النص بوصفه «غداً، وضرباً من الخرافات» وبين هذا وبذلك يوجد حيط مرئي يفصل بين وعي المجتمع العربي الذي ضل بصيرته فأصيب بالعماء فكري / ثقافي، وحول نهازه إلى سبات، ويجمع عربي مسحا من عنونه فصول وعيه إلى إنشاس فكر الصائلي، فتعامل مع ألف ليلة كوحيا وعي الخلال، والإشهار بالمحبة، والارتباط، والتماض، وهو ما عبر عنه الناقد الإنجليزي شيمسترتون G.K. Chesterton حين اعتبر شهرزاد شاهداً على الاستقلالية الدائنة للفن في فونه: «لم يحصل في كتابه آخر... أن يقدم اعتراضاً كهذا بمقبرة الفن ومكانته الكلية المتمسكة كشهرزاد قد تأثر بأثرته الجيوش، ولكن لزم عليه أن يستمع إلى رواية كان الفن فيها وحده بديلاً للحياة»<sup>(2)</sup>.

1 - محمد جاسم الموسوي: الف ليلة وليلة في نظرية الأدب، الإنجليزي | الواقع في دائرة السحر، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط 1، ص 16.

2 - محمد جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب، الإنجليزي | الواقع في دائرة السحر، ص 6.

وقد استطاع الكتاب والتفانيون الإنجليز أن يصعدوا من آلف ليلة وليلة التي سكنت قلوبهم، وهو الموقف نفسه الذي يشهه تامل الفريسيين والألمان في لفتي سحر هذا النص الخوارقي، فتعجب الكثيرون من هؤلاء الكتاب والفلاسفة على منوال آلف ليلة وليلة، سواء عن طريق الاقتباس من الحرجة، أو عن طريق الاستقواء، وكانت الليالي منهجاً لهم في نتائجهم ولعل اهتمامهم بها شجع المستشرقين على التفتيش في ثقافة الشرق من مثل هذا النص المجهلي، بدءاً من إطلاعهم على ترجمة غالان، وعلى الترجمة الإنجليزية. نُفِّلَ (أي من مجهول) عُرِفَتْ باسم *Grub Street*، ما يعني أن ترجمة غالان كانت متباعدة في اللغة نفسها، وهذا ما يعزز رأي عازلي، بأنه كجذبات من أي لغويين دوراً عظيماً في التأثير على الأدب الإنجليزي. «وبالعام 1713 كانت نسخة *Grub Street* المجهولة المترجم، قد صُرِّتْ بأربع طبعات، أعقبها عشرات الطبعات المكررة والترجمات الجديدة، وبالنسخ النقص». وبلغ شهرة الكتاب مبلغاً، حتى كان الناقد معروف آنذاك *James Beattie* يصفه عام 1743 بأنه «كتاب أطلع عليه أغلب شباب هذا البلد؛ أي إنجلترا؛ إذ بعد ظهوره فوراً استقبل بحفاوة، وقرئ بشغف، تاركاً أثرًا عميقاً في الأوساط المثقفة». وهو تأثير قاد إلى سلسلة من، انقطعت والأعمال الفنية والمبدعة خلال القرن كله<sup>(7)</sup>.

لسمنا بصمت الحديث عن ولع هؤلاء القراء الإنجليز بالشعورين بالليالي، فحسبه بل إن عوامل تشجيع قراءتها من قبل دور النشر والدوريات والمجلات - التي تلاهفت على نشر أجزاء منها - وتلك أحر على اكتمالها الفوق السائد آنذاك. وقد بدأت مجلة *London News* [1785] التي تصدر ثلاث مرات في الأسبوع بنشر الحكايات مسلسلية، حتى استغرق ذلك سنوات في أرميتشة وخمسة وأربعين جزءاً. وأخذت تلك مجلات أخرى اهتمام بالدور نفسه في نشر حكايات من حكايات الليالي. وتعمل كل

١ - ينظر، محمد جاسم الموسوي: آلف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، المطبوع في دائرة المصحح، ص 19.

ذلك بعد رمسياً معرّضاً لتناجح هذا النفس الذي عكس مرآة ذوق المارئ  
 الإنجليزي مُحدثاً بذلك زعزعة واستقراًاً للتحطية السائدة في الأدب  
 الكلاسيكي، وهو ما جعل الكثيرين من الكتاب والفضائيين والصحفيين يُقرون  
 هذا التعبير الجذري في تركيبة الذوق الإنجليزي، ففي المقدم الأخير من  
 القرن - مثلاً - كتبت مجلة *Monthly Review* 1799 فائدة إلى الاهتمام  
 والتطلع الكندي تشرهما ألباني العربية بقوة والأوصاف الثرية التي تقضي  
 به، والتعبير الكفريق من الملباح الشرعية، أو طبايع المسلمين التي تفرح لها  
 الحكايات ستيقي جسيماً متار لمتعلقتا بكثير من ذلك الذي يولييه في المادة  
 إلى الحوادث المعروفة في السور الخروية كما استمر من (في حالت) في  
 مجلته *London & Westminster Review* للمعرفة 1839 ست طبعات جديدة من  
 الحكايات، ولم يتورع عن الاستنتاج بأن لللهالي هي أكثر الكتب رواجاً  
 في العالم<sup>(1)</sup>.

لقد كان إقبال الإنجليز على تَهَم ألف ليلة وليلة، وإهمالهم في  
 قراءتها، نابعاً من بلوغ المهمة والمكانة التي وصلت إليها، ولطه النفس الأكثر  
 إثباتاً لهوية الشرق في نظر القلوب لما تصدر به من خصوصيات عززت  
 تصديره إلى القلوب ليقوم بأخو دور يجعل الحضارة الغربية في بُرآن  
 الحضارة الغربية التي كانت بحاجة إلى قلب ذهني آخر يباري تصويره  
 اللبني اتقنم على ضوابط الثبات واحترام القيم، والنسالي والأصناف  
 الاجتماعية السائدة. ولهم غريباً في هذه الحال أن يقابل القراء الإنجليز  
 هذا المنجز العظيم بذلك الاهتمام، دوروي بيرتون قصة سير جيمس  
 ستورن *Mr James Storr* للحامي المام لأسكتندا الذي انشع لها ضناً  
 كتاب اللبانيه من أيدي بنفته اللواتي حاجاهن بقرائنه ليلة السبت. وقد  
 فرجن هو نفسه متعلماً بالجرعة ذاتها صياح المسيت. وكان ديوب *Pope*,

1 - ينظر، محمد جاسم الموسوي، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي الواقع في  
 دائرة السمرق ص 20-63. وفي هذا الكتاب اعتراضات صريحة وبلاغة من الكتاب الإنجليزي  
 بقيمة ألف ليلة وليلة وسكتها في *THE ENGLISH*.

الشاعر الإنجليزي المعروف من عشاق الكتاب شأنه في ذلك شأن سويغت Swift الكاتب والروائي والناقد. وكلاهما من كتاب القرن الثامن عشر الذين عاينوا ترجمة الكتاب لأول مرة في بريطانيا. ولم يمض عام 1713 حتى كنت قد ظهرت في إنجلترا أربع طبعات من هذه الترجمة.<sup>(1)</sup>

ولقد كان كتاب ألف ليلة وليلة خطوة حاسمة في نموذ الكتابة لدى الإنجليز، ونحوها جزئياً في مسار المعرد الخيالي، لم يحظ بها سوى الكتاب لنتقمس. وتروي جيل الدراسات للأنظمة في هذا الشأن<sup>(2)</sup> اهتمام الإنجليز بالكتاب. ويخيف أن كبار الكتاب لولعوا بمسحها لإلزاماً شديداً وقد وصفها روبرت Wordworth بكسر طفولته، وجعلت كولريج Coleridge يقر بهائم لتساع خياله بفعل قراءة هذا النص الطامع بالتمعة، واندي شكل مصدراً مهماً لرصيده الكتاب. وقد قال ذات مرة: «أعطني ليلي القليلة العربية والتي كنت أقرأها حتى ذهبت الشمس التي كانت تضيء على خزائن للكتابة وعندما تسطع عليها كاملة، كانت تمطيني للشجاعة لكي أصحبها من الرف»<sup>(3)</sup>. ولعل النقاش الحاد الذي كان يدور بين كولريج وشيفيل حول واقع هذا النص المجاني ما يثير مكانتها في نفوس الغرب، ولم يقتصر النقاش الحاد بين المفكرين حول طبيعة ألف ليلة وليلة وأصولها على هذين الأسماء، بل شهد إلى أسماء مشهورة أخرى، سواء داخل إنجلترا، أو في غيرها من الدول العربية من أمثال هاملر، والمستشرق الفرنسي المعروف دي سامي، وبمعه الإنجليزي إدوارد وجيم لين، حتى أن مجلة الز Atheneum وجدت في الجدل الدائر بين هؤلاء المفكرين المحتكم ما يستحق تدخلها خلال عامي 1838 - 1839. فظهرت خلال ذلك

1 - عاين عبد الله: ألف ليلة وليلة وفن الترجمة الإنكليزية في القرن التاسع عشر مجلة المشرق الأدبي، ص 121.

2 - للمريد من التفاصيل والتوسع، يرجع كتاب محمد جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في مظهرية الأدب الإنجليزي، في المجلد في دائرة المشرق.

3 - محمد جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، الواقع في المشرق المشرق، ص 92.



مفالات على صفحات المجلة. عدها الباحثون والنقاد من أبرز المفالات المتخصصة المكتبة والسالك، التنقيب والبحث والاستنتاج في أصول الحكايات وأصولها وتطورها<sup>(1)</sup>.

وهذا كان هذا الموقف قديماً من هذين العلمين الياورين في المعالجة الأدبية للإنجليزية، فلم غريباً من بقية القراء يصح فيهم الكتاب والقاصين، أن يتقوا في دائرة سعر مقاصرات شهرزاد للمجاهنية، حتى أصبح هذا النص جزءاً من تراثهم، يستمدون منه ما يحتاجون إليه في المناهات وأحداث الزمن، احتفاء بما تمتعوا به من حكايات عن قصص الجان ومغامرات المستفيد. ولعل ما يكمس مركز بقية القراء أضاء هذا النص المعصري هو شفق [روبرتس] **Edmund Roberts** بالنياني، كونه سيده المجتمع البريطاني آنذاك، تقول: «هيات بقراءة الناني وهجري خمس سنوات، وعند تلك المرحلة كنت أترقها مرة تلو الأخرى، حتى انتهيت من قراءة آخر جزء مطبوع من ترجمة المعهد لجن. وهذه المواظبة أوجدت عندي ميلاً قوياً لكل ما يتعلق بالشرق، لا سيما الجزيرة العربية»<sup>(2)</sup>.

وأم وفاة ريتشارد بيرتون **Richard Burton** الذي قضى أكثر من ربع قرن في ترجمة الناني، فقد كان جدياً في مقالته الصغيرة بالاهتمام التي صدر بها ترجمة الناني، ونوه فيها بانسهار الغرب، وعشقه للجزء ألف ليلة وليلة في سحرها وجاذبيتها السردية المبررة عن ثقافة الشرق في عصره الذهبي.

ولعل بيرتون بعمله هذا يختلف عن غيره، بخاصة الكارليندال ليومن **Newman** في دراسته المنصورية من خلال كتابه: «تصورات تاريخية - أثريّة وإلهامهم بأوروبا» والذي انتهى فيه إلى سحق الدولة المشائية لتقام بمراطورة أوروبية كاملة.

كما يختلف بيرتون **Burton** عن الكاتب هاريت مارلانو **Marlano** التي عايشت للشرق وتأثرت بتطلعاته، واعتمده بأوضاع المراد

1 - المرجع نفسه، ص 87.

2 - المرجع نفسه، ص 88.

الشرقية، وحاولت إنصافها مما أشاعه الغرب عنها، بوصفها مخلوقاً حسيماً ليس إلا، وهي رؤية انطلت كثيراً بيوتون *Barrow* في دعم موقفه حيال امرأة الشرعية والتي عدّها في أحسن حالٍ مما هي عليه للتركة في أوروبا. وقد كانت نظرتة مستمدة من العصر العباسي -العصر الذهبي- الذي شهد تألّف ألف ليلة وليلة. وما كل ذلك لئلا يكون لولا احتكاك الغرب بثقافة الآخر من تأثيرات هندية، وبغريقية، وفارسية، وثقافات أخرى، كلها، تراوحت مع الثقافة العربية الإسلامية لتعطي هذا التراث بقاء المعرّج والحضاري.

ولما كان بيوتون *Barrow* أيضاً، قد استجاب لمتجزات الحضارة العربية الإسلامية عبر وسيله الأتالي التي أهرته بمواهب السعري، فلأنه أراد أن يستثير مشاعر بني جلدته، وقد استلهم هذه الإلهامات لمحاولة بناء الإمبراطورية آنذاك، كي يريهم أن إمبراطورية الفكر والثقافة لا تقل أهمية عن إمبراطورية الضم والاحتلال، وهو بذلك يبلور مقولة أن «المعرفة تعطي القوة»، ولي امتلاكها بمعاقد على فرض الهيمنة والوصاية! لذا يتجاوز كتاب «الأتالي العربية» الذي ترجمه بيوتون بإبداع، كونه وثيقة اجتماعية، كي يبدو وكأنه تصوير دقيق لأليات التفكير الشرقي العربي الإسلامي على نحو خاص<sup>(1)</sup>.

ولقد نقلت الدراسات الحديثة آراء كثيرة حول مدى تأثير ألف ليلة وليلة في القصص الغربي بوجه عام، ولم يصبح هذا النص نموذجاً لأشكال مختلفة من الدراسات المقارنة لتقريب الشعوب والكتابات الفلسفية كالحدكاية الخرافية، والشمعية، والأسطورية، والصور الشعبية، والنوادر، وإن أكثر ما يجذب الغرب في الأتالي هو موضوعها المولائي السعري؛ الأمر الذي شجع الغرب على إعادة النظر في كتابة قصصهم. وقد عترف كثير من الكتاب بفضل ألف ليلة وليلة التي تجلت - على نحو أو آخر - في أعمالهم الفنية، واعترف المستشرق الإنجليزي *John A. R. Jefferys* بأن

1 - محمد الدعسي، الاستشراق الاستيعابية الغربية لتاريخ العربي الإسلامي: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2000. ينظر القسم الأول للكتاب، كما ينظر العربية الإنجليزي [www.orientalstudies.com](http://www.orientalstudies.com)

أوروبا قد تأثرت أولاً بآخر القرون الوسطى وأوائل عصر النهضة -  
بالمؤثرات للشعبية المربية، وهي التي سمحتا للسلطة القومية في الأدب  
وأن نمسا الإيطالية في عصر النهضة إنما هي وليدة التقمصن الشمي  
نمري، وأن [هوسر] قد تأثر بالنهج النمري في العبد والموصف  
والتصوير. ومع ذلك فإن الكثير مما نقلته من تراثها على حد تعبير  
رايلا - لا تكفي لتبيل لثة التي إلتينا من الشرق<sup>(1)</sup>. ولذا عدنا إلى قراءة الكتب  
نجد هذا طائفة بعزل هذه التصريحات والاعتراضات يقتل ألف ليلة وأيلة،  
وإن آدابهم كانت متقومة لولا ما حصل من الاطلاع على ثقافة الشرق التي  
أحدثت نوعاً من التقلاب الحضاري.

ولم يكن للتأثير في الكتابة القصصية لمحدث لولا احتكاك العرب  
بالحضارة النمرية الإسلامية، وبمعزل عن المؤثرات الأخرى من مابين هذه  
الحضارت، كل ذلك كان بفضل الترجمة التي تربت بين الثقافات، لذلك  
وجد الإنجليز - كثيرهم من الغربيين - في قصة ألف ليلة وأيلة كنزاً شديداً  
غير فقط لتكويرهم وغذى أسلوبيهم السريدي وفتح ذوقهم من خلال  
اطلاهم على قصص علاء الدين، وعلي بابا، والجن الحسن، وقمر الزمان،  
والسندباد البحري، وقصة شهر يار مع شهر زاد، وقصص الجان،  
والحكايات الخرافية، كما أسلف إلى مفاهم أسماء من تاريخ الحضارة  
النمرية الإسلامية مثل هارون الرشيد، والخليفة المأمون، والإسكندر الأكبر،  
وهذا رين لحكايات خيالية، كالبساط، والبحري، والحسان الطائر، وفي ذلك  
- كما ذكرت سابقاً - أكبر دليل على تأثير الفيلاني في رومانسية الإمبراطورية  
الإنجليزية، ونقلت دعماً جديداً للكتابة القصصية، أعطى - هذا الدفع -  
مصاراً جديداً للتفكير الخيالي، الأمر الذي دفعهم إلى إعادة ترجمتها  
بهجات دارجة، حتى يتسنى للقارئ العربي قراءتها، وخاصة أولئك

1 - ينظر أ. ب. رايبلا الماضي المشترك بين العرب والقوقية الروسية: د. مجلة إيراني، عالم  
لعمري، لمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، رقم 381، الطبعة الأولى  
1999، ص 266.

الذين يُقَعِّمون على الحفر الطويل في التمازج حيث قدمت لهم دور النشر خدمات أبحاث في مستوى تباينهم لها. وظهرت نسخ كثيرة في هذا السياق بين عام 1829 و1889. وهو أكبر دليل على ديموم ألف ليلة وليلة بين الإنجليز الأكثر إقبالاً على قراءتها من باقي دول القريب.

وفي ذات حيلة يرى محمد جاسم الموسوي - المتخصص بجذبة تامة موضوع ألف ليلة وليلة في الأدب الإنجليزي - أنها حظيت بشعب واهتمام الإنجليز أكثر من أي عمل فني آخر. وأتهم أنفسهم على هذا العجز الشري ينهون منه حوارات وتفاصيل ومشاهد يقصد تطمين المطلب الشعبي المتزايد .. وفي الواقع كانت التنايمز اللندنية 1825 قد وضعت ألف ليلة وليلة بأنها عمل يدعى مهلوجرافياً ... كثيراً. أما بالنسبة إلى النسخ المعدة في ألمانيا والنقل لها، فقد غصت دور النشر بالإصدارات عنها، بينما مضت الصحافة تزدهي بمختلف القطوعات عن الشرق. وهكذا، ظهرت أوضاع متنوعة من النتاجات التي لا حصر لها ولا عدد. فكانت حكايات هانلي Venus Hamley المسماة ظفراء وسلالين، وقصائد ترانس Richard Traush المسماة قصائد من مصادر شرقية، وغنائيات نورهان Lord Houghton المسماة سف الفخيل، ومن جون كاتب عديدة صار انتشارها سنة من سنوات قليلة ذلك العصر الطموح<sup>(1)</sup>. كما كانت أعمال أخرى يصعب على أي باحث مهما أوتي من صبر ودقة في العمل أن يلي الموضوع حقاً، نظراً إلى وفرة من تشتت على منجر ألف ليلة وليلة المصري في جميع ثلث المائت.

وما تزال الجهود الحديثة في ميدان الترجمة قائمة إلى يومنا هذا، تنضم أسماء كثر من الجيل الجديد، ومثوبهم - مثلاً - جائرة تشرف عليها جريدة المستقل «Jubilee» لأحسن عمل عربي يترجم إلى الإنجليزية. والفائدة عريضة في هذا المجال على نحو ما تقدم به أيضاً بعض المجلات المهمة مثل مجلة: [Translation Review].

## رابعاً - صدى شهرزاد/ خرق العزلة

لم يقتصر تأثير ألف ليلة وليلة على لغة دين أخرى، ولا على جنس فني دين آخر، سواء أكان مسرحاً، أو شعراً، أو مسرحية، أو فناً بشكلياً، أو سيمفونية موسيقية - كما لم يقتصر تأثيرها على حضارة معينة، بل تعدى ذلك، إلى الحضارات التي أعقبت ميلاد هذا العمل الخوارفي الذي تمتزج فيه مصنفات التفكير الواقعي والخيالي.

وقد بدأ اهتمام الغرب جلياً - كما مرّ بنا سابقاً - فكان تأثيرها بعد المدى إلى معظم الأجناس الفنية، وفي معظم لغات العالم وبـإرغال صدائها منذ أئلي يومنا هذا، يعظمهم معها كبار الفنانين أعمالهم، وما جادت به قرائتهم الإبداعية.

وقد أقرّ معظم الفنانين أنهم تكلّموا على قصص شهرزاد العبدلية والتي كانت مكنّناً للعشق، وهاماً مسرحياً لجمال المرأة الشريرة كما صرح بذلك جوتيه وفولتير، وكوفريدج، وكالاب والفيلسوف صاحب جائزة نوبل 1922 [أنتوني فرانك] الذي لكد تكلّمه على ألف ليلة وليلة قبل أن يصبح أديباً ومفكراً.

وبذلك يكنّ الغربيون قد تسنى لهم اكتشاف عدة عوامل هامة من مدرسة شهرزاد السعيد لملأها:

- اطلاعهم على ثقافة الشرق.
- اطلاعهم على قيم تبيلة تخالفت قيمهم - في كثير من الأحيان -.
- تحرّروهم من قيود التفكير الكلاسيكي.
- إثراء التصور الخيالي

• تعزيز الجو الرومانسي المنتشر آنذاك - حيث كانت على حد تعبير محمد عيسى هلال قرمز كذلك إلى القضية الرومنتيكية الكبرى في نصرة

القلب والمحافظة على التفكير الجيد... والهروب من واقع الحياة إلى عالم  
خيالي مسحري، ومنها المسخوفة بالملوك.

• تأثيرها في المرأة الأوروبية، واعتبار شهرزاد مثلاً للمرأة المتعددة  
والحكيم.

• خلق نمط جديد من السرد العجائبي، المخالف لما كان سائداً قديماً

• غناء الإبداع القصصي، بطولات السرد المتوقعة.

• تشييمهم بأفكار جديدة.

• إشباع الخيال الروحي في فنون القصص الخيالي.

• تشجيع الترحيمات

• تعزيز الدراسات المقارنة بين ألف ليلة وليلة والحكايات الشعبية ذات  
مؤثرات الخيال.

ولقد خضعت الدراسات الحديثة دوايح انتشار الثقافة العربية  
الإسلامية في الوسط العربي بوجه عام وتؤكد مكانة الحضارة العربية  
الإسلامية، وهذا ما يؤكد كثير من أعمال المستشرقين، وما تقوم به بعض  
الدراسات اليوم بشأن حوار الحضارات، وتواصل الأمم في ثقافتها، حيث  
وجدت في الثقافة العربية الإسلامية تربة خصبة من الفريين الذين  
ثم علوا منها تفاعلاً ثقافياً عالمياً على الإطلاق.

وكان حظ الثقافة العربية الإسلامية - في ميدان الفنون - يربطه  
ألف ليلة وليلة في الآداب العالمية وأغراً، فطلب لهذه الآداب شراً قسماً كما  
أقرت الدراسات المنقطة بألف ليلة وليلة أن لها مكانة خاصة في جميع  
الآداب لغوية، وأن تصنيفها المميز أسمى روائع هذه الآداب، تكون قد  
لجبر الشرق في جماله المسحوري استطلاع أن يحظى بالخلاص بمصل  
تألقه من جيل إلى آخر، ومن لغة إلى أخرى. حتى أصبح يصان في الأعمال  
العربية النحالية مثل إيلانة هوميروس، وأعمال هرجيل، وأعمال جيوفاني

بوكاهيز مؤلف حكايات حيكاهيزون التي روى فيها بعض القصص للقبيلة من حكايات ألف ليلة وليلة. والمجلة الألمانية المتقدمة المسماة *Die Kunst der Erzählung* وسيرة الأمير جنجهي<sup>(1)</sup> التي تمت في مرتبة ألف ليلة وليلة عند اليابانيين.

وبذلك يكون كتاب ألف ليلة وليلة قد نال اهتماماً من مفكرى الأدب العالمي وأعلامه، لم ينله أي كتاب آخر. هذا إذا استثنينا القرآن الكريم. وظهرت دراسات كثيرة تناولت الياباني، والتعليل والدراسة والمقارنة، والمؤثرات الداخلية فيها، وبموجب على أي درس لنجني حوماً كذا واسع الاطلاع والمعرفة، أن يخطط بجمع دأوسي هذه الحكايات، إلا أنه يمكن القول أن من أهم الكتاب الأجانب الذين درسوا ألف ليلة وليلة وحللوها من غير الذين تطرقوا إليها: د. به ماكدونالد 1883 - 1943م، ريج ويستروب 1887 - 1938م، وإينو هيتسان 1873 - 1938م، وهون هاس، ووليم ليز، ودي هوبه، ونوكسكه، وأسيوك، وكريمسكي، وهرمان زوتنبرج، وهولان، ورونيه باسهر، وهون غليك، وأوغست ميلس، وإمول كاتيه، وهون لورنلوك. وف. ريتي، ووليم بوير، وسلفسترداي ماسي، وهورونز<sup>(2)</sup>.

لقد وقع كبار الفنايين والكتاب تحت تأثير غرائبية ألف ليلة وليلة. وقد قال علي الروائي إيتانو كاهينو<sup>(3)</sup> أنها تتميز بالخفة. أما أهرارث إمبرانو فكان يسميها الجذاب فهي شامخ على وقوع الغرب في كتابة

1 - يرجح أن ميراسكي شيكيو إحدى وسيليات القصص الإسرطوري كاتيتا في بدايات القرن الحادي عشر الميلادي.

2 - حار أجري مع القصص والروائي الياباني: الدكتور محمد عبد الرحمن ورنس في مجلة العربي، العدد، أظفر الربط: [www.alukah.net](http://www.alukah.net)

3 - وضع إيتانو كاهينو (1923 - 1994) ست وصلياً للأغنية الفنادية في مجال النص في الفناء، والسرعة، والدقة، والوضوح، والتسديد، والانساق. وقد أعد خمس معاضرت عن لهم النص الأولي لإتائها في جلسة هاروارو الأميركية في إيلار برناسج (قراحت مورتون المست) في العام 1985 طبعته الوثق في السنة التالية، قبل (كمال المعاصرة الساندة وقبل سفره إلى أميركا. وقد مشوت المنظمة الثقافية التي أعدها بعد وفاته في كتاب كان قد نشر له عنواناً: بيديو لوملة الأولى: غرباً: ست وصلياً للأغنية الفنادية.

أعمالهم الخلاق، وكذلك للشأن بالنسبة إلى جورججي كورجيس بورجيس 1968 - 1999 (George Lash Burgess) الذي عبر عنها بقوله «تملكنا رغبة في اقتنه في ألف ليلة وليلة، ونحن نعرف أنه بدخولنا في هذا الكتاب يمكننا أن ننسى قدرتنا الإنساني الباقية» وصرح في مواقفه عديدة خاصة في كتابه «محاولة في الصورة الثقافية أن الفضل في سمحه إبداعه القصصي نابع من اطلاعه على ألف ليلة وليلة عندما كان يمعن عليها قرائه، وكان علي أن اقرأه خلسة فوق السطوح»<sup>(1)</sup> ووصف إيجار الان يو ألف ليلة وليلة بـ «ملكة يمسدة المجال» في قصته «ألف ليلة وليلة» وذكرنا إلى حجم الاستقبال التي حظيت به، وما كان لها من تأثير على دوقه الثاني، أما فريدل بولا وبهام أبو الحسن فونكران في مؤلفهما «شهرزاد شخصية إلهية، أن العديد من القصص الإيطالية في القرنين الرابع عشر والسادس عشر تأثرت بإطار ألف ليلة وليلة مثل قصة «أستولفو» لجيوفاني سركامبي، وقصة «أورلندو والأناضيب» لأريوستو... بالإضافة إلى قصة «الديكاميون ليوكاتشيرو»<sup>(2)</sup>.

ولقد تسببت ألباني إلى جميع بلدان العالم وتمقلت إلى معظم اللغون، فكان لها تأثير بالغ الأهمية في بولندا حينما اعتمد مترجموها على نسخة خالان، وكان ذلك في منتصف القرن الثامن عشر، حيث قام بترجمتها Bohuslaw K. في سنة 1785 في الثاني عشر [18] مجلدًا، وأعيدت طباعتها في سنة 1772. كما قام F. Bohuslaw في سنة 1819 نشرت بعض الأجزاء في مجلة مونيتور Kessler البولندية وفي سنة 1819 نشرت ترجمة جديدة في هينو من ترجمة خالان، فيها في سنة 1875 ترجمة أخرى في وارمو، وكلها نُقلت عن ترجمة خالان. وفي الخمسينيات صدرت بعض المختارات المترجمة عن طويق ف. كويباتك وتوبيليتش

1 - زاهد سيمان بورجيس وألف ليلة وليلة الرابط: [www.walidulhassan.net/oldchiding.com](http://www.walidulhassan.net/oldchiding.com)  
2 - زاهد حسين شهرزاد في الفكر العربي والقشري [www.walidulhassan.net](http://www.walidulhassan.net)



W. T. de Bary. ثم صدرت في عام 1959 طبعة أخرى تحتوي على عدد أكبر من المقالات ترجعها في كتيبها من اللغة العربية وكانت هذه الأعمال مقدمة لصحور الترجمة الكاملة في السبعينيات من القرن العشرين. من طرف مجموعة نُشِطَ لهذا الغرض تراسها كريميتينا سكارجيمسكا، يوحنايتسكا .

ولم تشذ أمريكا عن بقية العالم في مدى تأثيرها بالليالي التي وصلت إليها عن طريق الإنجليز لتوحيد اللغة بينهما. «تأثر بها هرمان مللر مبدع الملحمة الروائية (سوي ديك) فقد تعرف (مللر) إلى ألب ليلة وليلة منذ شبابه المبكر، كما يقول جون ديكسون في دراسته انعكاس البلاد العربية - ثقافتها وفكرها في الأدب الأمريكي، وأنه في «سقطايا» التي كتبها وهو بعد مراهق يقتبس مللر على نحو مومض في فرائجه هذه من ألف ليلة وليلة» ويشير إليها على نحو واضح<sup>(1)</sup>.

وبذلك حُدَّت ألف ليلة وليلة بعد تسلسلها إلى لغات اللغات، تراثاً مشتركاً بين الثقافات، ورغم صياغتها العربية إلا أنها تشكل قسماً لكافة الحضارات الإنسانية، وعبر كافة الأزمان، ويؤيد هذا ما يؤيد من آراء لنبوابي الفكر لعاني، ولو لم تستحق هذا الاهتمام ما كان لولاء الكتاب والمفكرين أن يبنوا أحكامهم على جودة هذا النص الخالد، ولعل في رأي الممتشرق الأمريكي توي Crawford, B. Toy 1989 ما يجعل موقف كل ألب حزين الذين اعتبروها مكسباً للسحر والتشويق الخصب يقول: «إن هذا الكتاب هو تاريخ الثقافة الإسلامية، وسجل التكامل الإسلامي المتفرد في أديم عزلة العرب في آسيا إنه يقدم صورة لحياهم أسفلى وأكثر حيوية من جميع التواريخ الحديثة مجتمعة»<sup>(2)</sup>.

1 - جمال محمد محمد، الرواية الآن وتسلل ملح، [www.sawab.net.com](http://www.sawab.net.com)

2 - محمد جاسم الموسوي: ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي والفرع في اللغة العربية ص 304

وحظيت الصين هي الأخرى وباهتمام أكثر، منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949 يضم من سياسة الإصلاح والانفتاح على الآخر من ترجمة الأعمال الأدبية العربية. وتروي الدراسات أن حقيقة فعل الترجمة من العربية إلى الصينية، ومعرفة الصينيين بالثقافة العربية يرجع تاريخها إلى أواسط القرن الثامن عشر، حيث بدأ بعض العلماء المسلمين الصينيين، منذ هذه الحقبة حتى عشرينيات القرن العشرين بترجمة مادي سور قصيرة مقتارة من القرآن الكريم. كما تروي الدراسات أن الصينيين لم يكسروا على بيئة من الأدب العربي إلا ما تقهر لهم من معرفة بعض قصص ألف ليلة ويلة التي ترجمت إلى الصينية من الإنجليزية أو اليابانية ابتداءً من سنة 1900، حيث لم تكن ثمة ترجمات صينية لهذه القصص المشهورة عن اللغة العربية مباشرة إلا ترجمة الأستاذ نان شون الذي ترجم معظم حكايات ألف ليلة ويلة عن اللغة العربية وشرف في خمسة مجلدات عام 1943. وقد بقيت الترجمة إقبالاً كبيراً من القراء الصينيين. ولا حدود نصف القرن الأول أطلق على كل أنواع طبعاها اسم إسمار في بلاد الله (أو الكعبة) وهذا اتباع لمصطلح المنطقة العربية المستعمل في قديم الصين، وإن للترجم الصيني الوحيد الذي قام بترجمته من اللغة العربية مباشرة هو السيد محمد نور نان شون [1911 - 1969]... وأصبحت رواجاً في هذا المجال؛ إذ ظهرت طبعة مترجمة في خمسة مجلدات، إلى غير الوجود في مستهل أربعينيات القرن الماضي، ثم أتت ترجمة المجموعة الكاملة لـ ألف ليلة ويلة... وكاد أن يكون هذا العنوان مرادفاً للأدب العربي<sup>(1)</sup> وما زال اهتمام الصينيين إلى يومنا هذا منشغلاً بهذا النص السحري ومنهم: شريف قسي بو حاور ومساعد تشونغ جيكون، وفي تشين تشونغ.

1 - نشرون به: الأعمال السريعة الترجمة في الصين لقرن العشرين، ضمن كتاب سلسلة أبحاث، مؤتمرات الترجمة وتفاعل الثقافات [حقبة بحثية]، المجلس الأعلى للثقافة من 2009 - 2009 ويظهر أيضاً الدور الذي أجرته مجلة [الصين اليوم] مع الأستاذ مساعد تشونغ جي كون، رئيس الجمعية الصينية للكتاب العربي، بمناسبة مرور عشرين عاماً على إنشاء هذه الجمعية ليعتدنا عن الأدب العربي في الصين. الرابط <http://www.china.org.cn>

وأما في اليابان فقد كانت أحر أعمال الكاتب الياباني هاروكي موراكامي في روليت «كافكا على الشاطئ» تحظى بأجواء غرائبية وقد تمعد الروائي إدخال ألف ليلة وليلة «كهاشم بيني لتفكر للآلة»<sup>(1)</sup>

أما في إيطاليا فكان للكاتب الإيطالي «جيوفاني بوكاتشو» نصيب من التأثير في عمله الخالد الذي يعتبر واحداً من أجرو إنجأ زالت عصر النهضة الإيطالي في «الديكاميون»<sup>(2)</sup> الذي تركه لأدراً عميقاً في الثقافة العربية بوجه عام.

وفي عام 2007 احتفلت روما الجامعة الإيطالية بأكثر عرض للموسيقى القوية إذ تمام حفلات الموسيقي الكلاسيكية في أكبر مجمع موسيقي في أوروبا. وفي هذا الحفل تقدمت مقدمة الحفل «يانا سوتي» بقراءة نص من إحدى قصص ألف ليلة وليلة - ضمن مجموع أخرى من التراث العربي - بمصاحبة الأوركسترا الشرقية - العربية. وفي هذا دليل آخر على اهتمام الغرب بمكانة ألف ليلة وليلة.

وتضم الدراسة الإيطالية أسماء كثيرة في عصرنا المعاصر، لعل أهمهم (إيزابلا كاميرا) التي تهتم بترجمة عشرات الأعمال الروائية والفصلية المعاصرة ضمن سلسلة «كتاب عربي معاصرين» التي تصدرها، وتقوم

1 - هاروكي موراكامي من مواليد كونو عام 1949، يوديش ظاهراً قريب طوكيو، يعتبر هاروكي موراكامي من أبرز كتاب الرواية في اليابان والعالم. ترجمت أعماله إلى 54 لغة. وقال هذه جوائز. وكل رواية موراكامي هي حداث تتناول المصنوعات الثقافية في صحن العالم الكبير. ويشتغلها القراء بشفقة وتطبع منها ملايين النسخ بعدة لغات.

2 - تسمى الكلمة باللاتينية «الأيام المشروحة» وسواء علم من الشرائع أن الشخص الذي يحتويها وهي حقة قصة قد رويت في هذه الأيام المشروحة فقد انتشرت سبع معاد من بدات طوروسا أن يوجين الهيئة التكوينية هرباً من الطاعون. ليعيش في تروم حوله وجسد فسرراً. ويسلمين سبون ثلاثة شبان من أجل الصلابة والشرق. وهناك توسلوا إلى الاتقان على رواية القصص. في خطوة يحاولون فيها تليقز نسخة الموت الأسلوبية. ويشر الجميع سميت منكة لو حلت عليهم لكل يوم من أجل الإصطفاة بتجارة الحكايات في هذه اللصقة يعالج الديكاميون كتاب ألف ليلة وليلة العربي الذي استندعت فيه شهور الحكايات من أجل معاصرة القوت. واستندعت.

بالإشراف عليها في مشروعات **Jeunesse** في روما بترجمة مخصوص من العربية إلى الإيطالية.

أصفت إلى ذلك ما تقوم به بعض المشاريع المشتركة بين مفكرين من أوروبا بالتمسك مع مقتنئين من العالم العربي مثل [مشروع **Press**] الذي تدبره الكتائب والرواثة سلمى خضراء الجيوسي. وكذلك مشروع [ذاكرة المتوسط] الذي يهتم بترجمة الأعمال العربية إلى معظم لغات العالم

أما الكتائب البرتغالي المالي غوسيه ساراماجو [ممثل علي جائزة نوبل للأدب عام 1998] فإن المصالح علي روايته التي ترجمت مؤخرًا «الطرفة المصيرية» التي تدخل ضمن نص الإطار؛ أي الحكاية التي تتولد من حكاية أخرى، فإنه يتأخر فيها بألف ليلة وليلة.

ويهيء الروائي البرازيلي باولو كويلو [عجابه هذا النص السعدي في قوله «إنني مصعب بالثقافة العربية»] وقصص ألف ليلة وليلة كان لها كبير أثر في شخصيته وأسلوبه يوم كنت أطفالا في مراحل طفولتي؛<sup>(1)</sup>

ولعل أفضل ما ننهي به هذه الصفحة ما جاء على لسان الأمريكية جوناثان كيربول عندما قالت: «لنا سعد في ألف ليلة وليلة» وهي مجموعة من القصص مبرها خوسيه، أنها ألقت على ضاحل كتاب أمريكا وأوروبا؛ إدجار آلان بوي، هومي، مولفيل، ميشنلي، إيرفيس، إضافة إلى مارسيل بروسك، وجيمس جويس، شارلز ميكس، روبرت فريس ستيفنسن، وهانز كريستيان أندرسن، ونورود بايريه، وشوتير. وفي أعمالهم جميعا تظهر مؤلفات ألف ليلة وليلة، طبقا لما يقول روبرت فريس استاذ تاريخ المصور اللوسنجلي سابقا في جامعة سان أندروز في كتابه «دليل إلى ألف ليلة». يوضح فريس في هذا الكتاب أن بعض رواه هومي عيك يأتي من إشارات مضمرة إلى ألف ليلة وليلة من بينها «إن أحب الحوائين إلى قلب القبطان

1 - باولو كويلو: مجلة مرآة، الروابط: [www.sharctoryyjournal.com](http://www.sharctoryyjournal.com)

أحباب هو مصمم يسمى فصل ألفاً بهما لا يكف جويس في «عوليم» عن الإشارة إلى واحدة من أشهر قصص ألف ليلة وليلة وهي قصة السندباد البصري .. واجت ألف ليلة وليلة وهي حكايات من الهند وفارس، يعرفها أقرب أياً باسم الليالي العربية في أمريكا بعد ترجمتها إلى الإنجليزية على يد كثر من منهم: المسور ويتشارد بيرتون. والليالي حافلة بحكايات حوشية ومشاهد جنسية داعية بجانب عشرات من الحكايات التي يلقي عليها وجرد الله. والحكايات ككل تتنوع بتفاصيل عديدة للحياة اليومية في شوارع الإسلام، وكذلك خلف الأبواب المنقذة مما يجعل منها واحدة لنا على القوى العاملة في المجتمع الإسلامي في القرنين الراسخين<sup>(1)</sup>

ويبدو من خلال ما مرّ بنا اهتمام الآخر بنص ألف ليلة وليلة التراثي وأيضاً، حيث يصعب على أي باحث أن يلم به إلا ما كافيته شاذية، من حيث لحواظ من جميع دول القاطنات العالمية، سواء عبر أمة الدراسات المقارنة، أو عبر وثيقة الترجمة في تقاطع الثقافتين بين الشعوب. والحال هذه، لم تبرز مكانة السرد في أي لغة إلا وفكرت من نص ألف ليلة وليلة، وما لبثت سحر مقله بسهل من الدراسات لما فيها من توسع لأفاق الوعي، وأتسرد القصص بطريفة أدمنت كل مقل. فكانت بالنسبة إلى كتاب والليالي أعمال قصة محيرة، وجذابة، وغالباً ما كانت تمكن في بعض قصصها - أجواء واقع الإنسانية على مرّ العصور، وهو ما ضمن لها مرتبة المناقشة مع بعض الأعمال الأخرى التي تربعت على عرش الخلود مثل: مسرحية أوديب والكوميديا الإلهية ورسالة الفخران وروايات الطبيب والمسيح في الروح الشريرة لشيبي، وسيرة الأمير جنجي .

وبالنظر إلى ذلك كله فإن ألف ليلة وليلة تعتبر من أهم الأعمال التي لا مثيل لها في مجال السرد، ويؤكد هذا آراء الكتاب والناقدين والمفكرين الذين

1 - جوناثان كورنيل، صحيفة، سان فرانسيسكو حيث لترجمة أحمد شافعي، من أسبوعية أخبار الآداب، مصر، العدد 1987، مارس 1985.

كانوا مشهورين وبأساهم الذخول وقولهم لنا وَجَدُوا فِي هَذَا الْقَتَمِ مِنْ  
أَخْبَارِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ فِي شَكْلِ عَالَمٍ مَجْدُونٍ وَمَخَاطِبَةٍ وَمَسْجُودٍ ، عَالَمٍ  
تَفَصَّلَتْ فِيهِ كُلُّ التَّلَفُّفَاتِ الْمَقُولِ وَشَرِّ الْمَقُولِ وَالْمَوْثِيِّ وَالْإِلْمَارُثِيِّ  
وَالْوَالِمِيِّ ، وَالْحَرَالِ فِي الْأَسْطُورِيِّ ، وَكَأَنَّهُ عَالَمٌ وَسُورُهُ دُخَانٌ لَيْقَظُهُ مِنْ سَحَرِ  
سَرْدِ شَهْرَزَادِ الْفَتَنَةِ مِنْ جَمَالِ كَلَامِهَا الْيَاكِرِ وَالْمَسْأَحِرِ ؛ حَيْثُ كَلَّتْ تَقَمُّنُ  
شَهْرِيَارٍ وَهُوَ يَرْتَوِي إِلَى حَنِينِهَا ، وَيَتَجَبَّبُ بِهَا وَيَخْدَعُهَا بِالْحَرْدِيِّ ، وَيُزَيِّنُهَا  
بِقَصَصِهَا الْعَجِيبَةِ ، فَابْدَعَتْ لَنَا سِرّاً لَا مِثِيلَ لَهُ ، فَخَلَقَ تَوْهَعَاتِ السَّرْدِ  
الْمُصْصِي الْمَالِي . وَلَقَدْ سَرِدَ لَنَا أَحَدُ كِبَارِ كِتَابِ الْعَالَمِ كَيْفَ أَنْ أَلِفَ لَيْلَةَ

وَلَيْلَةَ هَذِهِ جَمِلَتْ كَوْنِيهِجٍ يَسْتَوِلُنْ عَالَمَ الْإِتْسَاعِ بِسَبَبِ قِرَائَتِهِ لِهَذَا الْكِتَابِ  
الْمُطْلِمِ ، وَأَيُّ رُوحِيَّةٍ وَصَفَةٍ بِكُلِّ مَقُولَةٍ وَالْوَعْدِ الَّذِي يَنْدُرُ أَنْ يَكُونَ دِيوَاناً  
وَنَقْدَ الْعَبِيدِ مِنْ كِبَارِ كِتَابِ الْعَالَمِ نَحْتُ إِخْرَاءَ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ ،  
وَكَمَا ذَكَرْنَا سَابِقاً فَإِنَّ إِعْطَارَ الْوَقْتِ وَوَقْعَ تَحْتِ تَأْثِيرِ كِتَابَةِ اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ بِمَدِّ  
الْأَكْفِ ، وَبِهَوْنِيفِ رِيثِ الَّذِي تَصِفُ شَهْرَزَادَةُ أَيَّامَ انْحِطَاطِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ  
الْمُسْلِمَةِ ، وَبِهَوْنِ بَارْتِ الَّذِي يَحْكِي لَشَهْرَزَادِ الْحِكَايَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ  
تَحْكِيهَا ، وَمَا وَسَّوِلَ بِرُوسْتِ الَّذِي رَأَى نَفْسَهُ فِي صُورَةِ شَهْرَزَادَ ، وَبِهَوْنِ  
تُورِسِ بِرُوسْتِ الَّذِي كَتَبَ أَجْمَلَ مُصْصَمِهِ هُنَّ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي مُنْتَصَفِ  
أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ<sup>(1)</sup> .

وَمَا تَزَالُ الدَّرَاسَاتُ الْأَجْنِبِيَّةُ ، عَلَى وَجْهِ التَّعَدِيدِ ، قَائِمَةً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ،  
تَسْتَكْمِلُ مَا أَتَتْهُ الدَّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ لَهَا بِتَأْثِيرِ بَعْضِ الْبَحْثِ الَّذِي  
فَعَلَهُ مُحَمَّدُ جَاسِمُ الْخُوصِيِّ فِي دَرَأَتِهِ الْقِيَمَةِ الَّتِي نَالَ بِهَا دَرَجَةَ الدُّكْتُورَاةِ  
مِنْ جَامِعَةِ دَاهَلُوزِي الْكَنْدِيَّةِ فِي شَهِرِ أَلْفَلَّةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ عَامَ 1978 ، مِنْهُ أَنْ  
تَقْصِي كَثِيراً مِنْ الْأَسْمَاءِ الَّتِي وَلَقِيتَ بَيْنَ يَدَيْ أَكْثَرِ أَجْمَلِ هَذَا الْبَحْثِ  
مِنْهُمْ هُنْزِي هَارِيسَ الْكُورِيَّةَ مَوَكِيلَ تَرْجُومَتَانِ تَوْدِيوِيَّةِ شَرْدِيوِيَّةِ هُونِ

1 - عَلَى الشَّرْدِيِّ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ بِمَعْرِفَةِ قِيَمَتِهِ مَجْلَدُ جَسَدِ الْكَلِمَةِ ، الرُّبْعِيَّةُ ، 1985 ، ص 200 .  
وَسُحِرَتِ الدَّرَاسَةُ فِي حَقَائِقِهَا فِي الْمَلِكِ الْفَتَا فِي لِيْرِيَّةِ عَمَلِهِ 2005 .

ديزلين، هو جوفون هو فمتستال، ميخيل جاكه إيجار وهور، تابفند  
بيدولت، جنروم كليتوي، يوتف يورافقه، خورخي لويس بويرخوس، أندرياس  
حاموري، جهرهار فوش، إلهوت كولا، سلفيا بلفي، وغيرهم كثير ممن  
تداولوا ومازال الكثير منهم يتعامل مع ألف ليلة وليلة كرواية أقدم من التاريخ،  
ولا يمثل سوى أكثر التاملات، بلادة، ومزلة، وغيرهم إلى جانب أنهم  
يضمون منطق لنمط الإنسان مع وجوده العلمي، فهم - إلى جانب ذلك -  
يريدون معنى الوجود الأرضي لهذا المتجر العظيم، وما يزال سؤال عصير  
البشرية، يكتموس، حياً إنسانياً يسمى الإنتمال من ورقته إلى الإنتمال هير  
كافة السبل حتى من التراث الشعبي بوصفه مصدر مستقبل الأمم.

وبذلك تخطت الكلاسيك العربية حدود الزمان والمكان، فاطرقت الأدب  
الروسي والإنجليزي، والألماني بما في ذلك الأدب الفرنسي الذي كان بوابة  
المسرح إلى الشرق. وقد صاحب تلك التأثيرات مجموعة عوامل أهمها  
تجدد الأدب الأوروبي بإدخال روح الشرق باستخدام الشعر الفنائي  
الراقي، والأسلوب الشرقي المنسق والخيال، والهجاء، والسمعية التي  
تهدف إلى تهذيب الصغار والكبار على السواء، وكذلك عالم المسحر  
الخارق، والبهذخ الشرقي بوجه عام، وبمحاكاة الشرق وسحر ليلاليه،<sup>(1)</sup>  
ولقد أظهر نقاد الأدب الأوروبي ترحيباً لا مثيل له بألف ليلة وليلة ووصلت إلى  
كل الطبقات وتغلغلت في أذهان معظم الكتاب والقراء والشعراء،  
وباعتراف هؤلاء أنفسهم جرى الاهتمام بألف ليلة وليلة على الصعيدين  
الأكاديمي والفنوني، واستمر تأثيرها ليجيالاً متلاحقة لا تزال تأثير حولها  
التمذبات إلى يومنا هذا. وبذلك تكون للليالي باخترافها حدوداً محدودة  
من هوائنا، تكون تكون، قد امتكته قراء وجمعت فيهم الاستجابة للوجودانية  
بمهمة دور المرأة في الحياة، ولهمك حلفتها من الشعر الذي وضعها العقل

1 - ناهية سلطان: تأثيرات ألف ليلة وليلة على الأدباء الروس في القرن التاسع عشر، مجلة  
عالم الفكر، ص 18، ج 3، سنة 1987، ص 179.

الدكروي فيه، وكأنها يتلف، تشد الموالم المكثة. ولعل هنا ما جعل المرب  
يتجهس إلى الإقبال على احتوائها نظراً إلى ما كان يعانيه من قسوة  
الحياة، وتمدد مشكلاته اليومية، بالإضافة إلى مطاهاها طموح  
المرأة الفوقية.





ثم تعد الدراسات الحديثة تتطلع في الوصول إلى نتائج نهائية؛ لأن ذلك بعد من صميم متن البحث بل أصبحت البحوث في مساعيها الأخيرة تعمل على إثارة السؤال بوصفه الباعث على التامل طالما هناك إمكانيات للكشف لا تنتهي. انصف إلى ذلك أن السؤال في نظر المفكرين جزء من صميم البحث وحفر في عمقه، وتلصص بحقائقه، ويبحث على كشمه. ومن ثم يكون لكل سؤال أهمية على بلورة فكر المثقف وتوجيه نظره إلى ما يشغل طموحاته. ومن هذا المنظور ارتأينا أن يكون بحثنا عبارة عن سؤال متسرع، يتسرع الوصول والباحث. وفي المقابل نترقب من القارئ أن يكون نظره جواباً عن سؤال آخر، حتى يظل للبحث طاماً، ومفتوحاً على أسئلة لا تنتهي، بحسب مستجدات الآلات المنهجية في تناوله.

وإذا كثر الأمر كذلك فهذا يعني أن لكل بحث إشكاليته الخاصة به، والمساعدة لنتائج الاحتمالية التي تدرس حدوده في أحكامه الموجهة، بحيث يكون الإمكان مصدراً من مصادر انطلاق البحث الآخر في تبني الفكرة من جديد بما يتلاءم مع مؤهلاته.

وإذا كان بحثنا قد تضمن إشكالية التوجه في الأدب المقارن، فإن وراء هذه الإشكالية عدة أسئلة ما زالت تأخذ جديلاً نفسياً في تناقض هذين العنصرين بين الاستمرارية في التواصل أو الانسحاب من ميدان الدراسة، وأيهما يشير حقاً قانونياً هرعياً، أو حقاً لاسمياً. وقد وقف كل منهما بتسدي لساقي المثاني، وساعد على هذه المناقشة أن أخذت الدراسات الحديثة على عاتقها مسألة البحث في شأن كنهانها، وأحتشمتها في الاستمرار، وأيهما يكن له الصلاحية في التطيش مع التحليل في صلب الدراسات الأدبية.

وما تزال الدراسات التي تتناول موضوع الأدب المقارن والدراسات الترجمية غير مستقرة بعد، رغم أن كلا منهما يتعامل مع العنصر المصدر في

لغة الأعمال، ويحاول نقله إلى لغة الهدف بالمستوى الذي يفهمه في الوفاء بعملية الأثر والتأثير، وكان من وراء ذلك أن تطالب أسومات في اللغة الأخيرة منذ بداية الألفية الثالثة، محيرة عن القول تجم الأدب المقارن، اعتقاداً منها أن عملية النقل والتأثير هذه لم تعد من اهتماماته، كما أنه أصبح ينظر إلى الأدب بوجه عام، في لغة الأصل على أنه شيء مسلم به، وهو ما يصير في نظر أنصار الترجمة - استسلاماً مالياً لدوافع معينة وافتقار من الآخر بقرص الاستيلاء على الثوابت الثقافية المحلية.

ولئن كان الباحث قد جَهِل على إبراز النتائج وإصدار الأحكام، فقد ارتأينا من باب أولى تقاضي ذلك، للأصابع التي ذكرناها قبل قليل، بغضمة إذا كان الحقن الذي اشتغلنا عليه يُعد من أكثر الحقول المعرّضة لتعقيداً، وما زال يصادف عوائق جمة، سواء على الصعيد المفهومي في مسائل الاختلاف أو الاختلاف بين مصطلحي الترجمة والترجمات المقارنة، أو على الصعيد المنهجي، حيث يستمر الجدل في كفة أداء وظيفة كل منهما، ومن ثم، جاء تحليلنا لهذه الإشكالية مبنياً على عدة احتمالات من آراء الدارسين لهذين الحقول، لنصل في الأخير إلى إبداء الرأي واتخاذ الموقف المناسب بحسب ما تلمح به رؤيتنا المنهجية الاستدلالية.

ونعمل ذلك، فقد من أصعب المسالك - في اعتقادنا - بغضمة ونحن نحوض تجربة - الدراسات الترجمة في علاقتها بالدراسات المقارنة - فلما تناولنا الدراسات بالبحث والتقصي، وقد حاولنا مناقشة كثير من القضايا التي رأينا أنها طابعت في الأهمية، وذلك بسبب ما أثر حولها من تساؤلات وإنزاعات، وبسبب ما قصده من اهتمام الدارسين في هذا المجال.

وقد اقتضى منا ذلك الاحكام إلى رؤية موضوعية تقوى على تمثيل الخطوات إلى نصب الحيث، والوصول إلى التصور المنفتح، بحيث أثرنا أن نملك طريق عرس الأفكار، ولغة بلورتها بما يتعارض ولحق لفهم التدرجي، وفيه يتفق وأفق لفهم الاستدلالي هذا الأفق - الأخير - التي ترفض الاستكانة إلى قوانين مسبقة، ولقد ضد الفهم التفسيرية للتعبير.

وقد ارتكبت خطأ من فرضية حضور الترجمة وعلاقتها بالدراسات  
المعارنة في التفاعل مع النص الهدف كما انطلقنا من عامل سياق التأثير  
ولا أدنى له. ولم نجد أسمى من نص ألف ليلة وليلة. وما يتمتع به من  
سلطة ذوقية قائمة على العمود المجازي / القرطبي لاحتلاله نموذجاً  
تصنيفياً ليعتد.

وكانت ألف ليلة وليلة في نظر الغربيين قطعة على الإباحة، فعرفوا  
بوعيونهم كونه اجترار هذا النص ضمن آفاق مستويات التأمل والانيمات،  
بهيت أبادوا منه في شتى أنواع الفنون من خلال مراتب عليا للتقليد،  
فأدسجت ألف ليلة وليلة في الفن التشكيلي، والفني الموسيقي، والفن  
المسرحي، والفن القصصي، وزرعت شهوة الإغواء وعرفت قصة الإهداء،  
ورسمت فضاء التخييل ورقة الاستلطاف وفتنة المخاض، حتى وقع  
الغربيون في دائرة سحرها للدهش.

وكان وعيونهم متقدماً في اكتشاف هذا النص بفعل عملية التلقي  
المبكرة؛ الأمر الذي أسهم في إرساء ضوابط الطريقة الصردية وألقت بها  
على لحيال الإبداع.

وبذلك خرجت الترجمة عند الغربيين من النقل إلى التأثير الكشفي،  
ولحظة اكتمال الناكبة من خلال تجربتهم في ترجمة ألف ليلة وليلة التي ما  
لبثت أن وجدت لها أنصاراً في التلقي في كل أنحاء المعمورة. وقد نالفت  
ذلك في الفصل الأخير بقدر من الاحتشام، ووجدنا أن أغلب مستويات  
التلقي لا تنبئ إصاراً مرجحاً واحداً ثابتاً في الترجمة، فوالاقتباس، أو  
التأثير، وإنما كان ذلك بنوع من الأسلوب الانتقائي، وهو ما أوضحناه في  
النسبة ضمن الملحق المرفق في نهاية البحث.

وبالخير ليس لنا إلا أن نقول إن هذه الدراسة لا تُعد براءة إجابة،  
ولا نرجع أنها ترصد كل المثل أو تثير جميع المسائل، كما لا نزعج هذه

الدراسة، أنها وصلت إلى نتائج قطعية. طالما أن في كل بحث من الخمس في تناوله، تُنى كان - ما يحول يونه ووجع معرفة كل شيء فيه. ولكن حسينا في ذلك، أن هذه الدراسة حاولت أن تتبنى موقفاً راجعاً، تمتلك بواسطته أدلة مثلى وهي لا تتروّد في الأخذ بمختلف الآراء.

وانطلاقاً من الإيمان بعميق التعميمية نرى أن الحركية التي نقف وراء أكبر التاملات، حناكة هي التي «تتجاوز الدراسات التريومية - نهدياً - إلى التعمية الجدلية، حيث لا شيء يكتمل، ولكن كل شيء يتعدى خلف كل سؤال».

**ذلك الحس**

## ملحق

### بمقتضى الاتفاق ثلثة وثلاثة: ترجمة / تأثير / القياس

#### ملحوظة

ورغم الجهد المبذول في تحقيق هذا المصود إلا أننا ندعى من وراءه إلى أن يُذكر من قبل الباحثين الآخرين؛ لأنه يصعب الإحاطة بجميع تأثيرات ألف ثلثة وثلاثة في الأرواب العالمية، كما يصعب على أي باحث مهما توسعت معارفه أن يفت على كل ما قيل في حق هذا النص المسرحي الحالد، وبسبب كل ذلك؛ صعدنا حضارة تعد بقاء الحضارات على مر الأزمنة

نوع النص	نصه النص		تأثير
	ترجمة	تأثير	قياس
مدرسة الفنان المصور The Enslaved Horse		✓	أ. ر. سميت A. R. Smith بمشاركة ت. تايور T. Taylor 1898 إنجلترا
شعر عربية وإسلامية	✓		أ. حريز 1772
في هذه المجلدات: 1 لصيد ورجته 2 الفكر وسيد 3 سنة يدع من الفيد 4 جبل النصب 5 تطوير الفلك 6 عن الفلك 7 الفروع في الترجمة 8 جبل سكي		✓	الأخوان جبر: مطرب [1783 - 1883] والفيلم جبر (1783 - 1883)
في فلكه ملكة ثلثة وثلاثة		✓	إنجر ألين بر. كلف ثلثة وثلاثة

بجمل الآن هو وجون بولس	✓	قصص حروية حتى تورد مسكك قبل لوف شهر له الحكمة فكلية بعد الف
لاموند دولاه	✓	فن تشكيلي
ليونارد هورستور 1808 إنجلترا	✓	ترجمها عن الفرنسية
ليونارد وليم آين، إنجلترا	✓	
لويست	✓	قصة « أولادو الفاسد »
لوج نيسيه	✓	فن تشكيلي في لوحات فنية زينة مشقة بالجمال والثروة .
لندري جيد Andre Gide	✓	رحلة لورين 1893 وليس لورن طريق 1896 . وليس فوت الأرض 1897
الأميرة لاروش De La Roche	✓	Bibliothèque de romans 1778
الأميرة داليس 1747	✓	الأميرة الظهيرة 1747 مراد والفرجة 1752
كسلان 1750	✓	عريفات مسند
كسلان غالان Andre Galland 1717-1704	✓	
كطوني خمشي (1646) - 1780م	✓	في رواية: (حكمة الحسن) (قصة زهرة فلوله)
لوي 1789	✓	حكواته لمأكلية
لويست لوي	✓	ليون شعر « فمليون
لويسترب (اندلسه) 1986 - 1987	✓	
لوكشير	✓	لوكشيريون الأول عشرة

بومست G.S. 1831 Beaumont إنجليزى	✓		
برهومول E. A. Behemolec	✓		ومنش قصص ألف ثلثة وثلثة فى مجلة مونيتور Monitor الوطنية
بيني لوكرو [1710]	✓		ألف يوم ربيع
بيرسون [1710-1715] [1710-1715] باروى	✓		فى قصص مطولة، ومنها: [رحلة القارس غارولد] ومجموعة قصائد القصيرة بـ (مكتبات تركية)
تالندر Talandor 1710	✓		عن الفرنسية
تالندر (البرنج) 1710	✓		Die Talandor und Eine Noch
ترافى Richard Traach	✓		قصائد من مصادر شرقية
تولستوي لروميا	✓		مجموعة قصص للأطفال
توماس مور إنجليزى 1617م	✓		فى رواية «اللا ريوخ
توماس هوبس 1619م	✓		رواية وبنسون (أنا سفرى، متكررات، يرمي)
توفيل جونيه فرنسا	✓		فى رواية (رحلة فى صحراء مصر، 1831م)، (رحلة من لبنان إلى الشرق 1836م)، قدم للموسم 1840م، رواية للموسم، 1856م والقصة الثانية بعد الألف)

ج. به. نوجواي 1771		✓	ألف حكاية وحكاية
ج. جيلب AG. Gilbey	✓		سرحية: أبو حسن /Alhan Hassan/
ج. من. مارتوث 1944م	✓		نقلها عن فرمجة إلى الإنجليزية
جيد. روسليه ياديجا، 1944	✓		
جانريك ليلول 1948	✓		حكايات ليلول
جازوب 1740	✓		كف ليلو وليلو
جرام (عروب / وثايلاند) لغز 1912	✓		جفاف شبيهة للأطفال حسن المصرية القديمة: (حكايات الأطفال والفتيات)
جسر مسكرين [تكملة لكتيبا] 1905	✓		
جستاف ريسل [كسليم] 1887 - 1881	✓		
جسل السنين بن شيخ ولغز به ميكل 1993	✓		
جولان مسكرت Johanna Scott	✓		
جورج لاسبي 1880 إنجليزي 1880	✓		قام بترجمة قصة مائير
جول سورديف 1914	✓	✓	سرحية شهزاده وكتي ميث الأولى عزة صام 1944م ونشرت عام 1949 للف ربع ساعة وربع ساعة، وسلطت جوراسر 1732، وكتف ساعة وساعة 1735، وحكايات من القوي، والعب أسمية وأسمية 1749



جورج بلوث (البروكا)	✓		كوسا
1972			
جورج باي (الجلوزيا)	✓		
1862 - 1864			
جورجيان سويث (Jonathan Swift)	✓		رحلات جفر
1726			
جونثان سكوت	✓		تجرباتها في شكل مقالات يخبرون حكومات ومجالات ورمات
1880 Jonathan Scott			
- 1811 برينكا			
جورج جيرمان	✓		فن تشكيلي
1780 - 1849م)	✓		رواية بطون: (مغامرات علمي باه، وروايات أخرى، وهي على التوالي، (الرحمن رهانه 1832م) (عائلة، 1834م)، (حزاء، 1841م)، (محملة قصة غريبة، 1847م)
جون لجر 1780 - 1887	✓		أحمد لوجان في رسم جورجي ومخطوطات فنانين، ومجلات للتصور
جورجاني سيرامبي (Giovanni Serumbi)	✓		استاذ Astelle وجورجوللو Giaccone
1747-1784)	✓		تصويرات كبرى شديدة وشرقية من قرات فرنسا
لو ليرت De Labet	✓		فنان ومضمارات أسوداء سوديب 1772
1719	✓		
دي كامب De Campe	✓		فن تشكيلي في عدة كومات
1749	✓		تفليكا، حكاية عذبة

تذكر 1756		✓	خساسة صبية وصنية
دلاكروا، De Lacroix		✓	في شكل غلصة لوجه المشيرة (أسلة خمر)
راموسين [دلاكروا] 1834	✓		
د لول فوسيرق، 1931		✓	سيفوف وفاء شيراز لألبينا ومودنا فرغاً من العلم الملك عام 1931م.
ريشار خوخ 1796 إنجليزي	✓		أخيراً فضاء ترجمة لينة
روماني كورسكوف 1867		✓	معمارية «شهرزاد» التي أنتها عام 1866 م وأنتها فيها الأجزاء الشرقية، لعمل لوحاته في رسم الطوري، ومطويات السلطان، ومطويات القصور.
سازر، Sazzer رومانيا 1969	✓		
سان لوبر 1769		✓	خرافات خرافية
سوكوتسكي L. Sokolowski بولندا 1776	✓		
سي. دي. بكونت 1792 إنجلترا	✓		ترجمة جزء، مصروف فوهاء، حتى عوالم مع فخر الفرجوري طمس القسم الأخلاقية.
سير-جر، St-Ger (ألمانيا) 1794	✓		

تصنيف حكليات شامية وخرافية عن نزل فرنسا	✓		شارل بيرن C. Bernst
1732-1733	✓		شعرى Chevrie
سول	✓		شكبير
رسانس Kanoche	✓		سارمول جون-مون 1789 Sarmol Johnson
أبي، وحيفة / قصة، حكاية اللقان / مسرحية: سراج البلقي / مسرحية: ليل / أعطيت موهوبين ألس / منزل تجوال قلمم ما بمقر / مسرحية: فورست / ماهرت (معد) / الألب المفترق / مسرحية: ما القمه / كفقه: شعر وحيلة / قصة ألام فرتر / مسرحية: فليور / قديرون القري القري	✓		غوت Goethe
كفر	✓		أبي ساري ألوتهيت 1780
		✓	أبي ساري ألوتهيت W. Tabolewin 1989 جونا
فن تشكيلى في مرحله المروية (في قصة تروية)	✓		أبي ساري ألوتهيت
مسرحية لمر قزمان Camar Alkaman	✓		أبي ساري ألوتهيت Frank Baronoff

		✓	فردريش زوكرت Friedrich Zuckert ألماني
كانديد Candide Zedig ou la dentition (نمير 1748م)، (ألمانيا) بالا، 1768م، وقسمية (العلم كوكبا ومير، 1747م).	✓		غولتير
		✓	فون فامر بوشكي Von Famer Puschki ألماني 1806
		✓	فلاديسلاف [روسيا] 1799 Fladoff
ممرجة شاه فولس/ حكاية شاه [صالحا شعرا] (القلق القلبي) و(حكاية الصبا) الشجيرة و(حكاية الهند الغريبة) و(الغلا الفطرية) (ومصير حبيب)	✓		فلاند [ألمانيا] 1776
		✓	فولبيس شوف [ألمانيا] 1802
حكمت شورود		✓	فولبيس شوف [ألمانيا] 1802
Le prisonnier 1724 Athazoude 1776/ Zellous 1716		✓	فولبيس شوف [ألمانيا] 1784 Vieville d'Orville
		✓	فولبيس شوف [ألمانيا] 1791
		✓	فولبيس شوف [ألمانيا] 1791
أم 1716 من حكاية السراة (L'Enchante ou Tassoul et Némours)	✓		فولبيس شوف [ألمانيا] 1751

قصة اليابان (Histoire japonaise) ألفريد (Azumaide) ألفريد (Le Japon)				
حكيت صيغة تكلمة أسيدي ترجمها من العربية إلى الفرنسية، وشرفي ألفريد			✓	كريستيان فوجيت يوشمان [ ألبان؟ ]
			✓	أليسبينا سكرينسكا بوخوفسكا مع فريق أسي جامعة واشنطن ألفريد، يوكندا، 1987 - 1974
			✓	ألفريد أوطه ألبان 2004
مدرسة «علاء الدين»		✓		ألفريد ألبان Clinton Boddley 1981 إنجلترا
مدرسة الشخصية برون ألفريد عام 1902م.	✓			ألفريد
ألفريد ألبان؟ ألبان عن ألبان، وهي عبارة عن رحلة عبر ألبان ومدرسة ألبان ومدرسة ألبان هذا عن ألبان ألبان ألبان والعربية ووصف ألبان ألبان ألبان ألبان، ولن ألبان ألبان ألبان.		✓		ألبان ألبان 1844

كتبات شرقية	✓		كتس 1742
Angeln		✓	لامرثير La Morther
في شجرة فرومقسي		✓	لتكنيس Lichtenberg
البحرية اليهودية، مكتبة من البحرية لعدد سبع المجلدات ملفون القرشيد		✓	لوبي دي لوبل (إسبانية I (lupa de vago)
ديول ككتبات شرقية		✓	لورد بلورون لوبلزي
مكتبات شرقية مسلمة سف الكتاب		✓	لورد هن Lord Houston
كتاب قصة وهران: (الغلبة لوق باله)		✓	ألبرد ونهم بيكسورد 1744م
أليس في بلاد المغرب		✓	لويس كزول: 1744م [المجلد]
		✓	لويس E. Lissman 1916 - 1921
كتبات ككتبات شرقية وغربية من تركت فرنسا		✓	لويس De Loris
		✓	لويس [المجلد] 1689 - 1691
حدثت كتس طرق كرجة حرفية جيلي ليلي العرب The Arabian Nights- Entertainment		✓	لويس Lettre ميرتون «Parade» وي Pyne إنجلترا
		✓	مؤلف مجهول [المجلد] 1742
La nouvelle Arabie divine in celtic et une autre		✓	مؤلف مجهول [المجلد] 1742
Tupied vagon sept		✓	مؤلف مجهول شعره/كوتيدان 1742

Arabian Nights Entertainments			✓	مؤلف مجهول [ إنجلترا ] 1712
Diamond en éen Nacht			✓	مؤلف مجهول [ هولندا ] 1712
			✓	مؤلف مجهول [ إنجلترا/فرنسا ] 1768
			✓	مؤلف مجهول [ هولندا ] 1768
			✓	مؤلف مجهول [ إنكلترا ] 1796
الف مورا وسيرة	✓			مؤلف مجهول 1799
Grub Street باسم			✓	مؤلف مجهول [ إنجلترا ] 1706 م. وفي رواية نقري 1708
لجل لوحاته في رسم قصور ومخططات قلاع، وجدران القصور.			✓	ماتين (Henri Mathieu) (1689-1964 م) فرنسي
			✓	ماتريون [ فرنسا ] 1699 - 1904
خطة مدينة بـ 181 مسورة من رسم جده: الخطة الثانية بعد الفتح	✓			مارك لوين [ أمريكا ]
			✓	ماك دونالد [ إنجليزي ] 1904، MacDonald
Hisoires secrètes de la maison Ottomane- 1722		✓		مدام دو غومر Gomez

Membres de Sénat 1710	✓		مدم دو فيلديو De Villiers
		✓	مكسيم خيروكي [رومان]
الرسائل الخارجية وهي كتاب: (المخطوطات الخارجية)	✓		مولتر _____ م 1784 Sourmiquien
ألف ليدل وليفل	✓		مونتريف 1717
في مسرحه القديمة التي استوحاها من مظاهرة زوجة شهرار الأولى	✓		ميشال جورج ميشال
في رواية وهي عنوان: شهرار 1982م			ديكول فيدال فرنسوا م 1982
حكاية الملك محبوب والملكة خبروك	✓		د. باجون 1787
علاء الدين والولد الشيطاني فرافج	✓		د. ج. بايزونيه إنجلوك B. J. Buzon 1681
	✓		داملتون Hamilton
الإرغوت قهرمان قهرمان والقائمة	✓		مكس كريستيان أندرسون (الشمزكي) 1884
حكايات شعبية ممتازة وسلطتي	✓		مالي Vanna Kundry
لجر من ألف ليلة وليلة شعبية لجراده ونوغي قبل إسلام الملك لجر قبلتي العمدة طغر المتوفي سنة (1888م)		✓	عبدت 1882 كاتوا



هرمان هالف [ألمانيا]	✓	✓	✓	تخطيا وموتى ديك
عزري بيمبور، 1747	✓	✓	✓	مكتبات أديام طلي، ثلاثة وذلك السوركو ثلاث
عزري بلان، 1768	✓	✓	✓	رواية تاريخية
عزري قريش [ألمانيا] 1848	✓	✓	✓	
عزري دي ريفي فرنسا	✓	✓	✓	رواية تحمل اسمها/ ورواية أخرى، رحلة حب
عزري ويزر، 1811 إنجليزي	✓	✓	✓	وصف في مخطتها دراسة جادة عن أسلوب السمرة، والسوع المتحسين
عدينغ [ألمانيا] 1885 - 1889	✓	✓	✓	
عزري ترويزر Touress إنجليزي	✓	✓	✓	ظهر عليها الجزء الأول
ولسطنون كورنيلغ [ألمانيا] 1888	✓	✓	✓	مدرجة نو الحسن
وجيروم G. Jerome	✓	✓	✓	في فن التصوير
وليام لين William Lane	✓	✓	✓	في نسخة الترجمة الإنجليزية في صحوت في 1899.
ويليام بكتلر، 1908 William Beckford	✓	✓	✓	Vadok
ويليام باور، 1795 إنجليزي William Beise	✓	✓	✓	في عدد من المكتبات
بوت. ه. هرس، [ألمانيا] 1781.	✓	✓	✓	

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً: قائمة المصادر

#### القرآن الكريم

- [1] ابن كثير، سراج المعين، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، طبقات الأولياء، مكتبة الخانجي، القاهرة 1995هـ.
- [2] ابن القيم، القوس، طبعة دار المعرفة للمسيرة، بيروت (د. ت.).
- [3] ابن خلدون، المقدمة، طبعة دار الجيل للمسيرة، بيروت (د. ت.).
- [4] الشوكلي، الإمتاع والمؤانسة، طبعة شرح أحمد أمين وأحمد الريون، بيروت (د. ت.).
- [5] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر اليماني، الفهرست، ج 4، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 4، القاهرة (د. ت.).
- [6] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، ط 4، بيروت 1999.
- [7] القاضي، الرسالة، المكتبة العلمية، بيروت 1400هـ.
- [8] الشوكلي، الزهد، أحمد بن محمد بن عبد الطيف، طبقات الضواحي، [أهل الصدق والإخلاص]، طبعة الكليات، القاهرة (د. ت.).
- [9] الشوكلي، نيل النسيم، أبو الحسن علي بن يوسف، حجة الأسرار ومفاتيح الأنوار، تحقيق: محمد حسين مصطفى، دار القلم العربي، بيروت 1980.
- [10] عبد السلام، هادي، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار الفنون، ط 4، بيروت 1996.
- [11] الفريدي، أبو حماد، شجرة الأكلاب، ومغيب الإصهار، تحرير: طاهر وهبة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار السويدية للنشر، أبو ظبي (د. ت.).
- [12] فخر بن الفهرست، مائة ليلة وليلة، دراسة وتحقيق: محمد طرشيت، الدار العربية للكتاب، بيروت 1999.
- [13] الفهرست، أبو العباس أحمد بن علي، صريح الأعشى، في صناعة الإنشاء، ج 1، دار الفكر، دمشق (د. ت.).
- [14] الفلوجي، محمد، صمد، الباقية في أصول الفقه، تحقيق: محمد محمد مكي، زكريا، دار البشائر الإسلامية، ط 4، بيروت 1988.
- [15] لعمري، التنبية والإرشاف، طبعة دار مكتبة الهلال، بيروت 1961.
- [16] لعمري، مروج الذهب ومفاتيح المعرف، ج 2، دار الأندلس، بيروت 1977.
- [17] النهدي، القاضي، التنوع، يوسف إسماعيل، جامع كليات الأوقاف - صنبه ومعه شيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت.).
- [18] Antoine Galland: Les mille et une nuits. Tome I - Bocting

## ثانياً القائمة المراجعة

- (1) إبراهيم عبد الله الصمدية العربية [بحث في البنية للمجموعة المبروزات السكتاني العربية]، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1 بيروت 2000.
- (2) إبراهيم علي الخنسي شديد الطهور - قراة ما بعد كولومبيا لة ترجمة - كمال أبو دهب لا استشراف، الدوحة معهد إثنين كتاب الترجمة وتفاعل التقاطعات حلة بحثية سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، ط 1 القاهرة 2000.
- (3) أبو دهب كمال، نظرية الترجمة - الاستشراف مؤمنة الأبحاث العربية بيروت 1991.
- (4) أبو دهب عبد الله: من الاستشراف إلى الأدب المقارن [الثقافة والثقافة الحكومية] ضمن أعمال ندوة لأرب المثاليين بدور في طار، الدوحة، في جامعة حطب مطبعة المجلس الأعلى لة دراسة الفنون والآداب والطبم الإجماعية، دوحا، ط 1 2000.
- (5) أبو دهب، سياسة النشر، دار الأكرام، ط 1 بيروت 1994.
- (6) إقبال، شرا الترجمة والثقافة [ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات، حلة بحثية سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، ط 1 القاهرة 2000].
- (7) إقبال، فضل الطرقات نظرية صالحة للكتاب (في الأدب) ترجمة محمود لمصطفى والجلالي الكوفة، مشوراة مكتبة المناعل مطبعة النجاش للبعث دار البعث، 1998.
- (8) يحيى عبد الحبيب، دراسات وموسى في الفلسفة والطبم عند العربية المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1994.
- (9) يحيى عبد الحبيب، درجة الوحي في الترجمة، ط 1 شوان المغرب، 2000.
- (10) بن عبد الصافي عبد الصلاب في الترجمة، دار الطليعة، ط 1 بيروت 2001.
- (11) بشير كاد، والنشر في وهو، الأدب الكافيه ترجمة: أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1 القاهرة 2001.
- (12) بيبي روجوت لندن الترجمة وعملها، ترجمة: يحيى الدين حمدي، كتاب الرياض، مجموعة النوى العربية، القاهرة 2000.
- (13) بيبي روجوت، الترجمات من الأدب العربي، ترجمة: كصديق بوهلام، دار شوان، ط 1 القاهرة 1994.
- (14) بيبي روجوت، الترجمات من الأدب، ترجمة: نشر عولسي، قلبي، ط 1 جد 1990.
- (15) جعد، بيبي روجوت، دراسات في الأدب الكافيه، دار النهضة العربية، ط 1 بيروت 1990.
- (16) جعد، كاد، وهو فلسفة للترجمة - تقاطعات شرقية وغربية [ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات حلة بحثية سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، ط 1 القاهرة 2000].
- (17) جويان، هارل العوي [طريقها الشمالية تسير - القوميات الإسلامية والسيادة الرسمية - ترجمة: النجدي صافي وآخرون، مراجعة: فريد السطيفي، الدار التونسية للنشر، وأشراف البنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1978].
- (18) جويان، هارل، الأدب الكافيه، ترجمة: محمد شلاب، لجنة البعث العربية، وزارة التعليم، مصر (د ح).

- (19) حاشية المظهر عبد السلام: مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، 1389هـ.
- (20) حسن، محمد عبد القوي: فن الترجمة في الأدب العربي، الدار المصرية اللبنانية (د.ح).
- (21) حاشية حسن: من النقل إلى الإبداع، المجلد الأول - النقل / القسم، دار فبا، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000.
- (22) النحال، يوسف السباعي: في الشعر، دار الطليعة، طدا، بيروت 1978.
- (23) مصطفى، محمد: لأدب العربي القارئ وسهولة المداولة، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، طدا، القاهرة 2000.
- (24) مصطفى، محمد: الأدب القارئ من المداولة إلى السراة، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، طدا، القاهرة 2001.
- (25) طه، إبراهيم: دراسات في نقد الشعر، دار ابن رشد، المطبعة العلمية، بيروت، 1981.
- (26) مريش، أحمد: نظرية الأدب القارئ، دار فبا، في الأدب العربي، دار مريش، القاهرة 2002.
- (27) المصري، محمد: الاستحقاق الاستثنائية العربية للقائري العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، طدا، بيروت 2004.
- (28) نديم، خالد: الترجمة كالمصنعة، دراسات في الاقتصاد الترجمة السياسي، ضمن كتاب: الترجمة وقاع الثقافات، حلة بحثية، سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، طدا، القاهرة 2000.
- (29) النصارى، محمد: الترجمة والتواصل (دراسة تطورية جديدة لإشكالية الاصطلاح في الترجمة)، المركز الثقافي العربي، طدا، 2000.
- (30) النصارى، محمد: مفردات الترجمة في قاع الثقافات، ضمن كتاب: الترجمة وقاع الثقافات، حلة بحثية، سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، طدا، القاهرة 2000.
- (31) رافال، د. أ. أكفسي المشترك بين العرب والمغرب ترجمة: د. نبيلة إبراهيم، عالم المعرفة، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، رقم 341، طدا، الكويت 1999 م.
- (32) الرهيد، عدنان: تأثير لغة ولغة على أدب شاعر ألمانيا الحديثة، كتاب الرهيد، ج 19، 1998.
- (33) سامح، محمد: مفردات الترجمة (توسيعاً على قاموس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية)، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع، طدا، الأردن 1996.
- (34) ستام، جورج: بدر جابل لندن وبيروت - منشورات جامعة أكسفورد، 1979.
- (35) فريخ الأرض، نيسر: هوس من حياطي - الفصحى والفتنة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1997.
- (36) طحان، زهير: الأدب المقارن والأدب العام، دار الكتاب اللبناني، طدا، بيروت 1978.
- (37) طه، محمد: الوصية - التلمذة والترجمة - المركز الثقافي العربي، طدا 2000.
- (38) عامر، عزت: الترجمة العلمية والتوسع الثقافي، ضمن كتاب: الترجمة وقاع الثقافات، حلة بحثية، سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، طدا، القاهرة 2000.

- (39) عباسي، إحسانه صلاح يونانية في الأدب العربي المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1997.
- (40) عبد الرحمن، عواطف: قضايا الترجمة الإعلامية والثقافية في العالم الثالث سلسلة عالم المعرفة، عدد 76، الكويت 1996
- (41) عبد الحليم، هريفي، ألف ليلة وليلة والأراج في العربية للدراسة في القرن الثامن عشر، دار الكتب، للنشر والتوزيع ومركز الجزيرة، 2001.
- (42) عبد حنا، القصيدة والجسد، اتحاد الكتاب العرب - دمشق 1996
- (43) عبد هادي، همد، هجرة النصوص - دراسة في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998
- (44) عباسي، منذر، الترجمة لغة متعمدة (ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات، حلة بحثية) سلسلة أبحاث مؤتمرات للجلس الأعلى للثقافة، ع 35، القاهرة 2006
- (45) العيسوي، سعيد، الترجمة إلى العربية - فلسفها وآراء - دار الفكر العربي، حلة القاهرة 2001
- (46) غصير، نجلى الجميل، ترجمة، سعيد توفيق، للجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1997
- (47) هان تاجم، بول، الأدب لقاري، ترجمة، سامي مصباح الحسناوي، مكتبة المصرية للدراسة والنشر - بيروت 1979
- (48) هادي، نور، العربية للكتابة بالخرافة، ترجمة هادي هادي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا 1992.
- (49) القاضي، فهد، كدري جيد، وكف لولة ولولة في كتاب بالاشتراك بضمين أعمال لولة الأدب المأثور ويروي في القارب الشعبي منشورات وزارة الثقافة، جامعة حلب، سوريا 2006.
- (50) إلهي، دنا، أساطير أوروبا، عن الشرق، ترجمة صراح هادي، دار طائفة ط 3، 1996.
- (51) القناني، سبهي، ألف ليلة وليلة، دار المعارف 1970
- (52) فصيل، جوسي، دور الترجمة في عملية التآلف بين الشعوب (ضمن كتاب: الترجمة ولقاء الثقافات، حلة بحثية) سلسلة أبحاث مؤتمرات للجلس الأعلى للثقافة، ع 34، القاهرة 2008.
- (53) فهد، محمد، الترجمة والتفاعل الثقافي، في مسار الفهم وفننايات (ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات، حلة بحثية) سلسلة أبحاث مؤتمرات للجلس الأعلى للثقافة، ع 35، القاهرة 2006
- (54) كليب، جوزيف، قوة الأسطورة، ترجمة حسن صلي وأشر، دار الكلمة، ط 1، سوريا 1999
- (55) الكدية، جهادي، الترجمة بين التأويل والتفسير، ضمن كتاب الترجمة والتأويل منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ط 1، لخر 1996
- (56) لامبرت، جوزيف، ذلك كان جوزيف في وصف الترجمات، في كتاب التكامل مع الأدب، تحرير نور هيرمانز، كروم هيلم، لندن 1982.
- (57) لبيب، هادي، الترجمة ضرورية حضارية (ضمن كتاب: الترجمة وتفاعل الثقافات، حلة بحثية) سلسلة أبحاث مؤتمرات للجلس الأعلى للثقافة، ع 35، القاهرة 2006

- 68) محمد تقي، جمود الترجمة الأدبية ومدى مشروعيتها - في ضوء البحث اللغوي وجمالية النص، ضمن كتاب: الترجمة والتأويل (بالاشتراك) مطبعة فضالة - الحمديّة الغرب 1998
- 69) توبون، غوستاف: حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، سنة 1986.
- 80) توماس الفريد، الترجمة، التاريخ والثقافة: كتاب مرجعي، لندن، رولاندج، 1998
- 81) مكارم، فاطمة: الثقافة كترجمة، في كتاب: الترجمة، التاريخ والثقافة، لحرير دوزان باصميت وآخرون، نويشيفر، بيرتر كندن 1998.
- 82) ميقاتي، عبد الله: ألف ليلة وليلة، تحليل سمبليتي لتكويني لحكاية جمال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1998
- 83) النقاد، محمد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.
- 84) الموسوي، محسن، حاسم، سديكات، القصص العربي الإسلامي الوسيط، للفرز القليل، ط 1، 1997.
- 85) الموسوي، محمد، حاسم، ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنجليزي، مركز الإنماء القومي، ط 1، 1996.
- 86) محسن، كاشف، فوك، ألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد الحمر، وزارة التعليم العالي، سوريا، 1980.
- 87) ميكايل، العربي، الأدب العربي، ترجمة عوفق بن ولمان، وآخرين، الدار التونسية، ط 1، 1980.
- 88) مونت فاطمة: ترجمة القصص، شال إيمان، إنمن كتاب الترجمة في أهل القضاة حلة بشار، سلسلة أبحاث مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، ط 1، القاهرة 2008.
- 89) النجدي، محمد، نهج التراث القصصي في الأدب العربي، منشورات ذات الصلاحيات الكويت، ط 1، 1996.
- 90) هلال، محمد فتحي، الأدب للشارين، دار المسودة ودلر الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة، بيروت (د، د)
- 91) هلال، محمد فتحي، دور الأدب الشارين في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، دار النهضة، مصر (د، د)
- 92) ويلف رينيه، (أوست وايز)، نظرية الأدب ترجمة: عيسى الدين حديوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت 1984.
- الخلاصة - قائمة المراجع الأجنبية

- 1) Abbene Mohammed: *Intégration et traduction au Exposé marocain*: in ' *Annuaire de Traduction* ' N° 2° Université de Sousse 2000: p. 181.
- 2) Bassetti Jean: *Comparative Literature: a Critical Introduction*. Oxford: Blackwell, 1999
- 3) Benachoud Dufrenoy ( M. LOHMEYER ) : *L'Orient Romantique au France* Montréal: 1944
- 4) Brous Hendrik "Notes Features of Goethe's Concept of World Literature" in *Comparative Literature Studies* Literature comparée et l'œuvre mondiale. Texte revu par El-Fatih de Zepetank: M. V. Nakh: et Irène

- 5) Derrida Jacques "Tours du Habes" psyché - Reception de l'antique (1) Galileo 1987
- 6) Derrida Jacques Les Langages et les institutions de la philosophie-texte (2) n 4 - Torrance - 1988
- 7) Eco (Umberto) : Le Nomadisme - 1 janvier 1990
- 8) El Qasbi Fayez "Traduction et culture ou comment réduire l'irréductible étranger du Texte" in Interaction entre Culture et Traduction : actes du Symposium International organisé par l'Ecole Supérieure Roi Fahd de traduction - Tugue - mars 1992.
- 9) Eugene Nida: Toward a science of translation - Leida - E-J - Brill - 1964
- 10) Henry M. James: Comparative Literature: its Definition and Function A in Comparative Literature: Method and perspective. Southern Illinois University State Edward: Culture, language, and personality. Hartley University of California Press 1956
- 11) Johnstone John: «Translation as Simulacrum in Reaffirming Translation» ed. by Venuti (Routledge) London and N.Y 7 1992
- 12) Lefkovich Jean René: traduire: démarches pour la traduction ; Fayot ; Paris 1979
- 13) Mohamed Abdel-Halim: Antoine Galland - 90 ans de son œuvre. Paris, 1984
- 14) Moser Paul: Le paradigme de la traduction - op.cit. p 14.
- 15) René Pomeau: La religion du Védisme - Paris - Nimer- 1969
- Steiner: George: Agathe Rahel une poétique du dire et de la traduction

### رابعاً- قائمة المراجع

- 1) أبو الحسن، عبد الله: لغة ولغة في التفسير القرآني، مجلة فصول، ج 3، عدد 3، القاهرة 1988
- 2) أبو حمزة، كمال: إشكالية الأدب للقارئ، مجلة فصول، عدد 3، ج 3، القاهرة 1988.
- 3) إدريس، مهدي: ثقافة والقارئ ومضى سوز، مجلة الآداب، عدد 3/7، 1999 والمضى
- 4) مخلص من دراسة لمؤلف نفسه وفي المجلة نفسها، ج 3، 1988
- 5) باسليتة مولا: من الأدب المشرق إلى دراسات الترجمة، مجلة الآداب الأجنبية، عدد 184، دمشق 2005
- 6) بهارزي حسن: الترجمة والثقافة، مجلة لوجيكا، السنة الأولى، ج 1، لادريه، فبراير 2000.
- 7) برفاوي، محمد: الترجمة وموجة الفلسفة، مجلة الآداب بيروت، ج 4/8، 1999
- 8) بيولندة ميهدي: عميل إلى الأدب ولغة، مجلة فصول، ج 3، عدد 18، القاهرة 1994.
- 9) حادي، خليل: مقابلة مع خليل حادي إبراهيم، صبي الدين صبي، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج 186، دمشق.
- 10) حسنة عبد المصطفى: الأدب المشرق، بين التفسيرين الرسمي والاصري، مجلة فصول، العدد 3، العدد 3، القاهرة 1988.
- 11) حسنة عبد المصطفى: الترجمة الأدبية وشكائياً، مجلة الفصل، ج 200، 1990
- 12) المصطفى، محمد: دليل القارئ: الترجمة نقل المعلومات الثقافية أم صياغة جديدة، مجلة البعير، الكويت، ج 372/373، 2004.
- 13) مصطفى، يسلم: الترجمة والتفسير - من إيراهيم الصبياني: الترجمة والثقافة على النكتة، ترجمته السنة الأولى، ج 1، فبراير 2008

- (13) المبدآن هيرشيم: الترجمة والتفاعل الثقافي: ترجمات المقروءة المصنعة الأولى، العدد الأول، فبراير 2000.
- (14) برويش، علي: الترجمة بين الاستعلاء والانتكاس: الاستعلاء الحضاري.
- (15) ديه 13: مجلة الترجمة في الثقافة العربية، مجلة الآداب، بيروت، ع 4/8، 1995.
- (16) البروني ميجان: إرشاد الترجمة صراع ثقافي، مجلة علامات في النقد، المجلد 12، ج 48، جوان 2003.
- (17) زكي أحمد كمال، من لغة ولادة: مجلة فصول، ع 4، مجلد 18، 1994.
- (18) سلاط، يوسف: ما الترجمة؟ الترجمة بين التبادل والتأويل، مجلة الآداب، بيروت، العدد 6/8، عام 1999.
- (19) سلطان، فادي: تأثيرات ألف ليلة وليلة على الأدباء الروس في القرن التاسع عشر، مجلة عالم التنقيب، مجلد 28، ع 3، سنة 1987.
- (20) سوييف، مصطفى: التواصل الحضاري - طبعة تاريخية - مجلة الهلال، ديسمبر 1994.
- (21) سعيد، جمال: ألف ليلة وليلة في الأدب الفرنسي، على الشوكة الرئيسية، مجلة المعرفة، ع 191/192، سنة 1976.
- (22) عباس، محمد: الترجمة في المصون العربي، مجلة دراسات التراث، العدد 105، مارس 2006.
- (23) عباس، محمد: ترجمة المعارف العربية وأثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، ع 4/8، 1999.
- (24) عبد الله عادل: ألف ليلة وليلة، وهي من التراث العربي في القرن التاسع عشر، مجلة التراث الأدبي، دمشق العدد 100 - تشرين الأول - 1990م.
- (25) عبد النبي، مصطفى: بين المركز والمحيط الأدب العربي في دائرة الأدب العالمي، مجلة المشرق، ع 400، سنة 2000.
- (26) عبد الواحد، فهد: ألف ليلة وليلة، الأصول والتطور، مجلة المعرفة، ع 441، سوريا سنة 2000.
- (27) عبود، حسنا: الترجمة والنقدية الثقافية، مجلة الآداب، ع 5/3.
- (28) هروبي حكيم: مجلة الهامة، عدد 1330، الرياض ربيع الأول 1415.
- (29) المصطفى، محمد مصطفى: الترجمة والفهم، مجلة: مجلة فكر وثقافة، ع 8، فبراير 1996.
- (30) من الدين، يوسف: التناهد الأممي بين العربية والإنجليزية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عدد 95، 2002.
- (31) هاشمي، منذر: الترجمة بوصفها كتابة ثانية، مجلة الآداب، بيروت، ع 6/8، 1999.
- (32) هوسي، براهيم: الترجمة والتأويل، مجلة للترجمة، تصدرها جامعة عمران، دار النور، ع 1، 2001.
- (33) شوقي، هادي: جوارح البنية والكتابة في ألف ليلة وليلة، مجلة فصول، ع 4، مجلد 12، القاهرة سنة 1994.
- (34) كويهل، جيتان: مصحفة، سان فرانسيسكو، ترجمة: أحمد شافعي، من أسبوعية أخبار الآداب، العدد 400، مصر، مارس 2006.
- (35) كوش، عيسى: الترجمة بين شمولية الليتيراريكية ولا نهاية التأويل، مجلة الآداب، ع 6/8، بيروت 1999.



- (36) للمعمد: وقت: المحاضرة الإسلامية بين التوصل والمصراع: مجلة الأدياء، عدد 198، 2001.  
 (37) معمود ومضان: مستطويات: تنقيلات لترجمة. وتوقيفي: ههنا: مجلة الأدياء  
 18/7/94.  
 (38) المرحي: ههنا: مجلة من وراء زجاج شفاف: مجلة الأدياء ع 7/7، بيروت.  
 (39) موسر: طامعة: مستطويات: ألف: مجلة ولاية في مكتبات أوروبا، مجلة طمول ع 4،  
 18، سنة 1994.  
 (40) المنقري: معن: دور التلمسة في دراسة وحل مشكلات الصغر الكوري، مجلة  
 الفكر العربي، عدد 77، بيروت لبنان 1999.  
 خامسا- القائمة الروابط الإلكترونية  
 (1) أبو زيد، منعم: دور اللغة العربية في تنمية القدرة للرايطة:  
[www.abuzaidonline.com](http://www.abuzaidonline.com)  
 بلاسي: معمود: الترجمة وشكلاها: مجلة الثقافية جامعة الأردن: متن موقع:  
[www.abuzaidonline.com/Arabic/Arabic%20Translation.htm](http://www.abuzaidonline.com/Arabic/Arabic%20Translation.htm)  
 جي: كوني: مساعد: كوني: حوار عن الأدب العربي في الصين: مجلة (الصين اليوم)، الرايطة:  
<http://www.abuzaidonline.org>  
 المراسي: عبد الله: في ترجمة الاستعارة العربية: الرايطة:  
[www.abuzaidonline.com](http://www.abuzaidonline.com)  
 (2) حسن: ربا: به: شهر: في الفكر العربي:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (3) حسن: ربا: به: شهر: في الفكر العربي: والمفري:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (4) محمدي: جمال: الحولة: التسمية: للقيم: الرايطة:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (5) رهف: صلاح: حسن: التأملات الإسلامية في الفكر الأوروبي: الوسيلة: الرايطة:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (6) الرفيد: ههنا: الشاعر الألماني: جيه: وألف: لغة: ولاية: الرايطة:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (7) سليمان: وهه: يورخي: وألف: لغة: ولاية: الرايطة:  
[www.abuzaidonline.com](http://www.abuzaidonline.com)  
 (8) الشدوي: عني: الكتاب: الذي: لم: تعرف: قيمته: مجلة: جسد: الثقافة: الرايطة:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com) ونشرت: الدراسة: في: حلقات: في: الملحق: الثقافية: لجمعية: عكاك: 2006،  
 طريبيش: جورج: نظريات: الترجمة: عند: المويبة: الرايطة:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (9) الطي: محمد: صانع: الإسلام: والمصممة: من: التأملات: والتفاهم: إلى: الحوار:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (10) الطي: محمد: صانع: الإسلام: والمصممة: من: التأملات: والتفاهم: إلى: الحوار:  
[www.abuzaid.com](http://www.abuzaid.com)  
 (11) فوسر: في: الترجمة: - بعض: تأملات: مرطيو: يولانوس: كويار: جمع: وأحمد: زيد:  
 العامري: الزفاهي: الرايطة: الإلكترونية:  
[www.abuzaidonline.com/Arabic/Arabic%20Translation.htm](http://www.abuzaidonline.com/Arabic/Arabic%20Translation.htm)  
 (12) كوني: وألف: مجلة: مرط: الرايطة:  
[www.abuzaidonline.com/Arabic/Arabic%20Translation.htm](http://www.abuzaidonline.com/Arabic/Arabic%20Translation.htm)  
 (13) محمد: جمال: سعد: الرايطة: الآن: وتساقي: ملك:  
[www.abuzaidonline.com](http://www.abuzaidonline.com)  
 (14) يورخي: محمد: عبد: الرحمن: - في: حوار: لجمري: مع: أجرت: التأملات: التشكالية: إلهام:  
 فوسر: الرايطة:  
[www.abuzaidonline.com](http://www.abuzaidonline.com)



# الوقاية من الإصابة في الأنشطة الرياضية

ما العلاقة بين الرياضات الترفيهية والابتعاد عن الإصابة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة أثناء التمرين في الأنشطة الرياضية التي تشمل بعض الجوانب  
من الرياضة؟ أم لا؟ وما هي الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة؟ وما هي العوامل التي  
تؤثر على الإصابة؟

وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة القدم؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة السلة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة القاعدة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة الماء؟

وما هي الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة في هذه الرياضات؟  
هل يمكن تجنب الإصابة في هذه الرياضات؟  
هل يمكن تجنب الإصابة في هذه الرياضات؟  
هل يمكن تجنب الإصابة في هذه الرياضات؟

وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة القدم؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة السلة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة القاعدة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة الماء؟

وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة القدم؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة السلة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة القاعدة؟  
وهل يمكن تجنب الإصابة في رياضة كرة الماء؟

وما هي الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة في هذه الرياضات؟  
هل يمكن تجنب الإصابة في هذه الرياضات؟  
هل يمكن تجنب الإصابة في هذه الرياضات؟  
هل يمكن تجنب الإصابة في هذه الرياضات؟

القائمة

